الجـــــــامعة الإسلامية_غزة
عمـــــــــادة الدراسات العليا
كلية أصـــــــــــول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



أصول الإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام

إعداد
فوزية محمود عبد الرحمن الملفوح

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
جابر زايد عيد السميري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

1430هـ _ 2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ إِبْـــرَاهِيمَ كَـــانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

النحل:120

الإهـــداء

إلى من أرجو مــن الله أن يــسعدني بصحبته في الآخرة، رسول الله صلى الله عليه وسلم..

إلى أبي الذي حباني بدعائه ورضاه..

إلى روح أمي التي غرست في الإيمان والإباء..

إلى روح أستاذي العالم الرباني نزار ريان تقبله الله في دار الشهداء..

الشكر والتقدير

أخر لله ساجدة شكرا وعرفاناً، وحمداً وتمجيداً وامتناناً، أن هداني للإسلام وجعله لي نورا ونبراساً، فله كل المحامد على أن يسّر لي الطريق لاتباع منهج السلف، وله كل الشكر أن سلك بي مسلك طلاب العلم.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر كل من له فضل عليّ بعد الله سبحانه وتعالى، وأبدأ بالشكر الوافر والتقدير العظيم لشيخي وأستاذي الأستاذ الدكتور جابر السميري لقبوله الإشراف على هذه الرسالة، ولما أولاني إياه من عناية خاصة خلال إشرافه عليّ، إذ لم يأل جهداً في نصحي وإرشادي وتوجيهي لإتقان هذا العمل، بحكم خبرته الطويلة، فكان لتوجيهاته القيمة عظيم الأثر في إتقان هذا البحث، فله كل الشكر مني، وأسأل الله أن يبارك فيه وفي عقبه، ويمتعه بحياته وأن يحفظه وينفع به الإسلام والمسلمين.

وأجزل الشكر لكل من الأستاذين الفاضلين الدكتور سعد عاشور و الدكتور محمد بخيت حفظهما الله لقبولهما مناقشة هذه الرسالة على كثرة أعبائهما، فجزاهم الله خيرا ونفع بهما الإسلام والمسلمين.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور أحمد العمصي، الذي أعانني بنصحه وإرشاده في بداية الرسالة.

ولا أنسى عظيم الشكر والتقدير لوالدي العزيز الذي تحمل معي مشاق الدراسة وصولاً إلى البحث العلمي، وما خصني به من دعائه، فله عليَّ من الفضل العظيم، ما لا يوفيه هذا السطر من حقه من الشكر، فجزاه الله عني خيراً، وأطال عمره، وبارك له في عمله.

كما وأشكر زوجة أبي التي تكبدت معي أعباء الدراسة فحفظها الله ورعاها، وأشكر كل من أخوتي وأخواتي، وأخص منهم بالشكر أختي الشقيقة فاتن حفظها الله.

والشكر والعرفان لرفيقة الدرب في العلم، وشقيقة الروح في الدراسة، الأستاذة فدوى الصفدي لما قدمته لي من كثير من النصائح والتوجيهات، وما أعانتني عليه في الدراسة والبحث، فجزاها الله كل خير، ونفع بها ويسر لها أمورها، وبارك لها في ذريتها، وخصوصاً ابنتها الكبرى دعاء التي ما ونيت عن تقديم كل ما يهم دراستي من كتب ورسائل علمية من المملكة العربية السعودية، فلها كل الشكر وكل التقدير، وأسأل الله أن يرزقها ذرية صالحة نافعة للإسلام والمسلمين.

كما وأتقدم بالشكر لإدارة المدرسة التي وقفت بجانبي في كل ما يعينني على الدراسة وإتمام الرسالة على مر السنين وأخص بالذكر الأستاذة عدلة عايش والأستاذة لمياء غياض، والأستاذة رائدة مقبل حفظهم الله.

وأتقدم بوافر الشكر والتقدير للأستاذة سائدة العمري على ما قدمته لي من تنقيح لغوي للرسالة، فبارك الله لها ويسر لها كل سبل الخير، كما وأشكر الأستاذة إكرام السلطان التي قامت مشكورة بترجمة ملخص البحث باللغة الإنجليزية.

والشكر الموصول للصرح الشامخ، ألا وهي الجامعة الإسلامية، أبقاها الله صرحا يصدح بالعلم والعلماء، وأخص بالشكر والتقدير عمادة الدراسات العليا، وعمادة أصول الدين وقسم العقيدة منها الذي اهتم بالجانب العقدي، والذي هو أساس سعادة الناس في الدنيا والآخرة.

كما وأشكر القائمين على مكتبة الجامعة الإسلامية، وأخص بالذكر الأستاذ عوني المقيد، على ما قدمه لي من تسهيلات للانتفاع بمكتبة الجامعة، فجزاه الله كل خير وحفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين.

والشكر كل الشكر لمن خصني بدعاء في ظهر الغيب، من أخواتي في الله، ومن طالباتي، وأسأل الله أن يجزيهم أجوراً مضاعفة يوم القيامة.

وأخيراً أشكر كل من له يد في إعانتي على هذا البحث من إهداء أو إعارة كتاب أو رأي، أو أي صنيع جميل.

المقدمـــــــــــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومـــن ســـيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران:102).

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِـدَةٍ وَخَلَـقَ مِنْهَـا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَـانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ (النساء:1)

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً** ﴾ (الأحزاب:70).

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلـــى آل إبـــراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

لقد منّ الله علينا من بين الأمم بأن أكرمنا بخير نبي أرسل وهو محمد صلى الله عليـــه وسلم، وشرفنا بخير كتاب أنزل وهو القرآن الكريم، فهو مصدر عزة المـــسلمين وكـــرامتهم، وهو الطريق القويم، والسعادة الأبدية، ولقد بذل كثير من علماء المسلمين جهودهم في خدمـــة هذا الكتاب الكريم؛ لنيل الشرف العظيم، من القدماء والمحدثين.

ولا شك أن العقيدة الإسلامية أساس سعادة البشرية، وبالعقيدة بعثت الرسل، وبها ينجو الناس من الهلاك في الدنيا والآخرة، ولا يخفى على موحد أن منبع العقيدة الأصيل هو القرآن الكريم، وصحيح السنة؛ ولأن العقيدة مستقاة من القرآن وصحيح السنة، فإن الباحثين والعلمـــاء لم يألوا جهداً في استخراج أصول الإيمان من القرآن الكريم، ولذلك فإن دراســـتي فـــي هـــذا البحث عن نبي من أنبياء الله اصطفاه الله بخلته، وأكرمه يوم القيامة بكسوته، وجعله أباً لكـــل نبي بعده، ألا وهو خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، الذي أخبر الله عنه أنه أمة فـــي الخيـــر وحده عليه السلام، وذلك بتناول العقيدة في حياته عليه السلام، ومدى توثيق العقيدة في حيـــاة هذا النبي وحرصه عليها.

ومن منطلق خدمة الكتاب العظيم الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق من كثرة الـــرد، جمعت في بحثي هذا الآيات التي تتحدث عن نبي الله إبراهيم عليه السلام، وقد وجـــدتها فـــي أكثر من عشرين سورة من القرآن الكريم، وفي كتب الحديث الشريف وخصوصاً مـــا صـــح منها، ومن ثم تناولت حياته من الناحية العقدية وبينت أصـــول الإيمـــان فـــي هـــذه الآيـــات

والأحاديث ما استطعت إلى ذلك سبيلا، فكان عنوان بحثي هو: **أصـــول الإيمـــان فـــي قـــصة إبراهيم عليه السلام**

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1) تنبثق أهمية البحث من كونه يتناول رسولاً من أولي العزم من الرسل، ونبياً كثر ذكـــره في القرآن الكريم، وعلى لسان نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، وبيـــان عظـــيم مـــا اتصف به هذا النبي من صفات، وبيان بعض طرائقه في الدعوة إلى الله؛ ليكـــون قـــدوة للدعاة على مر الزمان في اتباع نهجه.
2) الرغبة الشديدة في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية والدفاع عنهما.
3) تذكير المهتمين والدعاة بالمصدر الأول والأساس في عزة المسلمين وهو القرآن الكريم، وأخذ العقيدة الصافية منه.
4) الإسهام في المحافظة على العقيدة سليمة من الأفكار الدخيلة عليها، وإحياء تراث السلف الصالح ليكون في متناول يد كل راغب.
5) ذكر ما تميز به إبراهيم عليه السلام باصطفاء من الله سبحانه، بأن جعله خليلاً لـــه، وأن جعله أبا للأنبياء من بعده.
6) إبراز ما يتمتع به إبراهيم عليه السلام من منزلة رفيعـــة عنـــد المـــسلمين، فيتـــشرف المسلمون بالانتساب له عليه السلام، فهم الورثة الحقيقيون له عليه السلام فـــي العقيـــدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـــذَا النَّبِـــيُّ وَالَّـــذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران:68).
7) بيان ما احتوته قصة إبراهيم عليه السلام من فوائد جليلة وحكم مفيدة وخـــصوصاً فـــي باب العقيدة والدعوة وحاجة الناس إلى ذلك.
8) إظهار الصفات العظيمة التي تحلى بها إبراهيم عليه السلام حتى قيل عنه:﴿ **وإِبْـــرَاهِيمَ الَّذِي وفَّىَّ**﴾ (النجم: 37)

ثانياً: الدراسات السابقة:

بالتقصي والبحث والتحري، لم أجد دراسة سابقة تناولت قصة إبراهيم عليه السلام من جانب العقيدة، وذلك بتتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي تتحدث عن خليل الـــرحمن عليه السلام، واستخلاص أصول العقيدة منها، والدراسات العلمية التـــي وقعـــت بـــين يـــدي وتتحدث عن إبراهيم عليه السلام، في جوانب معينة كالدعوة مثلا أو التربية، أو مقارنة أديان، ومن هذه الدراسات ما يلي:

1. الخليل عليه السلام في الكتاب والسنة: دعوته وهجرته ورد شبهة المستشرقين، عبد الله أبو سيف، من جامعة أم القرى، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، رسالة ماجستير. وتناولت هذه الرسالة حياة الخليل ودعوته وهجراته وصفاته، والشبه الواردة في حقه والرد عليها.
2. إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، أحمد الأميري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، رسالة ماجستير. وتناولت الجانب الدعوي في حياة إبراهيم عليه السلام، وابتلاؤه وصبره، والشبه الواردة في حقه عليه السلام وتفنيدها.
3. منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء القرآن الكريم، محمد الدريعي، جامعة محمد بن سعود، كلية أصول الدين، القرآن وعلومه، رسالة ماجستير.تناولت الرسالة الجانب الدعوي، وعرض أحوال المدعوين وتعامل الداعية معهم من خلال سيرة إبراهيم عليه السلام.
4. توجيهات تربوية من سيرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إبراهيم العريني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، رسالة ماجستير. وهدفت الدراسة إلى بيان الدروس المستفادة من سيرة إبراهيم عليه السلام من الناحية التربوية، وإبراز التوجيهات الدعوية المستفادة من قصة إبراهيم عليه السلام.[1]
5. إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود عرض ونقد، فاطمة ردمان، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، قسم العقيدة، رسالة ماجستير، تناولت الدراسة ما ورد عن إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود، ونقد ما ورد من أباطيل عنه عليه السلام.[2]

ثالثاً: منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وسرت فيه على المنهج التالي:

1. تتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بنبي الله إبراهيم عليه السلام من قريب أو بعيد أو التي هي في معرض الحديث عن قصته عليه السلام.

([1]) انظر: التوجيهات التربوية من سيرة إبراهيم عليه السلام، إبراهيم العريني، رسالة ماجستير، ص: 11_20، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1417هـ.

([2]) انظر: إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود عرض ونقد، فاطمة ردمان، رسالة ماجستير، ص: (س) من مقدمة الرسالة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1421هـ/ 2001م.

2. عزو الآيات إلى سورها، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية التي وردت فيها بجانب الآية في المتن.
3. استقراء كتب التفسير والحديث وأمهات العقيدة بما تتحدث عن نبي الله إبراهيم عليه السلام.
4. إبراز أصول الإيمان من خلال قصة إبراهيم عليه السلام.
5. ترجيح ما احتاج إلى ترجيح من مسائل مع بيان الأدلة.
6. الرجوع إلى المصادر الأصلية بالإضافة إلى الكتب الحديثة، ومواقع الانترنت، والتزام الدقة في العزو والتوثيق.
7. تخريج الأحاديث من مظانها، وعزوها إلى مصادرها الأصلية، فإن كان في البخاري ومسلم، اكتفيت بذكر المصدر دون الحكم على الحديث؛ لصحة الكتابين بعد القرآن الكريم، وأما إن كان من غيرهما بحثت في حكم العلماء للحديث، ولم أختر في البحث إلا المقبول من الحديث.
8. ترجمة الأعلام المغمورة التي وردت في الرسالة، وذلك بذكر اسم العلم وميلاده وأشهر مصنفاته في العقيدة إن تيسر، ووفاته.
9. بيان معاني الكلمات الغريبة التي وردت في الرسالة.
10. توثيق ما ينقل من كلام العلماء، وذلك بعزوه إلى مواضعه في مصنفاتهم إذا وجد أو من الكتب المعتمدة التي تهتم بنقل آثارهم في الاعتقاد.
11. توثيق المصادر والمراجع يكون بذكر اسم الكتاب، ثم المؤلف، ثم التحقيق إن وجد، ثم رقم الجزء والصفحة ثم دار ومكان النشر، ثم رقم الطبعة، ثم تاريخ الطبعة، وإن لم توجد دار النشر أو رقم الطبعة أو التاريخ، فإنه يهمل، دون أن يذكر بدون طبعة أو بدون تاريخ.

رابعاً: خطة البحث:

وتشتمل على: مقدمة وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة.

1. المقدمة وتحتوي على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وبيان خطة البحث.

الفصل التمهيدي: التعريف بإبراهيم عليه السلام.

وفيه مبحثان

المبحث الأول: حياة إبراهيم عليه السلام .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اسم ونسب إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثاني: حياة إبراهيم عليه السلام وهجرته.

المبحث الثاني: دين إبراهيم عليه السلام وصفاته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية.

المطلب الثاني: صفات إبراهيم عليه السلام .

الفصل الأول: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على تقرير التوحيد.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على توحيد الربوبية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالة الفطرة على وجود الله.

المطلب الثاني: دلالة الآيات الكونية في إثبات الربوبية.

المطلب الثالث: نواقض توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على توحيد الألوهية.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: مسمى الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما.

المطلب الثاني: الإخلاص.

المطلب الثالث: الإمامة.

المطلب الرابع: الشكر.

المطلب الخامس: الدعاء والاستغفار.

المطلب السادس: الخوف.

المطلب السابع: الولاء والبراء.

المطلب الثامن: نواقض توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على توحيد الأسماء والصفات.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تقرير توحيد الأسماء في قصة إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثاني: تقرير توحيد الصفات في قصة إبراهيم عليه السلام.

الفصل الثاني: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات الإيمان بالملائكة والكتب والأنبياء.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات الملائكة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حوار الملائكة مع إبراهيم عليه السلام ودلالته على وجوب الإيمان بهم.

المطلب الثاني: وظائف الملائكة وصفاتهم.

المبحث الثاني: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على الإيمان بالكتب السماوية .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وجوب الإيمان بالكتب السماوية.

المطلب الثاني: صحف إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثالث: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات الأنبياء.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مقتضيات الإيمان بالأنبياء.

المطلب الثاني: وظائف الأنبياء.

المطلب الثالث: المعجزة.

المطلب الرابع: مقر الأنبياء في السماء.

الفصل الثالث: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات اليوم الآخر والقضاء والقدر.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات اليوم الآخر.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: وجوب الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الثاني: إثبات البعث.

المطلب الثالث: بعض أحوال يوم القيامة.

المطلب الرابع: الجنة دار المؤمنين.

المطلب الخامس: الشفاعة.

المبحث الثاني: **دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات القضاء والقدر.**

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المشيئة.

المطلب الثاني: أفعال العباد.

المطلب الثالث: أنواع الهداية والضلال.

الخاتمة: **وفيها أهم النتائج والتوصيات**

الفهارس

وتشتمل على خمسة فهارس:

1. فهرس الآيات
2. فهرس الأحاديث والآثار
3. فهرس الأعلام
4. فهرس المصادر والمراجع
5. فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي

التعريف بإبراهيم عليه السلام

المبحث الأول: حياة إبراهيم عليه السلام

المبحث الثاني: دين إبراهيم عليه السلام وصفاته.

المبحث الأول

حياة إبراهيم عليه السلام

المطلب الأول: اسم ونسب إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثاني: حياة إبراهيم عليه السلام وهجرته.

المطلب الأول

اسم ونسب إبراهيم عليه السلام

أولاً: اسم إبراهيم عليه السلام:

كثر ذكر اسم إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم؛ حتى ورد اسمه في خمس وعشرين سورة من القرآن، ومجموع مرات ذكره هو تسع وستون مرة[1]. والأصل في إبراهيم من برهم أي أدام النظر، وإبراهيم اسم أعجمي[2]، "وفي اسم إبراهيم ست لغات وهي إبراهيم وإبراهام وإبراهوم وإبرهم بغير ياء وبفتح الهاء وكسرها وضمها"[3].

وقرئ لفظ إبراهيم في القرآن بألف هكذا "إبراهام" أو ياء "إبراهيم"، وهما لغتان بمعنى واحد[4]، وفي اختلاف القراءة سواء بالألف أو الياء يقول أبو منصور[5]:" القراءة بالياء لتتابع القراءة عليه، ومن قرأ إبراهام فهي لغة عبرانية تركت على حالها ولم تعرب"[6].

وورد في معنى إبراهيم عليه السلام ما ذكره ابن عطية[7] في تفسير قوله تعالى:﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾(البقرة: 124): أن معناه بالعربية أب رحيم[8].

([1]) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص: 2-3، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ/ 2001م.

([2]) انظر: لسان العرب، ابن منظور، 48/12، دار صادر، بيروت.

([3]) المطلع على أبواب الفقه، محمد بن أبي الفتح، تحقيق: محمد الأدلبي، ص: 430، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

([4]) انظر: الكافي في القراءات السبع، محمد بن شريح، تحقيق: جمال الدين شرف، ص: 65-66، دار الصحابة للتراث، طنطا. وانظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، صححه: علي الصباغ، 221/2. وانظر: والقراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محيسن، 313/1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.

([5]) أبو منصور: محمد بن أحمد بن الأزهر أبو منصور اللغوي الأديب الشافعي المذهب الهروي، توفي:370هـ، صنف كتاب التهذيب في اللغة والتقريب في التفسير. انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 164/16- 165، دار المستشرق، بيروت، ط2.

([6]) معاني القراءات، أبو منصور البغدادي، تحقيق: عيد درويش وعوض القوزي، 175/1-176، ط1، 1412هـ/1991م.

([7]) ابن عطية:عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحربي، ولد: 480هـ، ومن آثاره التفسير المسمى" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، توفي: 546هـ. انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، 282/3، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.

([8]) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، 347/1.

ويؤكد هذا المعنى السهيلي[1]؛ فهو يرى ذلك لرحمة إبراهيم عليه السلام بالأطفال، فكان وزوجته سارة كافلاً لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغارًا إلى يوم الدين[2]. ويوافق القرطبي قول ابن عطية لورود الدليل في ذلك عند البخاري من حديث الرؤيا الطويل والذي جاء فيه "... **وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ...** "[3][4].

ثانياً: نسب إبراهيم عليه السلام:

هناك اختلاف جلي في نسب إبراهيم عليه السلام، وخصوصاً في اسم والده؛ إذ دار اختلاف بين أن يكون اسمه آزر كما في صريح القرآن أم يكون تارخ كما ذكر في التوراة[5]، وعليه فقد انقسم المفسرون في أقوالهم إلى ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: القول بأن آزر هو اسم أبي إبراهيم عليه السلام، وقد قال بذلك الطبري في تفسيره بعد ذكر أقوال في المسألة فقال:" فأولى القولين بالصواب منهما عندي قول من قال: " هو اسم أبيه"، لأن الله تعالى ذِكْره أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم"[6].

القول الثاني: القول بأن آزر ليس اسم أبيه بل هو تارح أو تارخ، و أن آزر اسم صنم له، وممن قال بذلك ابن عباس ومجاهد والزجاج[7]؛ فقال ابن عباس:"إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه

([1]) السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ولد: 508هـ صاحب الروض الأنف في السيرة، وله من التصانيف: مسألة رؤية الله في المنام ، توفي 581هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، ترتيب: حسان عبد المنان، 508/1، بيت الأفكار الدولية، بيروت. والأعلام للزركلي، 144/3.

([2]) انظر:الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، راجعه: محمد الحفناوي، خرج أحاديثه: د.محمود عثمان، 103/2، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1416هـ/1996م.

(3) انظر: المصدر السابق، 103/2.

([4]) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، ص:(1346) كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم الحديث:(7047)، بيت الأفكار الدولية، بيروت، 1419هـ/1998م.

([5]) سفر التكوين، إصحاح:11، فقرة:26.

([6]) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، 240/5، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1420هـ/ 1999م.

([7]) الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السِّري، نحوي زمانه، له من التصانيف: معاني القرآن، توفي: 316هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: 695/1. والأعلام: 43/3.

آزر وإنما كان اسمه تارح"[1]. وقال مجاهد:" آزر لم يكن بأبيه، إنما هو صنم"[2]، وقال الزجاج:" وليس بين النسابين خلاف أن اسم أبي إبراهيم تارح"[3].

وهناك من يروج طهارة نسب النبي _صلى الله عليه وسلم_ فيرفض أن يكون آزر أباه بل يعدونه عمًا لإبراهيم عليه السلام، وبذلك يطهروا نسب النبي_ صلى الله عليه وسلم_ من أن يكون في آبائه مشرك، وأن إبراهيم ما حاور إلا عمه، وأما أبوه فلم يكن مشركاً! وممن أشاد بهذا الرأي الإمام السيوطي، وتبعهم من المُحْدَثين الشيخ الشعراوي، قال السيوطي:" ... وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم عليه السلام ما كان من الكافرين، إنّما ذاك عمه"[4]. وأما الشعراوي فيذكر أنه لو كان آزر هو والده ومات على الكفر فهذا يعني بُعْد الطهارة في نسب النبي _ صلى الله عليه وسلم_ واستدل بالحديث القائل:" **لم يلتق أبواي في سفاحٍ قَطُّ، لم يزل الله -عَزَّ وجَلَّ- ينقلني مِنَ الأصلابِ الطَّيبةِ إلى الأرحامِ الطَّاهرةِ، مُصفًّى مُهذَّباً لا تتشعبُ شُعبتانِ إلا كُنتُ في خيرِهما** "[5][6].

القول الثالث: القول بأن آزر لقب وليس باسمه، وممن قال بذلك مقاتل بن حيان وابن الأنباري[7]، قال ابن الأنباري:" قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به أشهر منه باسمه"[8].

([1]) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد الألباني، 172/3، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1423هـ/2002م.

([2]) تفسير الطبري:239/5.

([3]) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم الزجاج، تعليق: عبد الجليل شلبي، 265/2، عالم الكتب، ط1، 1408هـ/ 1988م.

([4]) الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، جلال الدين السيوطي، 210/2، مكتبة الرياض الحديثة.

([5]) انظر: قصص الأنبياء، محمد متولى الشعراوي، جمع: منشاوي جابر، 459/1-460، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

([6]) أخرجه السيوطي في الخصائص الكبرى وعزاه إلى أبي نعيم الأصفهاني عن ابن عباس، الخصائص الكبرى: جلال الدين السيوطي، 37/1، دار الكتب العلمية، بيروت.

([7]) مقاتل بن حيان بن دوال دور النبطي البلخي، عالم ومحدث، توفي: 150هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، 3924/3. ابن الأنباري: محمد بن القاسم بن بشار، ولد 272هـ، مقرئ نحوي، له من التصانيف: الوقف والابتداء. توفي: 328هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، 3641/3.

([8]) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الله، 49/3، دار الفكر، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.

ولم يمنع الطبري أن يكون له اسمان كما لكثير من الناس[1]، وحسّن ابن كثير رأي الطبري فقال:"... وهذا الذي قاله جيد قوي والله أعلم"[2].

الراجح من الأقوال:

بعد البحث والتفصيل في الأقوال واستخلاصها، فيتبين أن الراجح في اسم والد إبراهيم عليه السلام؛ هو آزر وذلك لما يأتي:

1. صراحة القرآن والسنة بأن والد إبراهيم هو آزر، فمن صريح القرآن قول الله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً...** ﴾ (الأنعام:74) وأما في السنة فقول النبي صلى الله عليه وسلم:" **يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ ...**"[3].
2. صراحة القرآن في عدة مواطن أن والد إبراهيم كان على الشرك، وأن إبراهيم دعاه فلم يستجب، وأنه استغفر له حتى تبين له أنه عدو لله، فتكرار لفظ أبت دليل أنه يخاطب أباه، كما في قوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً* يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدْ الشَّيْطَان إِنَّ الشَّيْطَان كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً* قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً* قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً**﴾(مريم:42_47) وقوله:﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**﴾ (الزخرف:26) والصحيح حمل الآية على ظاهرها دون حملها على المجاز إلا لضرورة، أو وجود قرينة، فالآيات السابقة صريحة لإثبات أبوة آزر لإبراهيم وأنه مات على الشرك وليس عمه[4].
3. وأما قول الزجاج:" وليس بين النسابين خلاف أن اسم أبي إبراهيم تارح" فضعّفه الرازي؛ لأن الإجماع أصله واحد واثنين فتم نقله ليصبح بعد ذلك إجماعًا، ولأنه يخالف صريح القرآن[5].

---

(1) انظر: تفسير الطبري، 5/ 240.

(2) تفسير ابن كثير، 173/3.

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى:" واتخذ الله إبراهيم خليلاً" رقم الحديث: (3350) ص: 640.

(4) انظر: أدلة معتقد الإمام أبي حنيفة في أبوي الرسول_ عليه الصلاة والسلام_ للإمام علي القاري، تحقيق: د.جابر السميري، ص:82.

(5) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 70/4، دار الفكر، بيروت، ط2، 1398هـ/1978م.

4. وأما استدلال الفريق الثاني بالحديث:" **لم يَزَلْ الله يَنْقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحـــام الطاهرات**" على طهارة نسب النبي صلى الله عليه وسلم من الشرك فمردود من وجوه:

أ) ضعف الحديث فالحديث أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس، وأخرجـــه ابـــن الجوزي في الموضوعات، وضعف الألباني إسناده[1].

ب) أن المقصد من الحديث طهارة نسب النبي صلى الله عليه وسلم من السفاح، واللفظ ظـــاهر من الحديث بكلمة سفاح؛ كما دوّن السيوطي في ذكر الأحاديث فقال:" باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بطهارة نسبه وأنه لم يخرج من سفاح من لدن آدم"[2] ودعم ذلك بأحاديث من الصحيح في هذا المعنى، كالحديث الذي رواه مسلم من حديث واثلة بن الأسقع قال: ســـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْـــمَعِيلَ وَاصْـــطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِـــنْ بَنِـــي هَاشِـــمٍ**"[3]. وقـــال القاري[4] في هذا المعنى:" فكأنه أراد به لفظ المختار والكريم والأطهار، وهو لا دلالة فيـــه على الإيمان أصلًا، وإلا فيلزم منه أن تكون قبيلة قريش كلهم مؤمنين، للحـــديث:" **إِنَّ اللَّـــهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِـــمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**"[5].

5. وأما من قال أن آزر لقب وليس اسمه أو هو اسم صنم؛ فلا دليل عليه سوى ما ذكر عند أهل الكتاب، وليس ما ذكر عندهم حجة لنا، بل القرآن هو الحجة لنا فـــي كـــل شيء، وما دام التصريح ظهر فكفى به دليلاً، ولا يرد بأي قول والله أعلم.

يتبين مما سبق أن اسم إبراهيم عليه السلام هو: إبراهيم بن آزر.

([1]) انظر: الخصائص الكبرى السيوطي 37/1، والموضـــوعات لابـــن الجـــوزي، تحقيـــق: عبـــد الـــرحمن عثمان،281/1، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـــ/1983م. وإرواء الغليـــل، ناصـــر الـــدين الألبـــاني، إشراف: محمد الشاويش، 332/6، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1399هـــ/ 1979م.

([2]) الخصائص الكبرى، 37/1.

([3]) صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجـــر عليه قبل النبوة، رقم الحديث:(2276) ص: 1208، دار ابن رجب، المنصورة، ط1، 1422هـــ/2002م.

([4]) القاري: نور الدين علي بن سلطان محمد القاري الهروي، تتلمذ على يد ابن حجـــر الهيثمـــي، لـــه مرقـــاة المصابيح، انظر: خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر، محمد المحبي، 185/3، دار صادر، بيروت، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة،100/7، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

([5]) أدلة معتقد الإمام أبي حنيفة في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام، ص:88.

المطلب الثاني

حياة إبراهيم عليه السلام وهجرته

أولاً: مولد إبراهيم عليه السلام:

لم يذكر القرآن مكان ولادة إبراهيم عليه السلام، وإنما ذكر مكان إقامته عليه السلام وإقامة لوط في الأرض المباركة، بعد أن دعا قومه فلم يستجيبوا له؛ فهاجر إليها، وذلك واضح من قوله تعالى: ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنبياء:71).

واختلف المؤرخون في مكان ولادة إبراهيم عليه السلام، وصحح ابن عساكر في تاريخه أن مولده ببابل[1][2].

كان ميلاد إبراهيم عليه السلام في زمن النمرود؛ قال الطبري:" والذي عليه عامة السلف أن مولده زمن نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن سام بن نوح"[3]. وإن صح نسبه فإن الملاحظ قلة الفارق الزمني بين نوح وإبراهيم عليهما السلام، وأن إبراهيم عليه السلام من سلالة المؤمنين الذين نجوا من الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح الكافرين، ومن ذلك قول الله: ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ**﴾(الصافات:77).

ثانياً: مراحل حياة إبراهيم عليه السلام:

نشأ إبراهيم عليه السلام في كنف أبيه؛ المشهور بصناعة الأصنام لقومه، ولكن الله منّ على إبراهيم عليه السلام بالخير والرشد في صغره، وابتعثه رسولاً، ثم اتخذه الله خليلاً، قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ** ﴾(الأنبياء:51).

لم توجد تفصيلات في القرآن والسنة عن حياة إبراهيم عليه السلام قبل النبوة، لذا اقتصر الحديث عن حياته بعد النبوة؛ لوروده في القرآن والسنة.

---

(1) بابل: اسم ناحية من الكوفة، ويقال أول من سكنها نوح، وورد فيها قول الله :" وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت"(البقرة101)، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق: فريد الجندي، 309/3، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ/1990م.

(2) انظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق: عمر العمروي، 164/6، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/ 1995م. وانظر: قصص الأنبياء، محمد ابن جرير الطبري، تحقيق: جمال بدران، ص:112، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1420هـ/2000م.

(3) قصص الأنبياء، الطبري، ص:112.

1) دعوته في بلده:

بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته بأبيه آزر، فدعاه إلى نبذ عبادة الأصنام وعبادة الله وحده، وكان أسلوبه يتسم بالرقة والإقناع، لكن أباه أصرّ على الكفر، ولم يكتف بذلك، بل هدده بالرجم؛ فلم يكن من إبراهيم عليه السلام إلا أن يقابله بالسلام والاستغفار، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً*يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدْ الشَّيْطان إِنَّ الشَّيْطان كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً* قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً* قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً**﴾ (مريم: 42_47).

والمتتبع لحياة إبراهيم عليه السلام في الدعوة فإنه يدرك أن دعوته عليه السلام لم تقف عند أبيه، بل تعدته إلى قومه وكانوا على قسمين: عبدة الأصنام، وعبدة الكواكب، وأول ما بدأ بدعوته لقومه الذين عبدوا الأصنام فقال لهم: ﴿ **.. مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**﴾(الأنبياء:52)، فقد دعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام؛ لأنها لا تنفع ولا تضر من دون الله، ولا تنفع نفسها فضلا عن أن تنفعهم، واستخدم المنطق والحجة القوية معهم ليبين لهم سخافة اتباعهم لآبائهم دون تفكير، كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ* أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾(الأنبياء:66_ 67) فتركهم في عيد لهم خرجوا فيه، فراغ إلى أصنامهم فحطمها إلا كبيراً لهم:﴿**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ** ﴾ (الأنبياء:58)، ولما رجعوا من عيدهم، دهشوا لما رأوا ما عليه آلهتهم، فطلبوا الفاعل لذلك، فقال بعضهم: ﴿ **قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** ﴾ (الأنبياء:60) فأتوا به على أعين الناس، وسألوه عن سبب صنيعه فرد عليهم بالعقل مدللاً عجز هذه الأصنام وضعفها؛ كما في قول الله جل وعلا: ﴿ **قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**﴾(الشعراء: 72_73) فما كان منهم إلا أن ألقوه في النار ﴿ **قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ**﴾ (الصافات:97) فحماه الله منها بعد أن جعلها برداً وسلاماً عليه ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾(الأنبياء:69).

وأما دعوته عبدة الكواكب منهم، فقد دعاهم للبعد عن عبادة الكواكب واللجوء لعبادة الواحد الأحد، وبين لهم أفول هذه الكواكب، وأنه لا يمكن لإله أن يغيب بين الفينة والأخرى؛ ليخرج آخر، وكان عليه السلام بمثابة المناظر لهم، فقويت حجته أمام قومه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّيۤ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* وَكَذَٰلِكَ نُرِيۤ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لاۤ أُحِبُّ ٱلآفِلِينَ* فَلَمَّآ رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ**

أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ* فَلَماَّ رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيۤءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:74-83).

وقد دعا نمرود بابل إبراهيم عليه السلام حين سمع به، فحصلت مناظرة بين النمرود وإبراهيم عليه السلام، وهي المذكورة في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (البقرة:258) فقد قام إبراهيم عليه السلام بدحض مقولة النمرود والرد عليه بما ألجم لسانه، وبما أفحم عقله، فسقط النمرود في يده وبهت لقوة الحجة والبرهان[1].

ويذكر الطبري أن النمرود كان سبباً في حرق إبراهيم عليه السلام[2]، وأما ابن كثير فيرى أن الإحراق كان بعد تحطيم الأصنام من قومه ثم كانت المناظرة مع النمرود[3]، ويتبين أن الحرق كان بعد مناقشته لقومه، لدلالة الآيات على سرعة ما فعله القوم بإبراهيم بعد محاورته لهم كما قال تعالى:﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾(الأنبياء:68) وفي قوله تعالى:﴿ **قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ**﴾(الصافات: 97). فالغلبة في آية المحاجّة مع النمرود كانت لإبراهيم عليه السلام، ولذلك ذكر بُهْت النمرود بعد المحاجّة والله أعلم.

2) هجرة إبراهيم عليه السلام:

أ) **هجرته إلى الشام**: بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام أباه وقومه، وقوبل بما قوبل به من إلقاء في النار، وظهور المعجزة أمام قومه؛ قرر عليه السلام أن يهاجر من بلده العراق فهاجر ولوط عليه السلام الذي آمن به إلى الأرض المباركة. وذكر هذا في القرآن الكريم فقال تعالى:﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (العنكبوت:26) وقال أيضاً: ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: 71).

ب) **هجرته إلى مصر**: وبعد هجرته عليه السلام إلى الشام إلى الشام هاجر وسارة إلى مصر، كما في الحديث الصحيح:" **هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام بِسَارَةَ فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنْ الْمُلُوكِ أَوْ**

([1]) انظر: تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ص:239_240، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1387هـ/ 1967م، و قصص الأنبياء، إسماعيل ابن كثير، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ص: 132_142، دار الفجر، القاهرة، ط1، والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صلاح الخالدي، ص:315_ 316، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ/1998م.

([2]) انظر: قصص الأنبياء، الطبري، ص: 120.

([3]) انظر: تفسير القرآن العظيم، 365/1.

جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ..."[1]، وهذا الجبار كان على مصر[2]، وقد وهب الجبار هاجر لسارة بعد أن نجاها الله من الطاغية كما بان من الحديث " **فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ**"[3].

ت) **رجوعه إلى الشام:** وبعد ذلك رجع بسارة ومعها خادمتها هاجر إلى الشام مرة أخرى، وهناك عرضت سارة على إبراهيم عليه السلام أمتها هاجر، وقالت: إنا حرمنا الولد، فادخل على أمتي هاجر لعل الله يرزقنا منها ولداً، وفعلاً قدّر الله أن ينجب منها إسماعيل عليه السلام[4]. وكانت المعجزة الإلهية أن رزقه الله الولد في سن كبير وكان إسماعيل عليه السلام بكره ودليل ذلك من القرآن﴿ **الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء** ﴾ (إبراهيم:39).

ث) **هجرته إلى مكة:** وعندما رزق الله إبراهيم عليه السلام الولد، أمره الله أن يأخذ ابنه الرضيع وأمّه إلى بلاد الحجاز، ويضعهما في وادٍ غير ذي زرع، وامتثل إبراهيم عليه السلام لأمر الله، فهو المستسلم لأوامره، وهذا ما مدحه الله به في كتابه حينما قال عنه: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (البقرة:131) وبعد أن تركهما في الوادي لحقت به هاجر تسأله عن سبب تركه لها في هذا الوادي المقفر، كما ظهر ذلك في الحديث الذي رواه البخاري: **عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:" أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ**[5] **مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعَفِّيَ**[6] **أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ**[7] **فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا**[8] **فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ**

([1]) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، رقم الحديث:(2217) ص:413.

([2]) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق:عبد العزيز بن باز و محمد عبد الباقي، 475/6، دار الحديث، ط1، 1419هـ/1998م.

([3]) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:" واتخذ الله إبراهيم خليلا" رقم الحديث: (3358) ص:641.

([4]) انظر: تاريخ الرسل والملوك،254/1، والبداية والنهاية، 154/1.

([5]) المِنْطق: ما تلبس المرأة ثوبها ثم تشد وسطها بشيء وترفع ثوبها وترسله إلى الأسفل عند معاناة الأشغال، لئلا تعثر في ذيلها. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعدات ابن الأثير، أشرف عليه: علي الحلبي، ص: 924، دار ابن الجوزي، ط2، 1423هـ.

([6]) تعفي: تمحو، انظر: المصباح المنير، أحمد المقري، ص: 249، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1421هـ/2000م.

([7]) الدوحة: الشجرة العظيمة، انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، 310/2، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م. وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: 314.

([8]) الجراب: وعاء يحوي شيئا، انظر: معجم مقاييس اللغة،449/1، ولسان العرب، 228/2، مادة جرب.

ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ أَاللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَتْ إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ:" رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ حَتَّى بَلَغَ يَشْكُرُونَ..."[1] فاستجاب الله دعاءه وهاهي مكة اليوم تعمر في كل وقت وحين، وفي مكة حدث ما حدث من بركة زمزم، والأمر بذبح إسماعيل، وفدائه بكبش عظيم، وبناء البيت الحرام على فترات.

ج) **رجوعه إلى الشام:** بعد أن ترك إبراهيم عليه السلام هاجر وابنه إسماعيل في الحجاز، رجع للشام مرة أخرى وهناك بُشّر وسارة بإسحاق نبياً بعد أن أصبح كبيراً في السن، كما قال تعالى في كتابه محدثاً عن إتيان الملائكة بالبشرى فقال: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ* فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ* وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ* قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ* قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ (هود:69_73).

ثالثاً: وفاة إبراهيم عليه السلام:

لم أجد في وفاة إبراهيم عليه السلام في القرآن والسنة شيئاً، ولكن ما ذكر في كتب التاريخ عن وفاته؛ أن ملك الموت أتاه في صورة شيخ هرم، وأنه مات وهو ابن مائتي سنة وقيل أقل من ذلك[2].

وأما عن مكان وفاته فذكر بعض أهل السير والتاريخ أن مكان وفاته بالخليل بفلسطين، قال ابن كثير:" فقبره وقبر ولده إسحاق وقبر ولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم، وهذا تلقي بالتواتر أمةً بعد أمةٍ وجيلاً بعد جيل من زمن بني إسرائيل إلى زماننا هذا أن قبره بالمربعة تحقيقاً"[3].

---

(1) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله" واتخذ الله إبراهيم خليلا"، رقم الحديث: (3364) ص:642.

(2) انظر: قصص الأنبياء للطبري، ص: 181 والكامل في التاريخ، ابن الأثير،70/1، دار الكتب العلمية، بيروت.

(3) البداية والنهاية، 175/2.

ويبين ابن كثير أن في تعيين قبره من بين القبور ليس فيه خبر صحيح، ولكــن يــدعو لاحترام هذه القبور، ولا يداس عليها كي لا يداس على قبره أو قبور أبنائه إن ثبت ذلك[1].

([1]) انظر: البداية والنهاية، 175/2.

المبحث الثاني

دين إبراهيم عليه السلام وصفاته

المطلب الأول: دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية.

المطلب الثاني: صفات إبراهيم عليه السلام.

المطلب الأول

دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية

أولاً: تعريف الحنيفية في اللغة:

ذكر الخليل بن أحمد[1] في معنى الحنيفية لغة؛ الحنف ميل في صـــدر القَــدَم، ورَجُــل أَحنف، ويقال: تحنّف فلان إلى الشيء تحنّفاً إذا مال إليه، والحنيف في قول: المسلم الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة إبراهيم حنيفاً مسلمًا، وأحب الأديان إلى الله الحنيفية الــسمحة وهـــي ملة النبي محمد صلى الله عليه وسلم[2].

وأما ابن فارس[3] فإنه يعرفها بأصلها فيقول:" حنف الحاء والنون والفاء أصل مـــستقيم وهو الميل، يقال للذي يمشي على ظهور قدميه أحنف.... والحنيف المائل إلى الـــدين المـــستقيم ﴿ **وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً**﴾ والأصل هذا، ثم يتسع في تفسيره فيقال الحنيـــف الناســـك، ويقـــال المختون، ويقال يتحنف أي تحرى أقوم الطرق"[4]. وعليه فإن معنى الحنيفية في اللغة الميل عن الشيء.

ثانياً: تعريف الحنيفية في الاصطلاح:

قال الأزهري[5]:" من كان على دين إبراهيم فهو حنيف" وقال:" وكان عبدة الأوثان فـــي الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيم فلمّا جاء الإسلام سُمّوا حنيفا"[6].

قال الراغب الأصفهاني[7]:" الحنف هو ميل عن الضلال إلى الإسلام، والحنف ميل عن الاستقامة إلى الضلال، والحنف هو المائل إلى ذلك قال عز وجل(**قانتا لله حنيفا**) وقال(**حنيفـــا**

([1]) هو: الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، له كتـــاب العـــين والعروض، توفي:170هـــ، انظر: الأعلام، 314/2.

([2]) انظر: مادة حنف، العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: د. عبد الحميـــد هنـــداوي، 1/ 365_366، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـــ/ 2003م

([3]) هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، اللغوي المحدث، له من التصانيف: المجمل توفي:395هـــ، انظر: سير أعلام النبلاء: 878/1.

([4]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة حنف. 110/2_111.

([5]) هو: محمد بن أحمد بن أزهر الأزهري من رؤوس اللغة والفقه، ولد: 282هـــ له من التـــصانيف: تهـــذيب اللغة، والأسماء الحسنى، توفي: 370هـــ، انظر: سير أعلام النبلاء، 3212/3_3213.

([6]) تهذيب اللغة، محمد الأزهري، إشراف: محمد مرعب، تعليق: عمر سلامي، عبد الكريم حامـــد،72/5، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1421هـــ/ 2001م.

([7]) هو: الراغب الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني المعـــروف بالراغـــب، أديـــب لـــه مـــن التصانيف: الأخلاق والمفردات في غريب القرآن، توفي:502هـــ. انظر الأعلام، 255/2.

مسلما) وجمعه حنفاء، قال عز وجل: (**واجتنبوا قول الزور، حنفـــاء لله**)، وتحنـــف فـــلان أي تحرى طريق الاستقامة"[1]، والظاهر من كلامه أنه اختار الحنف بمعنى الميل، فذكر أنـــه ميـــل للإسلام، أو عن الإسلام، ثم رجّح الميل للإسلام مستدلاً بقول الله تعالى:" واجتنبوا قول الـــزور، حنفاء لله".

من خلال التعريفات السابقة يلاحظ أن الحنيفية هي: الميل عن عبادة الأوثـــان وغيرهـــا من العبادات الضالة إلى ما دعا إليه إبراهيم عليه السلام من التمسك بدين الله القـــويم؛ أي هـــي الميل عن الشرك إلى دين الله وهو الإسلام.

ثالثاً: الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام:

وردت الحنيفية في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة باختلاف لفظها بالإفراد أو الجمـــع، واقترنت في ثمانٍ منها بإبراهيم عليه السلام[2].

ويظهر من القرآن تنازع طوائف مختلفة على إبراهيم عليه السلام في حقيقة دينه الـــذي كان عليه، كاليهود والنصارى والعرب، فزعم اليهود أن إبراهيم كان يهودياً، لأنهم أبناء إسحاق ولد إبراهيم عليه السلام، وزعمت النصارى أن إبراهيم كان نصرانياً، وادّعت نسب عيسى لـــه من ناحية أمه التي ترجع لإبراهيم[3]، وأما العرب فادّعوا أنهم على دين إبراهيم الحنيفية؛ لزواج إسماعيل من قبيلة جرهم العربية التي قطنت عنده بعد حادثة زمزم، ولكن الله أبطـــل زعمهـــم ودحض افتراءاتهم، ورد عليهم فقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْـــلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ* وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ* أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُـــدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـــهَكَ وَإِلَـــهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـــهاً وَاحِداً وَنَحْـــنُ لَـــهُ مُسْلِمُونَ* تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّـــا كَـــانُوا يَعْمَلُـــونَ* وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُـــشْرِكِينَ**" إلـــى قوله " **أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى قُـــلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (البقرة: 130_140) فقد بين الله زيف دعواهم بقوله: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَـــوْتُ إِذْ قَـــالَ**

---

(1) المفردات، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني ص:133، دار المعرفة، بيروت.

(2) انظر: المعجم المفهرس في ألفاظ القرآن، ص: 270.

(3) انظر: القصص القرآني، د. صلاح الخالدي، ص: 450، وانظر: مقالة بعنوان ملة إبراهيم، محمد خليفـــة، مجلة الأزهر، السنة58، العدد:1، ص: 38.

لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ... ﴾ والاستفهام للتوبيخ، أي كيف تقولون ذلك وأنتم تنسبون لإبراهيم ما كان وصيته خلاف ما تدعون، وبقيتم على اليهودية والنصرانية المحرفّة، أم شهدتم يعقوب وعلمتم بوصيته فتدعون عن علم؟ وأنتم لم تشهدوا، بل هو زيف وافتراء[1].

وفي الآيات السابقة دلالات للرد على اليهود والنصارى:

1. أنّ ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام، ويظهر ذلك من قوله:﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ فقد اصطفاه الله حين أسلم له[2].
2. أنّ هناك أقواماً سفهاء غيّروا ملة إبراهيم عليه السلام، وعليه كان الخطاب موجهاً لهم بالسفه، فمن حاد عن ملة إبراهيم عليه السلام فقد سفه نفسه "**إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**"، فالذين سفهوا أنفسهم هم اليهود والنصارى إذ اتخذوا اليهودية والنصرانية ديناً مبتدعاً وليس من الله.[3]
3. أنّ وصية إبراهيم لبنيه وبني بنيه من بعده كانت من جانبين: بيان أن الإسلام دين الله المصطفى على البسيطة، والحرص على الإسلام بالثبات عليه إلى الموت.
4. ادّعاء اليهود والنصارى الهدى في دينهم، فرد الله عليهم بأن الهدى في الدين الحق وهو الإسلام الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام، وهو الحنيفية .
5. أن الله سمى إبراهيم حنيفاً في الآيات وسمي بذلك لأنه حنف إلى الإسلام دين الله[4].
6. إبطال الله دعوى المشركين بنسبتهم لإبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ **وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ فقد زعموا أنهم على الحنيفية وقد عبدوا الأصنام، واستقسموا بالأزلام، واتّهموا إبراهيم عليه السلام بذلك وابنه إسماعيل، فعلّقوا صورة لهما بفناء الكعبة وهما يستقسمان بالأزلام، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أزالها لما فتح مكة كما في الحديث:" عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامُ**[5]**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ**"[6].

([1]) انظر: تفسير القرطبي، 143/2.

([2]) انظر: المصدر السابق، 139/2

([3]) انظر: تفسير الطبري، 608/1_609.

([4]) انظر: تفسير القرطبي، 145/2

([5]) الأزلام: أقداح في الجاهلية مكتوب عليها أمر ونهي، وافعل ولا تفعل، وضعت في الكعبة. انظر: لسان العرب 75/6.

([6]) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من كبّر في نواحي الكعبة، رقم الحديث:(1601)، ص:310.

بل ويصل الأمر بهم لأن يحاجّوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إبراهيم عليه السلام، وقد أخبر الله عنهم بذلك في قوله:﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ، هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران: 65_68) وقد نزلت في نصارى نجران وأحبار اليهود حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنازعوا عنده فقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، وقالت اليهود: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وفي الآية نداء من الله موجه لأهل الكتاب؛ لإعمال العقل لديهم، فخاطبهم بما يفحمهم، والرد عقلي إذ كيف تزعمون أنه كان يهودياً أو نصرانياً وزمانه قبل نزول التوراة والإنجيل؟ ثم أنكر عليهم محاجّتهم بغير علم، والأوْلى أن يحاجّوا عن علم، وإلا فليتركوا قولهم ودعواهم لمن بيده علم الغيب والشهادة فهو يعلم ولا يعلمون، بل إن الله أثبت في كتابه خلاف دعواهم، وهو أن إبراهيم عليه السلام كان متحنفاً عن الشرك قاصداً إلى الإيمان، وأولى الناس به من اتبع ملته على الحقيقة لا القول وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن اتبع نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون[1]، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلاَةً مِنْ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ وَلِيِّي أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي ثُمَّ قَرَأَ(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)**[2].

قال الزجاج:" هذه الآية أبين حجةً على اليهود والنصارى، إذ التوراة والإنجيل أنزلا من بعده، وليس فيهما اسم لواحد من الأديان، واسم الإسلام في كل كتاب"[3].

وليس غريبًا أن نجد للديانة الإبراهيمية دعاةً من اليهود والنصارى، ونسبتها إليهم، وأول من أطلق مصطلح الإبراهيمية المفكر الفرنسي روجيه جارودي[4]، في فبراير سنة سبع وثمانين وتسعمائة بعد الألف الميلادي، فسمى الملتقى الإبراهيمي، وقال:" لقد عرفت الإيمان

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، 34/2_35.

([2]) سنن الترمذي، أبوعيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومصطفى الذهبي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، رقم الحديث:(2995)، 68/5، صححه الترمذي، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ/2005م.

([3]) تفسير القرطبي: 115/4.

([4]) روجيه جارودي: أديب ومفكر وفيلسوف فرنسي، ولد: 1913م، اعتنق الماركسية في شبابه ثم تخلى عنها بعد أن ألف كتابا لنقدها، اعتنق الإسلام في 1402هـ وسمى نفسه رجاء جارودي، دعا لتوحيد الأديان، تكلم فيه ابن باز فقال: لم يزل على كفره وإلحاده. انظر: مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، 193/9، موقع روح الإسلام، www.islamspirit.com نقل بتاريخ: 2/7.

الإبراهيمي عن طريق كيركجارد_ فيلسوف دينماركي_ واليوم أقوم بهذه المبادرة بالاشتراك مع أصدقائي اليهود والكاثوليك والبروتستانت، فإنني أتابع المسير بقصد تجميع الإيمان الإبراهيمي"، وقد أعرب بعض المتحدثين في الملتقى عن هدفهم في ذلك؛ وهو إنهاء أي ميزة لدين معين، والوصول إلى حل مشترك بين الديانات تحت مسمى الإبراهيمية، وتحقيق وحدة فيما بينها، ولا شك أن هذه الدعوة كفرية، يضعونها تحت اسم نبي الله إبراهيم عليه السلام، ونبي الله إبراهيم منهم براء، كما تبين في الآيات السابقة، ولذا كان هذا المصطلح غير جائز لما فيه من إحداث لبس على المسلمين، وفتح الباب للزنادقة والملحدين للدعوة إلى وحدة الأديان، لعلمهم بعظمة الإسلام، وتميّزه على الأديان الأخرى، فلطالما سعوا لإطفاء نور الله بأفواههم، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون[1].

وأمر الله نبيّه وأمّته باتباع ملة إبراهيم عليه السلام فقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (النحل: 123) وقال أيضا: ﴿ **قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (آل عمران: 95) قال ابن كثير:" أي اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فإنه الحق الذي لا شك فيه ولا مرية وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم[2] كما قال تعالى :﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾" (الأنعام:161) ولذا كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة: " **وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ**.."[3] وكان من قوله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح وإذا أمسى:" **أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ**"[4].

وتوجّه إبراهيم عليه السلام إلى ربه بعد أن حاور من قومه عبدة الكواكب فقال:﴿ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(الأنعام:79)

([1]) انظر: الديانات الإبراهيمية، أحمد بن عبد الرحمن القاضي، تاريخ الفتوى:1426/10/21، تاريخ النقل:2007/7/30، موقع إسلام اليوم. **www.islamtoday.net/questions**

([2]) تفسير ابن كثير، 46/2.

([3]) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامها، رقم الحديث:(1290) ص:721.

([4]) مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، رقم الحديث:(15360)، قال عنه الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، 77/24، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1420هـ/ 1999م.

أي "أخلصت ديني، وأفردت عبادتي للذي فطر السماوات والأرض، أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق، حنيفاً أي في حال كوني حنيفاً؛ أي مائلاً عن الشرك إلى التوحيد"[1].

وقد مدح الله من أخلص دينه لله واتبع ملة إبراهيم عليه السلام فقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾ (النساء: 125) أي من أفضل ممن أخلص دينه لله، وأذعن له وتوجه له بالعبادة وهو موحد، واتبع الإسلام الذي هو دين إبراهيم عليه السلام[2]، فكان أول من اعتنق دين إبراهيم عليه السلام في الجاهلية، وحظي بالشرف في اتباع ملة إبراهيم عليه السلام هو زيد بن عمرو بن نفيل؛ كما ورد ذلك في الحديث الصحيح:" **أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنْ الدِّينِ وَيَتْبَعُهُ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنْ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ فَقَالَ إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ فَأَخْبِرْنِي فَقَالَ لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ قَالَ زَيْدٌ مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ قَالَ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا قَالَ زَيْدٌ وَمَا الْحَنِيفُ قَالَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنْ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَقَالَ لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ قَالَ مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ قَالَ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا قَالَ وَمَا الْحَنِيفُ قَالَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام خَرَجَ فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ**"[3].

ووصفه الله في كتابه بأنه حنيفاً في قوله: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(النحل: 120) قال الطبري:" وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن إبراهيم منهم بريء وأنهم منه برآء ﴿ **شَاكِراً لأَنْعُمِهِ**﴾ يقول: كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه، ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكاً من الآلهة والأنداد وغير ذلك، كما يفعل مشركو قريش"[4].

مما سبق يتبين أن الإسلام هو الدين الذي كان عليه الأنبياء، وإن اختلفت شرائعهم، وأنهم إليه دعوا وعلى رأسهم أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فدينهم واحد لقوله صلى الله عليه وسلم:" **أَنَا أَوْلَى النّاسِ بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إِخْوَةٌ**

([1]) تفسير ابن كثير، 174/3.

([2]) انظر: تفسير القرطبي، 399/5.

([3]) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل، رقم الحديث:(3827)، ص:727.

([4]) تفسير الطبري: 659/7.

لِعَلاَّتٍ[1]، **أمهاتهم شَتَّى ودينُهُم واحد**"[2]، وأن الحنيفية السمحة التي كان عليها إبـراهيم عليـه السلام هي أحب الأديان إلى الله ويظهر هذا من قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن أحـب الأديان إلى الله فقال:"**الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ** "[3]، والمقصود بالحنيفية عبادة الله وحده، والإخلاص له في الدين تلبية لما أمر الله به الناس في كتابه:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون**﴾ (الذاريات:56)[4] فمن التزم بهذا الدين هو الأولى والأجدر أن يكون ولياً لإبراهيم عليه السلام، ومن خالفه فليس أهلاً لولايته، وبهذا ليس هناك أدنى حق لولاية إبراهيم عليه السلام عند اليهود والنصارى؛ لمخالفتهم طريق إبراهيم عليه السلام، فمزاعمهم باطلة ودعواهم مردودة، فلا صلة لهم به عليه السلام لفسقهم وخروجهم عن الدين الخالد وهو الإسلام، فالعقيدة الإسلامية هي وراثة هذا النبي، ولكن لمن هذه الوراثة؟ إنها لمن سار على نهجه ومتى خالف فالوراثة له انعدمت، واليهود والنصارى فسقوا وخرجوا عن هذا الدين، بل افتروا على الله فلم يستحقوا هذه الوراثة، وكذلك المشركين الذين خالفوا دين إبراهيم عليه السلام، وانحرفوا عن عقيدته إلى الشرك، فسقطت دعواهم باستئثار البيت الحرام، وعمارته، وسقاية الحجيج، لأنهم لم يستقيموا على أمر الله، فسقطت كل دعواهم، وبقيت الوراثة لمن هم أحق بها وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من بعده لقول الله جل وعلا:﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران:68) فمن اتبعه هو أولى به لا من خالفه ثم زعم ولايته!.

ولم يكن ثمة نبي يدعو لليهودية أو النصرانية، وليست هناك يهودية صحيحة أو نصرانية صحيحة، إنّما هي بدعة ليست من الله[5]، وأن دعوتهم كانت للإسلام فقط، فكل دين سوى الإسلام باطل مردود يوم القيامة، ولن يقبل لقول الله عز وجل:﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (آل عمران:85).

([1]) عَلاَّت: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد، انظر: النهاية في غريب الحديث، ص: 638.

([2]) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله:" واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها"، رقم الحديث:(3443) ص: 663.

([3]) مسند أحمد، رقم الحديث:(2107) 17/4، قال عنه الأرنؤوط: صحيح لغيره.

([4]) انظر: الأصول الثلاثة وأدلتها، محمد بن عبد الوهاب، ص: 8.

([5]) انظر: تفسير الطبري،608/1.

المطلب الثاني

صفات إبراهيم عليه السلام

ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية صفات تميز بها إبراهيم عليه السلام، ويحسن للمرء المؤمن أن يقتدي بها في حياته، متأسّياً بأنبياء الله، مطبّقاً لقوله تعالى: ﴿**أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ (الأنعام:90) والتأسي بإبراهيم عليه السلام في صفاته وأخلاقه النبيلة؛ لهي من المنّة العظيمة لهذه الأمة أن تقتفي بأثر أبيها إبراهيم عليه السلام، لاسيما وأن القرآن الكريم قد نصّ على ذلك بقوله: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ**﴾ (الحج: 78) وبيّن الله في كتابه أنّ لنا في إبراهيم عليه السلام قدوة حسنة فقال جل وعلا: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ (الممتحنة: 4) ولذا جمعت صفات إبراهيم عليه السلام على كثرتها في الكتاب والسنة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً؛ لتكون عوناً للاقتفاء والاقتداء بها، وصنفتها على قسمين:

أ) صفاته في القرآن.

ب) صفاته في السنة.

أولاً: صفات إبراهيم عليه السلام في القرآن:

1. أبو الأنبياء

ورد في القرآن أن الله عز وجل جعل النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى:﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (الأنعام:84) وقال أيضاً:﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (العنكبوت:27) فالآيات السابقة تظهر أن الله شرف نبيه إبراهيم عليه السلام جزاءً له على طاعته لربه، وإخلاصه بالتوحيد له، واعتزال قومه المشركين بالله، بأن خصّ ذريته بالنبوة، فليس نبي بعده إلا وهو من ذريته[1].

ولهذا يلاحظ أن الله رزقه إسحاق ورزق ابنه إسحاق يعقوب الذي هو والد الأسباط، ومنهم أنبياء بني إسرائيل، وختم إسحاق بعيسى ابن مريم، وإسماعيل البكر هو أحد أجداد النبي

([1]) انظر: تفسير الطبري، 256/5 ، وتفسير ابن كثير، 178/3.

محمد صلى الله عليه وسلم في النسب إليه[1]، ويدعم أبوة إبراهيم عليه السلام قوله صلى الله عليه وسلم:" **فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمت عليه..**"[2].

بل إن نبي الله إبراهيم عليه السلام هو أب للمسلمين أيضا، يتضح ذلك من قول الله تعالى:﴿ **مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ** ﴾ (الحج: 78) وفي حديث ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول:" **إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**"[3].

2. الخلة:

اتصف نبي الله إبراهيم عليه السلام بصفة الخلة، فهي درجة من مراتب المحبة، وقد قصر الله هذه الصفة على نبيين اثنين من أنبيائه هما إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، يتبين ذلك من قول الله تعالى: ﴿ **وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾ (النساء:125) وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة المعروف، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:" أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِلَحْمٍ فَقَالَ:" **إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيُنْفِذُهُمْ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ فَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ فَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى**"[4]، والخلة: المودة، وسمى الله إبراهيم خليلاً لافتقاره إليه سبحانه في كل حال[5]، والخلة المحبة التي تخللت القلب فخالطته، وهي حقيقة ما في قلب إبراهيم عليه السلام، وأما في حق الله فعلى سبيل المقابلة[6].

وسمي إبراهيم عليه السلام بالخليل؛ لأنه والى في الله وعادى في الله؛ ولأنه اتصف بأخلاق حسنة وخلال كريمة، وقد أحب الله محبة لا نقص فيها ولا خلل[7].

([1]) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، ص:139.

([2]) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم الحديث:(3887) ص: 736_737

([3]) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:" واتخذ الله إبراهيم خليلاً"، رقم الحديث: (3371) ص: 646

([4]) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:" واتخذ الله إبراهيم خليلاً" رقم الحديث: (3111) ص: 642.

([5]) انظر: المفردات، ص: 153.

([6]) انظر: فتح الباري، 469/6.

([7]) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن،603/1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1375هـ/ 1955م.

3. **الابتلاء والإتمام والإمامة:**

لقد منّ الله على نبيه إبراهيم عليه السلام بأن اختبره فأتم ما ابتلي به فكان إماماً يقتدى به، كما يظهر من قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة:124) وهذه الآية تشمل ثلاث صفات لإبراهيم عليه السلام هي الابتلاء من الله بالكلمات، وإتمامه لها والوفاء بها، والإمامة والقدوة للناس؛ والابتلاء بمعنى الاختبار، قال ابن عباس:" ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم، ابتلي بالإسلام فأتمه"[1]، فكتب الله له البراءة فقال تعالى: ﴿**وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**﴾ (النجم:37) فكان كما أمره الله عز وجل فأثنى عليه بذلك. وأتمهن أي أدّاهن كاملةً بلا تأخير أو تفريط وعمل بهن[2]. وكان عليه السلام إماماً في أمور الدين؛ لذلك أمر الله الناس باتباع الأنبياء والاقتداء بهم في أمور دينهم[3].

4. **الرشد:**

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ**﴾(الأنبياء:51) والرشد هو الاهتداء لوجوه الصلاح ومعرفة طرق الخير، فحددت الآية الرشد الذي كان لإبراهيم عليه السلام قبل النبوة فقد هداه الله وهو صغير، وعلم بطاعته وتوحيده له، وذلك في قوله: ﴿ **وكنا به عالمين**﴾؛ أي علم الله أهلية إبراهيم عليه السلام للرشد والنبوة قبل بلوغه[4].

5. **الحلم والتأوه والإنابة:**

وصف الله نبيه إبراهيم عليه السلام بصفات حميدة؛ فقال: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ (التوبة:114) وقال أيضاً: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ**﴾ (هود:75) والحلم هو "ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب"[5]. وأوّاه كثير التأوه فيقول أوّه، وهو من يظهر خشيته من الله بقول أوّه[6]، وقيل بمعنى الدعّاء لكثرة ما دعا إبراهيم لأبيه واستغفر له مع شده أذاه[7]. والإنابة من نوب

---

(1) تفسير الطبري، 572/1.

(2) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله النسفي، تحقيق: مروان الشعار،123/1، دار النفائس، بيروت، ط1، 1416هـ/ 1996م.

(3) انظر:أحكام القرآن، الجصاص، مراجعة صدقي جميل،97/1، دار الفكر، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2001م.

(4) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، 361/2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/ 2002م.

(5) المفردات، ص: 129، وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، 256/8، دار مكتبة الحياة_ بيروت.

(6) انظر: المفردات، ص:32.

(7) انظر: تفسير ابن كثير، 134/4.

وهي الرجوع إلى الله بالتوبة والإخلاص له في العمل[1]. وقد وُصف نبي الله بالحلم فقيل أنه لم يغضب لنفسه بل كان غضبه لله تعالى، وكان يكثر التأوه من خوفه من الله، راجعاً منيباً له في كل أمره عليه السلام[2]. والمتتبع للقرآن يجد ذلك في دعائه ومن أسلم بعد أن تبرأ من الشرك وأهله فظهر عنده عليه السلام حقيقة التوكل لله تعالى، فيقول تعالى: ﴿ **رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرِ**﴾(الممتحنة:4).

وهذه الصفات فيها بيان لرقة القلب والرحمة والشفقة على أبيه الذي رفض دعوته، ورقته لقوم لوط مما سيحل بهم من عذاب ربهم لهم؛ فجادل إبراهيم عليه السلام الملائكة في تأخير العذاب علّهم ينوبوا ويتوبوا إلى الله[3].

6. كونه أمةً وقانتاً وحنيفاً

وصف الله تبارك وتعالى خليله بأنه كان أمةً وقانتاً وحنيفاً وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (النحل: 120) "والأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما إمّا دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد"[4]، والرجل الجامع لكل أوصاف الخير يوصف بأنه أمة[5]، من هنا جاء الوصف لإبراهيم عليه السلام بأمة أي معلماً أو إماماً يقتفى به في الخير[6]، قال ابن عباس في شرح الآية :" كان عنده من الخير ما كان عند أمة"[7]، وقال الطبري:" إن إبراهيم خليل الله كان معلم خير يأتم به أهل الهدى"[8]، وهذه المعاني تبين فضل إبراهيم عليه السلام وتميزه وعلو مكانته بأنه كان أمة وحده؛ حتى في الهداية فقيل: إنه كان وحده مؤمناً والناس عند أول مبعثه كفاراً[9].

وأما قنوته فمعناه "لزوم الطاعة مع الخضوع"[10]، وللقنوت عدة معانٍ؛ كالطاعة والدعاء والسكوت، وحقيقة القانت القائم بأمر الله والقنوت العبادة والدعاء لله عز وجل[11]، وقد كان

([1]) انظر: المفردات، ص: 508.

([2]) انظر: تفسير ابن عطية، 192/3.

([3]) انظر: الكشاف، محمود الزمخشري، 217/2 و282/2، دار الفكر، بيروت، ط1، 1403هـ/1983.

([4]) المفردات، ص: 23.

([5]) انظر: المعجم الوسيط، ص: 27، مجمع اللغة العربية.

([6]) انظر: تفسير مقاتل، 243/2.

([7]) البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض،529/5، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م.

([8]) تفسير الطبري، 659/7.

([9]) انظر: تفسير ابن كثير، 348/4.

([10]) المفردات، ص: 413.

([11]) انظر: تاج العروس، 573/1.

إبراهيم عليه السلام مطيعاً حق الطاعة، يظهر هذا في استجابته دعوة الله له بذبح ولده إسماعيل، وبناء البيت وغيره كثير.

وكونه حنيفاً فقد سبق ذكره في المطلب السابق، بأن وصف الله نبيه عليه السلام بالحنيف كما في قوله:﴿ **قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً**﴾ (البقرة:135) وقوله: ﴿ **وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِما**﴾ (آل عمران:67) والحنيف هو المستقيم على إسلامه لله تعالى المائل عن الشرك إلى دين الله[1].

7. الشكر والاجتباء والاصطفاء

الشكر والاجتباء من الصفات الجليلة التي بيّنها الله سبحانه وتعالى في نبيه إبراهيم عليه السلام في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿ **شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ (النحل:121)، والشكر هو:" تصور النعمة وإظهارها"[2]، فكان إبراهيم عليه السلام شاكراً لله فقيل: إنه كان لا يأكل ولا يتغذى إلا مع ضيف[3]، وقد تميز هو ونوح عليهما السلام بالشكر فأثنى الله عليهما؛ فأثنى على نوح عليه السلام بقوله: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً**﴾ (الإسراء:3)، وإبراهيم عليه السلام بقوله:﴿ **شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ**﴾ (النحل:121)[4]، وبهذا كان إبراهيم عليه السلام شاكراً لله بقلبه ولسانه وجوارحه، خاضعاً لمولاه بالنعم، محباً له، معترفاً بفضله.

واجتباه من الاجتباء؛ "واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي لتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء"[5]، وقد اصطفاه الله من بين كثير من خلقه فصفّاه من الشوائب التي توجد في غيره[6]، واختاره لخلته، وأرشده إلى الطريق المستقيم وهو الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية[7]، فقال:﴿ **وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (البقرة: 130) وقال أيضا:﴿ **إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران: 33) يلاحظ أن الاصطفاء والاجتباء لفظان متقاربان اتصف بهما إبراهيم عليه السلام بمنّ الله وكرمه.

---

(1) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي، رقمه وخرج أحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، 270/2، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(2) المفردات، ص: 265.

(3) انظر: الكشاف، 2/ 434

(4) انظر: المفردات، ص:265.

(5) المفردات، ص: 87_88.

(6) انظر: تفسير الطبري، 233/3.

(7) انظر: المصدر السابق، 659/7.

8. الصديقية:

تميز نبي الله إبراهيم عليه السلام بصفة عظيمة، ألا وهي صفة الصديقية، كما يُتلى ذلك في كتاب الله تعالى في قوله جل وعلا:﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً**﴾(مريم:41) " والصدق هو مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً.. والصديق من كثر منه الصدق.. وقيل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله"[1]، وقد حاز إبراهيم عليه السلام صفة الصدق بأوسع معانيها، لكثرة ما صدق به من آيات الله جل وعلا.

9. سلامة القلب:

ومن صفات إبراهيم عليه السلام أيضاً، سلامة القلب، كما وصفه الله تعالى بذلك فقال: ﴿ **إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ (الصافات:84) والسلامة هي التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، قال الراغب:" بقلب سليم أي متعرٍ من الدَّغَل"[2]، ونبي الله إبراهيم عليه السلام أقبل على الله بقلب يوحده ويعظمه، بعيد عن الشوائب، خالص من العيوب، دائم على الفطرة[3].

10. الكرم:

تعد صفة السخاء والكرم أجمل الصفات وأنبلها ، وقد أثبت الله لإبراهيم عليه السلام هذه الصفة عند مجيء الملائكة له وإكرامه لهم بعجل سمين قال تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ* فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ**﴾(الذاريات:24_27) وفي هذه الآيات ثناء على إبراهيم عليه السلام بالكرم؛ من وجوه منها: إذ دخلوا عليه، أي أنهم دخلوا دون استئذان، وهذا بيان أن بيته كان منزلاً للضيوف. ومنها: أنه راغ إلى أهله؛ أي ذهب سراً كي لا يشعرون ولا يحدث إحراجاً أو مشقة، ومنها أنه جاء بعجل سمين، تخيره لشدة كرمه، وأنه لم يبعثه مع خادمه بل أتى به بنفسه[4].

واشتهر خليل الرحمن بالكرم فكان أول مَن ضيّف الضيف، كما ورد في الأثر عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ **أَنَّهُ قَالَ:" كَانَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ النَّاسِ ضَيَّفَ الضَّيْفَ وَأَوَّلَ النَّاسِ اخْتَتَنَ...**"[5] بل ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكريم وأن أبناءه حازوا هذه الصفة، ففي

([1]) المفردات، ص: 277.

([2]) المصدر السابق، ص: 239، والدَّغَل: عيب في الأمر يفسده. انظر: المعجم الوسيط، 298/1.

([3]) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي، 5045/14_5046.

([4]) انظر: جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام، ابن القيم، تحقيق: مشهور حسن، ص:394_396، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2، 1419هـ/ 1998م.

([5]) موطأ الإمام مالك، كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في السنة في الفطرة، توثيق: صدقي العطار، رقم الحديث:(1710) ص: 561، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م.

الحديث عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ السَّلَام**"(1).

11. الوفاء:

أثنى الله على نبيه، ووصفه بالوفاء فقال تعالى: ﴿**وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**﴾(النجم:37) فقد بذل جهده، واستنفذ طاقته في تبليغ رسالة الله، وطاعته فيما أمره به، وفيما ابتلاه به(2).

ثانياً: صفات إبراهيم عليه السلام في السنة:

1. مشابهته عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم:

من الصفات التي وهبها الله لنبيه إبراهيم عليه السلام ونبينا عليه الصلاة والسلام التشابه في الخلقة، وقد تماثلا عليهما السلام في النبوة والرسالة، وفي الخُلُق الكريم، ودليل ذلك الحديث"... **أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ**"(3).

2. كونه خير البرية:

وصف النبي صلى الله عليه وسلم نبي الله إبراهيم عليه السلام بأنه خير البرية، وقد ورد ذلك في الحديث **الذي رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام**"(4). قال الإمام النووي رحمه الله:" قال العلماء إنّما قال صلى الله عليه وسلم هذا تواضعاً واحتراماً لإبراهيم عليه السلام لخلته وأبوته وإلا فنبينا صلى الله عليه وسلم أفضل كما قال صلى الله عليه وسلم:" أنا سيد ولد آدم " ولم يقصد به الافتخار ولا التطاول على من تقدمه بل قاله بياناً لما أمر ببيانه وتبليغه"(5)، ولكن لا اختلاف في أن إبراهيم عليه السلام هو أفضل أهل زمانه.

---

(1) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب" أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت"، رقم الحديث(3390) ص: 649.

(2) انظر: المفردات، ص: 528، وانظر: تفسير ابن كثير، 308/7.

(3) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى:" واتخذ الله إبراهيم خليلاً" رقم الحديث: (3355) ص:641.

(4) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث:(2369) ص:1245.

(5) صحيح مسلم بشرح النووي، توثيق صدقي العطار، 103/15، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/ 2000م.

3. اختتانه:

كان إبراهيم عليه السلام هو أول من سن سنة الاختتان، وقد أمره الله بالاختتان، فلبى أمر الله، واختتن بالقدوم[1] كما ورد في الحديث الذي رواه أبو **هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقَــدُّومِ**"[2] وفــي اختتانه صورة من صور الرجولة وكمال التسليم والطاعة لله تعالى فيما أمر به.

هذه بعض من صفات إبراهيم عليه السلام، ومن الصفات النبيلة التي تحلى بهــا إبــراهيم عليه السلام كالإسلام والإحسان والدعاء وكونه ولي النبي صلى الله عليه وسلم، وعمارته للمــسجد الحرام، وصبره، وشجاعته، ورعايته لأهله، ولو فتح المجال لحصر صفاته لطال المقام، ولاحتــاج لدراسة تامة. فحري بكل مسلم فضلاً على أن يكون داعية إلى الله؛ أن يتخلق بهذه الأخلاق، مقتدياً ومتأسياً بأبي الأنبياء عليه السلام.

([1]) القدوم: بفتح القاف أو ضمها آلة يستعملها النجار. انظر: النهاية في غريب الحــديث والأثــر، ص: 737، ولسان العرب، 69/11.

([2]) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله "واتخذ الله إبراهيم خلــيلاً"، رقــم الحــديث(3356) ص:641

الفصل الأول

دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على تقرير التوحيد

المبحث الأول: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على توحيد الربوبية

المبحث الثاني: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على توحيد الألوهية

المبحث الثالث: دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على توحيد الأسماء والصفات

المبحث الأول

دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على توحيد الربوبية

المطلب الأول: دلالة الفطرة على وجود الله.

المطلب الثاني: دلالة الآيات الكونية على إثبات الربوبية.

المطلب الثالث: نواقض توحيد الربوبية.

تمهيد

إن من عظيم ما امتن الله به على عباده أن أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم؛ ترشدهم إلى طريق الخير، وتصرفهم عن الشر وطرقه، ومن أجلّ وأعظم ما أتت به الرسل لأقوامهم هو دعوة الناس إلى توحيد الله عز وجل وتعظيمه وعبادته وحده لا شريك له، فهو السبيل لنيل رضا الله عز وجل وبه ينال المرء كمال السعادة في الدنيا والآخرة .

أولاً: التوحيد لغة: أصل التوحيد من وحّد، يوحّد توحيداً على وزن تفعيل، ومعناه نسبة الشيء إلى الوحدانية، ومعنى آخر: الحكم والعلم بأن الشيء واحد. ومن هذا يتبين أن معاني التوحيد يدور حول الوحدة والإنفراد والتفرد[1].

ثانياً: التوحيد شرعا: " هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعالاً"[2] والمعبود هو الله جل جلاله وحده.

ثالثاً: أقسام التوحيد:

قسّم علماء السنة والجماعة التوحيد إلى ثلاثة أقسام، كما قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[3]:" وسمي دين الإسلام توحيداً؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاءوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب"[4].

وبهذا يعلم أن أقسام التوحيد ثلاثة باعتبار متعلقه[5] وهي:

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، 90/6، ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ص:711، مادة وحّد دار الفكر، بيروت.

(2) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد السفاريني، 1/ 57، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط2، 1402هـ/1982م.

(3) هو: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، برع في التفسير والحديث والفقه، توفي: 1233هـ شهيدا، له من المصنفات: أوثق عرى الإيمان. انظر: الأعلام، 3/ 129. ومعجم المؤلفين، 4/ 268.

(4) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الوهاب، ص: 32-33، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1379هـ.

(5) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، اعتنى به عامر الجزار وأنور الباز، 331/10، دار الوفاء، المنصورة، ط2، 1421هـ/2001. ومدارج السالكين، ابن القيم، 33/1، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1403هـ/ 1983، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: الألباني، ص: 77_ 79، المكتب الإسلامي، بيروت، ط8، 1404هـ/ 1984م، والدين الخالص، محمد صديق حسن، تحقيق: محمد النجار،56/1، دار التراث، القاهرة، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم =

1) **توحيد الربوبية:** وهو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء وخالقه ومليكه ورازقه وهو المحي المميت، النافع الضار، المدبر لأمر عباده، القائم على إصلاحهم، وكل ما في السماوات الأرض تحت تصرفه وقهره وتدبيره.

وأدلة هذا التوحيد من القرآن الكريم مستفيضة، ومنها قول الله تعالى:﴿ **قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ**﴾ (الرعد: 16) وقوله تعالى:﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾(غافر: 64).

2) **توحيد الألوهية:** هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده لا شريك له هو المستحق لجميع أنواع العبادة من دعاء واستعانة واستغاثة وخضوع وغيره، وإفراده تعالى بالحاكمية والولاية، وهذا معنى لا إله إلا الله.

ومن أدلة هذا التوحيد قول الله تعالى:﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ (الفاتحة:5) وقول الله: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ**﴾ (الزمر:2).

3) **توحيد الأسماء والصفات:** وهو الاعتقاد الجازم بما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته نفياً وإثباتاً دون تمثيل ولا تكييف ولا تأويل ولا تعطيل، كما قال تعالى:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ (الشورى:11).

وأدلة هذا التوحيد أكثر من أن تحصر، كقول الله تعالى:﴿ **وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ (الأعراف:180) وقوله تعالى:﴿ **الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾(الفاتحة:3).

وهناك من العلماء من قسّم التوحيد باعتبار ما يجب على الموحد إلى قسمين هما :

1) توحيد المعرفة والإثبات: وسمي بذلك لتعلقه بالأخبار المعروفة بالكتاب والسنة وهو مختص بإقرار القلب، والمطلوب من العبد مجرد العلم والمعرفة، وفي هذا يدخل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

2) توحيد الإرادة والطلب: وهو التوحيد الفعلي، وهذا التوحيد يتعلق بأفعال الجوارح والقلوب، فلا يتخذ العبد مع الله شريكا في الطاعة والعبودية. ويدخل فيه توحيد الألوهية.

= الأصول، حافظ حكمي، ضبط عمر أبو عمر، 1/ 98، دار القيم، الدمام، ط1، 1410هـ/ 1990م، و دعوة التوحيد، محمد الهراس، ص: 10-11، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.

المطلب الأول

دلالة الفطرة على وجود الله

تعد الفطرة من أعظم الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى؛ لأنها راسخة في النفس، فلا يحتاج معه الشخص إلى استدلال، ولهذا يعد دليل الفطرة أصلاً لكل الأدلة الأخرى التي تثبت الربوبية لله جل وعلا، فالنفوس بفطرتها تعرف الخالق دونما آيات وأدلة عقلية، بل إن القلوب تقر به سبحانه وتعالى أعظم من إقرارها بغيره من الموجودات.

قال تعالى:﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾(إبراهيم: 10) والمعنى: أيعقل أن يكون في وجوده شك؟ والاستفهام للنفي والاستنكار؛ لأن الفطرة شاهدة على وجوده ومقرة به، لذا كان الاعتراف به ضرورياً في الفطر السليمة، بَيْد أنه قد يعترضها شك واضطراب فتحتاج إلى الدليل الموصل لوجوده، فكان قول الرسل لأقوامهم مهم بأن الله (فاطر السماوات والأرض) أي الذي أنشأهما على غير مثال سبق[1]. ويؤكد الشهرستاني[2] على أن وجود الله مما لا يحتاج إلى دليل بقوله:" فما عددت هذه المسألة _ توحيد الربوبية_ من النظريات التي يقام عليها برهان، فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم، عالم قدير"[3].

أولاً: معنى الفطرة في اللغة والاصطلاح:

الفطرة لغة: يقول ابن فارس في أصلها:" الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح وإبراز"[4]، والفطر: الشق، وجمعه فطور، والفطرة: الابتداء والاختراع، من فطر الله الخلق أي خلقهم وبدأهم، والفطرة أيضاً الخِلْقة[5]. يتبين من معنى الفطرة لغة أنها تدور حول معانٍ ثلاثة هي: التشقق، الابتداء، الخلق والمعنيان الأخيران:" الابتداء والخلق" يناسبان المعنى الاصطلاحي.

الفطرة شرعاً: ذكر الراغب في معنى الفطرة بأنها ما أودعه الله في النفوس وركّز عليها من معرفة الإيمان والإقرار بالله تعالى[6].

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 276/4.

(2) هو: محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، ولد:479هـ، كان عالماً مبرزاً متكلماً على مذهب الشافعي في الفروع، وأشعرياً في الأُصول، له نهاية الإقدام، الملل والنحل، توفي: 549هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، 3495/2.

(3) نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني، تحقيق: الفرد حيوم، ص: 124، مكتبة المتنبي، القاهرة.

(4) معجم مقاييس اللغة، 510/4، مادة فطر.

(5) انظر: لسان العرب، 286/10.

(6) انظر: المفردات، ص: 382.

أما ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فقد رجّحا بأنها الإسلام[1]، وقال الجرجاني[2] في معناها:" الجبلة المتهيئة لقبول الدين"[3]. وبيّن الشيخ السعدي[4] معناً مفصلاً لها فقال:" هي الخِلْقة التي خلق الله عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه"[5].

من المعاني السابقة يستخلص بأن معنى الفطرة شرعاً: دين الله الإسلام، الذي يولد عليه كل مولود لقوله صلى الله عليه وسلم:" **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**..."[6]، والحديث يدل على أن المولود لو ترك على فطرته الأصلية لما مال إلى الأديان الباطلة، ولكن السبب في ميله للدين الباطل؛ خارجي وهو سعي الوالدين في ذلك[7]، ولذا يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل أو يسلمانه، دل هذا أن الإسلام هو الأصل، وغيره خارج عن الأصل.

ثانياً: دلالة الفطرة على وجود الله.

قال ابن تيمية: "الرسل صلوات الله عليهم وسلامه ، بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتحويل الفطرة وتغييرها... قال تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الروم: 30)"[8]. والله

([1]) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد سالم، 371/8، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ط1، 1399هـ. وانظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، تحقيق: السيد محمد السيد، سعيد محمود، ص: 612، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1418هـ /1997م.

([2]) هو: علي بن محمد بن علي الجرجاني، ولد: 740هـ بجرجان، له الأصول المنطقية والإشارات والتنبيهات، توفي:816هـ، انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد السخاوي، 5/328_330 ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

([3]) التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق: نصر الدين تونسي، ص: 271، شركة القدس، القاهرة، ط1، 2007م.

([4]) هو: عبد الرحمن بن ناصر التميمي، مفسر من أهل نجد بالحجاز، ولد: 1307هـ، له التفسير المشهور، تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، وله الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، انظر: الأعلام: 340/3.

([5]) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، السعدي، ص: 51، الرياض، ط4، 1423هـ.

([6]) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب:إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، رقم الحديث: (1358) ص:263.

([7]) انظر: تفسير الرازي، 12/6.

([8]) جامع الرسائل، المجموعة الثانية، ابن تيمية، تحقيق: محمد سالم،85/2، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1405هـ/1984م.

تعالى يأمر نبيه اتباع الإسلام؛ لأنه دين الفطرة بقوله:﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ**﴾ وفي هذا يقول ابن كثير:" فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره"[1].

ومما لا شك فيه أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام، كان ممن دعا بنداء الفطرة التي تقره النفوس، وحاور قومه بخطاب يجدوه في نفوسهم، ولذا كان الاستدلال بهذا النداء من أقوى الاستدلالات؛ لأن من يكابر في ذلك يكابر حقيقة راسخة في النفس قوية، فكانت دعوته لقومه كسائر الأنبياء دعوة لتوحيد الله في العبادة، ولكن التوجيه النبوي يبدأ من خطاب النفس بحقيقة وجود الخالق، والإقرار به فحينئذ تذعن له وتتوجه له وحده بكل صور العبادة.

فمن هذا المنطلق دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى دين الله، فكانت دعوته استجابة لنداء تقره النفوس، ألا وهو نداء الفطرة، وذلك في حواره لعبدة الكواكب، الذين جحدوا ما في نفوسهم؛ وغيروا معاني الفطرة، فغطوها بغطاء الكبر والعناد، فتجده في حواره لهم يقيم الحجة عليهم، ويبين لهم أن الإسلام هو دين الفطرة، وأن تلك الكواكب المؤلهة زوراً وبهتاناً هي متحركة وحادثة، تحتاج لرب يحركها وخالق يسيرها، فهي بذلك لا تستحق التأليه، فتبرأ منها مبيناً أنه متوجه إلى الرب الذي خلق وأبدع الكواكب التي هم لها عابدون، معطلين لعقولهم، منكرين الفطرة ونداءها، فقال لهم عليه السلام: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(الأنعام:79)[2] فهو بقوله يدل على أن الله بخلقه وفطره للسماوات والأرض ينبغي أن يخص وحده بالربوبية، وإنكار ذلك أو جعله لأحد غيره إنما هو شرك، وخروج عن الحنيفية التي هي دين الإسلام.

يقول الطبري:" إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السماوات والأرض الدائم الذي يبقى ولا يفنى، ويحيي ويميت، لا إلى الذي يفنى ولا يبقى، ويزول ولا يدوم، ولا يضر ولا ينفع، ثم أخبرهم تعالى ذِكْره: أن توجيهه_ إبراهيم عليه السلام_ وجهه لعبادته_ الله_ بإخلاص العبادة له، والاستعانة في ذلك بربه على ما يجب من التوحيد"[3]، وبهذا يمهد إبراهيم عليه السلام لقومه عبادة الله وحده دون عبادة الأصنام، فيذكرهم بأن الله وحده الخالق للكواكب

---

(1) تفسير ابن كثير، 135/6.

(2) انظر: دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن والكون، عبد الله التليدي، ص: 92، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1420هـ/ 1999م.

(3) تفسير الطبري، 247/5_248.

ومسخرها والذي بيده ملكوت كل شيء وربه فهو وحده المستحق للعبادة[1]، وتأكيداً لـــذلك فـــإن إبراهيم عليه السلام يصف ربه بأنه فطر السماوات والأرض، وهذا يقتــضي توحيـــده ســـبحانه وتعالى، وإفراده بالملك وحده[2]، وفي نهاية الآية(وما أنا من المشركين) دليل على أن إبراهيم عليه السلام لم يذكر أنه مقر بوجود الخالق؛ فإن هذا كان معلوماً عند قومه، فهم لم ينازعوه في معرفة الخالق ولا إثبات وجوده، بل كان النزاع في اتخاذ غير الله رباً في العبادة، وذلك بعبـــادة الكواكب السماوية واتخاذ الأصنام هياكل لها في الأرض[3].

يتبين مما سبق في الآية أن التوحيد من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن التوحيـــد هو دين إبراهيم عليه السلام، فإبراهيم دعا إلى الفطرة لا إلى ما يخالفها، وهي عبادة الله وحـــده، ومن لوازم الفطرة أن يكون التوحيد هو أحب الأشياء للعبد، بـــل الفطـــرة توجـــب معرفـــة الله ومحبته، وهذا معنى لا إله إلا الله.

والمتتبع لآيات القرآن في قصة إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله فإنه يـــرد علـــى قومه عبدة الأصنام سؤالهم واستغرابهم عن دعوته للخالق حين قالوا له: ﴿**أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنـــتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ**﴾(الأنبياء: 55) بأن الله هو ربهم وهو فاطر السماوات والأرض، كمـــا فـــي قولـــه تعالى: ﴿ **قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّـــنَ الـــشَّاهِدِينَ** ﴾ (الأنبياء:56) فهنا يعلل نسبة الربوبية لله؛ لأنه فطر السماوات والأرض فكان ربهن، وبـــذلك هـــو ربهم؛ لأنهم جزء مما على الأرض وخلق من المخلوقات الكثيرة فيها. يقول ابن كثير:" أي ربكم الذي لا إله غيره هو الذي خلق السماوات والأرض وما حوت من المخلوقات، التي ابتدأ خلقهن وهو الخالق لجميع الأشياء وأنا على ذلكم من الشاهدين أي وأنا أشهد أن لا إله غيـــره ولا رب سواه"[4].

ويقف إبراهيم عليه السلام وقفة الواثق أشد الوثوق في صدد الرد عليهم أثناء حـــواره لهم فإنه يبين لهم أن الخلق صفة ملازمة للرب ولا أحد ينازع في خلق أي شيء فإبراهيم عليـــه السلام لم يشهد خلق السماوات ولا الأرض ولا خلق نفسه، فالكون يشهد وينطق بوحدانية الخالق المدبر، وهم يقرون أن هذه الآلهة لا تخلق شيئاً وأن الخالق هو الله[5]، فاستدل إبـــراهيم عليـــه السلام على الربوبية بخلق السماوات والأرض وهي لفظة مرادفة لفطر التي بمعنى اخترع وبدأ

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 175/3.

(2) انظر: من لطائف التعبير القرآني، فؤاد سندي، ص:170، مكتبـــة فهـــد الوطنيـــة، مكـــة المكرمـــة، ط1، 1424هـ/2002م.

(3) انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، 2/ 52_53.

(4) تفسير ابن كثير، 203/5 .

(5) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 544/5_545، دار الشروق، بيروت، ط12، 1406هـ/1986م.

وأنشأ كما سبق في اللغة، والمدقق في الآية يرى أن إبراهيم عليه السلام أتى بربكم ولم يقل إلهكم، دل هذا على أن الخالقية ملازمة للربوبية ومن أقر بذلك لزمه أن يوحده في العبودية، التي من أجلها بعثت الرسل.

و يؤكد إبراهيم عليه السلام في نهاية دعوته لقومه بنفس الدعوة التي بدأ بها فدعاهم إلى التفكر في نفوسهم والفطرة المغروسة فيهم، حيث قال عليه السلام بعد أن تبرأ منهم ومن عبادتهم لأصنامهم التي لا تنفع ولا تضر من دون الله معلناً ولاءه لله جل جلاله الذي خلقه:﴿ **إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** ﴾ (الزخرف:27) وقوله تعالى:﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ** ﴾ (الشعراء:78) أي إني معتمد على من دبر لي وأصلح لي بدني في دنياي فهو وحده الذي يصلح ديني في آخرتي فكما هداني لمعرفته بالفطرة سيهديني لما يصلح لي آخرتي وذلك في ديني[1].

فإبراهيم عليه السلام لم يَأْلُ جهداً في بيان التوحيد الذي ينبغي أن يكون عليه قومه وأن الإسلام الذي هداه الله له هو الدين الموافق للفطرة، الملائم لها في صلاحها في الدنيا والآخرة، ولذلك يذكر الله أن أفضل دين هو الإسلام وأن ملة إبراهيم عليه السلام من أفضل الملل، وذلك في قوله جل وعلا: ﴿ **صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ** ﴾ (البقرة:138) أي هل هناك من فطرة أفضل من الإسلام الذي فطر الله عباده عليه؛ لأن الفطرة هي ابتداء الخلق، وأول ما خلقوا عليه هو الإسلام، فيا أيها المسلمون التزموا هذه الفطرة واخضعوا لربكم على ملة أبيكم إبراهيم عليه السلام فهي أحسن الملل؛ لأنه يوم خَلَقَه؛ خَلَقَه حنيفاً مستقيماً على الإسلام[2].

يتبين مما سبق أن الأنبياء ما أتوا إلا بكمال الفطرة السوية، ونقاء السريرة، وحميد الأخلاق فالله اصطفاهم لحمل رسالته إلى الناس، وكذا اصطفاهم بكمال الفطرة كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ (آل عمران: 33)[3] ولذا كانت دعوتهم لأقوامهم تنبع من اليقين الذي ملأ صدورهم بفطرة قويمة، وكان لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام فضل عظيم، فهو ما أتى ليقر لهم ربوبية الخالق فهذا مما تقره نفوسهم وإن غشوها بالكبر والعناد، وإنما أتى ليخاطب عقولهم بأن الذي خلق وأنشأ وبرع وأبدع؛ هو وحده المستحق لأن يعبد في الأرض، وليعبر لهم على توحيد الله في العبادة، وكان من حكمته عليه السلام أن بدأ خطابهم مما في نفوسهم، ثم لما تبرأ منهم بين لهم مرة أخرى أن سعادته حينما

([1]) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: 707، المكتبة العصرية، بيروت، 1423هـ/ 2002م.

([2]) انظر: تفسير القرطبي، 149/2. وانظر: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،256/1_257، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.

([3]) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، ص:125.

يرجع لربه ويطمئن له؛ لأنه كما فطره وخلقه فهو منقذه من الضلال، وأنه يرجع إلى من وضع فيه هذه الفطرة ليسعد في الدارين.

المطلب الثاني

دلالة الآيات الكونية على إثبات الربوبية

إن المتأمل والمتمعن في هذا الكون العظيم وأجرامه السماوية، ومخلوقاته الأرضية، والناظر في سائر الكائنات والمخلوقات، وما يظهر عليها من بديع الصنع، وروعة الخلق، وتناسق الكون، فإنه يصل إلى قناعة تامة أن لهذا الكون خالقاً مدبراً أوجده وأبدعه، وأحكم صنعه، وإلى هذا يصل كل من تأمل في هذه المخلوقات، وتدبر في هذه الكائنات[1].

وصفة الربوبية من الصفات التي ظهرت آثارها في كل ما في الكون من إبداع وإتقان محكم، ولذا فإن القرآن الكريم مليء بالدعوة إلى النظر في الآيات الكونية، كما في قوله تعالى:﴿ **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ**﴾(يونس:101) وقوله تعالى:﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾(فصلت:53) والله عز وجل لفت الأنظار للانتباه والنظر والاعتبار بآثار ربوبيته من خلق السماوات والأرض والنبات وإنزال المطر من السحب وتعاقب الليل والنهار، كل هذا من آثار ربوبيته[2] يقول ابن القيم:" وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيما أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله، ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه، وكمال حكمته وإحسانه، وبره ولطفه، وعدله، ورضاه، وغضبه، وثوابه وعقابه، فبهذا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته"[3].

والناظر في كتاب الله فإنه يظهر له آيات الله الكثيرة الكونية منها والشرعية والداعية إلى توحيده. كما في قوله تعالى:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾(الروم:22) فآيات الله كثيرة، بل هي أكثر من أن تحصى، وكانت دلائله في كل شيء، فلو تأمل العقلاء، وأفسحوا لفكرهم التمعن في فسيح هذا الكون لنطقت قلوبهم بأن هناك خلاق حكيم عليم. وكما قيل في الشعر:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد[4]

ولذا كانت هناك وقفة مع نبي كريم اصطفاه الله بخلته، وأراه من آياته الكونية، ودعا قومه للتأمل فيها وناظرهم فغلبهم بالحجة والبرهان القاطع بما يرونه من آيات بينات،

([1]) انظر: دلائل التوحيد، القاسمي، ص: 35، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ/1984.

([2]) انظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، تعليق، محمد قاسم، 1/180_182، مؤسسة قرطبة.

([3]) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، تحقيق: سيد عمران وعلي محمد علي،1/230، دار الحديث، القاهرة 1420هـ/ 2004م.

([4]) ديوان أبي العتاهية، ص: 122، دار صادر، بيروت، 1400هـ/1980.

كما قال تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنعام:83) وكذا نمرود قومه بالآيات الكونية، إلى أن انقطع بالحجة البالغة التي قدمها له إبراهيم عليه السلام وبهت كما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾ (البقرة: 258).

أولاً: دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه من عبدة الكواكب بدلائل الكون:

يقول الله تعالى:﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (الأنعام: 75_79)

سلك إبراهيم عليه السلام في دعوته لعبدة الكواكب مسلكاً غير مسلكه في دعوته لأبيه وعبدة الأصنام، فهو مع أبيه يتبع أسلوب الرفق واللين والهدوء في الحوار، وهو مع عبدة الأصنام يتبع طريقة تغيير المنكر باليد، ولكنه مع عبدة الكواكب يتبع طريقة أخرى، وهي الموافقة في العبارة من أجل إلزام الخصم وإفحامه[1].

لقد أرى الله إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض ليكون ممن يقر بوحدانية الله، ويبصره الله بحقيقة ما هداه الله له، وبيان ما عليه قومه من الضلال لعبادتهم الأصنام، واتخاذها من دون الله أرباباً[2]، يقول الطبري في معنى ذلك (**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**):" أنه أراه ملك السماوات والأرض، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب، وغير ذلك من عظيم سلطانه منهما، وجلّى له بواطن الأمور وظواهرها"[3]، فبين الله له وجه الدلالة وذلك بدعوته للنظر في خلق السماوات والأرض ليصل إلى يقين وحدانية الخالق في ملكه وخلقه وأنه لا إله غيره ولا رب سواه[4].

وقد ذهب بعض المفسرين كالطبري من القدماء وسيد قطب من المحدثين[5]؛ إلى أن هذه الآيات كانت قبل نبوة إبراهيم عليه السلام، وأنه قال(**هذا ربي**) تدرجاً منه في طلب الحقيقة

---

(1) انظر: الملل والنحل، محمد الشهرستاني، تحقيق: محمد كيلاني، 1/ 232، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، 1369هـ/ 1976م.

(2) انظر: تفسير الطبري، 243/5.

(3) تفسير الطبري، 243/5.

(4) انظر: تفسير ابن كثير، 173/3.

(5) انظر: تفسير الطبري، 244/5_ 246، وانظر: في ظلال القرآن، 1140/2.

الإلهية، وأنه بدأ التأمل في الكون ليعرف سر الوجود من الوجود[1]، وذهب كثير منهم إلـى أن قوله:(**هذا ربي)** كان بعد نبوته، وأنه قال ذلك استدراجاً للحجة، ولبيان عيب آلهتهم، فقـد كـان مع قومه في مقام مناظر لا ناظر[2]، والصحيح بأنه قال ذلك بعد نبوته، لدلالة الآيات قبل وبعـد دعوته لقومه أنه ما قال ذلك إلا لمتابعتهم على نفس طريقتهم ومن ثم إلزامهم بما هـو أمـامهم، فدليل ما قبل دعوته لهم قول الله على لسانه عليه السلام: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيـهِ آزَرَ أَتَتَّخِـذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾(الأنعام:74) وفي عقب الآيات على لسانه أيـضاً: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ (الأنعام: 78) فهذا يعني أنه ما قال إلا وهو موقن أنه على حق، وأراد استدراجهم ليقروا بالوحدانية، وأن الله بين في كتابه أنه رزقه الحكمة من قبل دعوته فقال سبحانه:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ**﴾(الأنبياء:51) وكـذلك اسـتحالة الكفر على الأنبياء قبل وبعد النبوة[3]. ويؤكد ذلك ابن العربي[4] بقوله:" والذي أوتيـه إبـراهيم_ عليه السلام_ من العلم بالحجة، وهي التي تذكر للخصم على طريق المقابلة كـان فـي الـدنيا بظهور دلالة التوحيد وبيان عصمة إبراهيم عن الجهل بالله تعالى، والشك فيه، والإخبار أن مـا جرى بينه وبين قومه إنما كان احتجاجاً ولم يكن اعتقاداً"[5].

إن إبراهيم عليه السلام بدأ تدريجياً مع قومه فبدأ بالكوكب، وأراد أن يثبت لهم أنه لـيس رباً لهذا الكون، فقال: انظروا معي إلى هذا الكوكب لنفرض جدلاً أنه ربي فنظروا فإذا به بعـد وقت يغيب، فخاطبهم بعقولهم كيف يكون رب حقيقة ويغيب عن الكون؟ فمن للكـون أن يـدبره بعد أن غاب؟! إذن هذا الكوكب لا يصح أن يكون رباً، ثم انتقل إلى القمر، فقال:(**هـذا ربـي)** فلما غاب أيضاً قال:(**لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين)** ثم انتقل إلى الشمس التـي يعتقدون أنها " ملك الفلك، ورب الأرباب الذي يقبسون منه الأنوار"[6] فلما غابت الشمس وأفلت، أظهر لهم أن الرب لا يمكن أن يغيب ويأفل، فتبرأ منهم معلناً وجهته للـذي خلـق الـسماوات والأرض فقال:(**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَـرَ الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفـاً وَمَـا أَنَـاْ مِـنَ الْمُشْرِكِينَ)**(الأنعام: 79) والملاحظ أنه لم يقل إني وجهت نفسي للذي فطـر الكواكـب والـشمس

---

(1) انظر: المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، ص:152، دار الفكر العربي.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، 3/ 174، وزاد المسير، 51/3، ومحاسن التأويل، 2374/6 ، ومناهج الجـدل فـي القرآن الكريم، زاهر الألمعي، ص: 169.

(3) انظر: تفسير الرازي، 13/ 47_48.

(4) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي، ولد بأشبيلية 468هـ، من حفاظ الحديث، لـه مـن التصانيف أحكام القرآن، توفي: 543م، انظر: الأعلام، 230/6. ووفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحـسان عباس،489/1، دار الثقافة، بيروت.

(5) أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي البجاوي، 741/2، دار الفكر، بيروت.

(6) الملل والنحل، الشهرستاني، 53/2.

والقمر، بل ذكر السماوات والأرض لأنها تشمل هذه المخلوقات، ولأنه لا أحد يزعم علـــى مـــر التاريخ أنه خلق السماوات والأرض، فالسماوات والأرض وما فيهما هي من خلقه ومسخرة لـــه عز وجل[1].

نجح إبراهيم عليه السلام في محاورة وجدال قومه، وإقامة الحجة عليهم، وقد كان فـــي مقام مناظرة، واستخدم معهم المنطق العقلي، وخاطب عقولهم وقلوبهم لمـــا رأى مـــن الأفـــول والطلوع والانتقال والتقلب فقال: هذا لا يليق بالربوبية؛ لأنها صفات حدوث، فلا بد لها من مدبر وراءها يتنزه عن الأفول[2].

مما سبق يتبين أن إبراهيم عليه السلام كان يهدف من دعوته هذه إلى اســـتدراج عبـــدة الكواكب من قومه إلى توحيد الله تعالى، وإثبات أنه وحده هو المعبود بحق.

والمتفقه في دعوة إبراهيم عليه السلام فإنه يرى أن قصد إبراهيم عليه السلام إبطال مـــا ذهب إليه عبدة الكواكب، وبيان فساد عبادتها وعدم صلاحيتها لأن تكون أربابـــاً مـــن دون الله، " فساق الإلزام على أصحاب الهياكل مساق الموافقة في المبدأ والمخالفة فـــي النهايـــة؛ ليكـــون الإلزام أبلغ، والإفحام أقوى"[3][4]، إن إبراهيم عليه السلام أراد أن يلفت انتباههم إلى ما هم فيـــه من خطأ في عبادتهم، ودينهم، فأرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ومن خلال إرشـــاده لهـــم بالنظر الصحيح أوصلهم إلى أن هذه الكواكب لا يصح منهم أن تكون مقام الإله، وذلـــك لقيـــام دليل الحدوث فيها، وهذا يؤكد أن من ورائها محدثاً أحدثها وصنعها ودبـــر طلوعهـــا وأفولهـــا وسائر ما هي عليه[5].

ومنهج إبراهيم عليه السلام فيه دعوة للمؤمنين أن ينتهجوا نهجه عليه السلام، كونه أمة يقتفى به، في طريق الاعتبار والتأمل في عظمة هذا الكون ليصلوا إلى عقيدة راسخة تنبـــئهم أن لهذا الكون خالقاً متفرداً بالخلق والإبداع، وأن ما في الكون هو له مسخر وله طائع، ومن ثم فإن هذا يؤكد وحدانيته في العبادة، وأن اتخاذ أو اعتقاد أي رب آخر هو من قبيل الشرك الذي يـــذم صاحبه عليه، وهو من باب تعطيل العقل والحواس عن التأمل والتمعن في ملكوت هذا الكـــون، والوصول إلى الحقيقة المطلقة أن لهذا الكون خالق واحد لا سميّ له ولا مثيل.

---

(1) انظر: القصص القرآني، صلاح الخالدي، ص: 331، وانظر: قصص الأنبياء، الشعراوي، ص: 496.

(2) انظر: نظم الدرر، 659/2.

(3) الملل والنحل، الشهرستاني، 232/2.

(4) انظر: مناهج الجدل، ص: 176.

(5) انظر: تفسير الزمخشري، 2/ 30_31.

ثانياً: جدال إبراهيم عليه السلام لملك زمانه:

يقول الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾(البقرة:258).

بدأت الآية الكريمة بالخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستفهام الذي يحمل معنى التعجب، أي:" ألم ينته إلى علمك قصة هذا الكافر الذي لست بولي له ، كيف تصدى لمحاجّة من تكفلت بنصرته وأخبرت بأني ولي له ولمن كان من شيعته؟"[1].

والآية تبين أن الجبار جادل خليل الله في ربه، فكان أول من تجبر في الأرض وادعى الربوبية هو هذا الجبار[2]، " وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تشريف له، وإيذان بتأييده في المحاجة"[3]. ولكن لماذا يجادل الجبار إبراهيم عليه السلام؟ لأن الله آتاه الملك، فهو" أول من ملك الأرض كلها"[4]، ولذا أخذه الكِبْر والبطر، فنشأت المحاجة عنهما وقد طلب من إبراهيم عليه السلام دليلاً على وجود الرب الذي دعا إليه إبراهيم عليه السلام، لأن دعوى إبراهيم عليه السلام(أن الله هو الرب) واعتقاد الملك بنفسه أنه هو الرب، فلذا رفض دعوى إبراهيم الموجهة له، حتى يتخلى عن ادعاء الربوبية، ويعلن الاستسلام لله رب العالمين، وهذا مالا يريده، لأن ملكه غرّه ليبقى في جبروته وعناده، وهذا الملك ليس من ذاته، بل هو من الله فغروره أعماه عن هذه الحقيقة، فنسي فضل الله عليه وغشاه كبره عن ذلك، فاعتبر ملكه من شخصه، فطلب الدليل فقدم عليه السلام دليلاً على دعواه فكان بأن قال، بأن صفات الرب الذي أدعو إليه أنه بيده المعجزة المشاهدة والمتكررة، الظاهرة المستترة، ألا وهي معجزة الحياة والموت، فهو الذي يهب الحياة لمن يشاء ثم ينزع عنها الحياة فتموت، ولا حياة من غير محيي، ولا موت من غير مميت، والذي بيده ذلك هو الرب الذي أدعو إلى عبادته وتوحيده، يقول ابن كثير:" أي الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له"[5].

---

(1) روح المعاني، الألوسي، 15/3، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/ 1978م.

(2) انظر: تفسير الرازي، 22/7، وانظر: النكت والعيون، الماوردي، تعليق: السيد عبد الرحيم، 329/1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1412هـ/ 1992م. وانظر: البحر المحيط، أبو حيان، 2/ 286.

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، تعليق: محمد حلاق، 441/1، دار الفكر، بيروت، ط1، 1421هـ/2001م.

(4) تفسير مقاتل، 138/1.

(5) تفسير ابن كثير، 365/1.

فأتى الملك بدليل يماثل دليل إبراهيم عليه السلام مجازاً لا على الحقيقة، فقال:(**أنا أحيـــي وأميت**) وزعم أنه يفعل ذلك فأتى برجلين استحقا القتل، فأمضى حكم القتل في أحـــدهما وعفـــى عن الآخر، وبذلك يكون أمات الأول وأحيا الثاني، والمعلوم أن هذا ليس الجواب المـــراد، بـــل مكابرة وعناد، وذلك لأن استعماله للفظ الإحياء والإماتة كان على سبيل المجـــاز، ونـــسي هـــذا الملك أن السبب الحقيقي في ذلك هو الله، وهو لم يفرق بين الأسباب والمسببات، فعـــد الـــسبب مسبباً، بمعنى أنه قد يأمر بالإعدام والقتل فيموت بسبب أمره، ولكن من هو المسبب والمقدر في ذلك حقيقة؟ إنه الله رب العالمين، وعفوه عن الآخر يعني أنه سبب مباشر في بقائه علـــى قيـــد الحياة، ولكن السبب الحقيقي في عفوه هو الله، بدليل من ألهمه العفو عن الآخـــر؟! ولكـــن مـــن حكمة إبراهيم عليه السلام أنه لم يشأ الجدال معه في هذه المسألة؛ لأن ما صـــدر عـــن الملـــك معارضة فاسدة، فحقيقة ما فسّره الملك في الإحياء والإماتة غير التي يقصد إليها إبراهيم عليـــه السلام، لذلك أتى بدليل آخر يفضح معارضته، ولذا جاز الانتقال لدليل آخر أقـــرب إلـــى الفهـــم وأقوى للحجة[1]، فكان الدليل الآخر كوني سماوي أشد إفحاماً للخصم، وأكثر إلجاماً له والمتمثل في قوله: ﴿ **فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْــرِبِ**﴾ أي إن كنـــت تـــدعي الربوبية وقدرتك على الإحياء والإماتة كقدرة ربي، فانظر إلى السماء فوقك وانظر إلى الـــشمس التي سخرها ربي لأن تشرق من الشرق بأمره ومشيئته، فإن كنت كما تزعم أن لك قدرة علـــى الإحياء والإماتة فإن كان لك ذلك فبأمرك وحكمك اجعل الشمس تشرق من الغرب ولـــو لمـــرة واحدة فإن لم تستطع، ثبت بالدليل الكوني أن الله هو رب العالمين، وأنه وحـــده الخـــالق لهـــذه العوالم بما فيها أنت، (فبهت الذي كفر) أي أخرس الجبار، وأدهش وأفحم، ولم يحـــر جوابـــاً، فظهر الحق وزهق الباطل.

إن إبراهيم عليه السلام أتى للملك بحقيقة كونية، تطالع الأبصار والمدارك كل يـــوم، لا تتقدم ولا تتأخر ولا حتى تتخلف عن فعلها، وهي دليل يخاطب الفطرة والعقل حتـــى ولـــو لـــم يعرف الإنسان شيئاً عن هذا الكون وتركيبه[2].

وإبراهيم عليه السلام المتصف بالحكمة والفطنة، فإنه أتى بالشمس الآية الكونية الكبرى في السماء دون الآيات الكونية الأخرى، ليؤكد ضمناً لقومه من عبدة الكواكب، بأن ما تعتقدونـــه أن هذه الكواكب أرباباً وخصوصا الشمس فإنهم كانوا يعبدونها من دون الله باطل؛ لأنها مسخرة

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، 365/1، والقصص القرآني، الخالدي، ص:338_339، ومناهج الجدل، ص: 146، نقلاً عن استخراج الجدال من القرآن، ص: 7.

([2]) انظر: من لطائف التعبير القرآني، ص: 160-161. وفي ظلال القرآن، 298/1.

من قبل حكيم عليم جعل لها مشرقاً ومغرباً، فهو وحده المستحق أن يوحد في الاعتقاد بربوبيته دونهم، وهو أيضاً المستحق أن يعبد، وبهذا يبطل اعتقادهم بأنها أرباباً من دون الله[1].

ولذا يلاحظ أن نبي الله إبراهيم عليه السلام استدل على ربوبية الله تعالى بأدلة من الكون، وذلك في محاورته ومخاصمته للملك الذي انقطعت مزاعمه، وسقط الدليل في يده، وكانت النصرة مع نبي الله إبراهيم عليه السلام، ولكن الملك أبى إلا الضلال،(**والله لا يهدي القوم الظالمين)**.

(1) انظر: مناهج الجدل، زاهر الألمعي، ص: 147.

المطلب الثالث

نواقض توحيد الربوبية

لقد جاء الإسلام بالعقيدة الصافية، وسد كل طريق يؤدي ويوصل إلى الشرك بالله، وجاء بإفراد الله سبحانه وتعالى في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات؛ لذا كان تفصيل وبيان نواقض التوحيد دافعاً لأي مسلم أن يحقق التوحيد على أكمله، بعيداً عن الوقوع في الشرك؛ ولهذا عدّ بعض العلماء العلم بهذا الباب من المطالب السامية، وإلى هذا أشار الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب[1] فقال:" اعلم أن هذه المسائل من أهم ما ينبغي للمؤمن الاعتناء به، لئلا يقع في شيء منها وهو لا يشعر، ولتبين له الإسلام والكفر حتى يتبين له الخطأ من الصواب، ويكون على بصيرة في دين الله ولا يغتر بأهل الجهل والارتياب، وإن كانوا هم الأكثرين عدداً، فهم الأقلون عند الله وعند رسوله والمؤمنين قدراً.."[2].

سبق التعريف[3] بأن توحيد الربوبية: هو اعتقاد المسلم بأن الله رب كل شيء، ومليكه، وخالق كل شيء، ورازق كل حي، ومدبر كل أمر، وهو المحيي المميت النافع الضار. فكل قول أو اعتقاد فيه إنكار لهذه الخصائص التي يختص بها الله عز وجل أو بعضها هو من نواقض الإيمان، كأن يُوصَف أحد من الخلق بأي صفة من صفات الله سبحانه سواء الذاتية منها أو الفعلية، كالخلق والأمر أو علم الغيب أو الرزق، حتى ولو أثبتها لله، فإن هذا فيه مخالفة للتوحيد وهو ناقض للإيمان، وصاحبها يقع في شرك الربوبية، فمن الكفر أن يدعي شخص لنفسه شيئاً من هذه الخصائص، كالمُلْك والأمْر ومعلوم أن هذا لله عز وجل كما قال جل وعلا:﴿ **الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً**﴾ (الفرقان: 2) وقال تعالى:﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأعراف:54)

---

(1) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد: 1165هـ، من علماء الجزيرة العربية، له كتب في الدفاع عن العقيدة، توفي:1242هـ، انظر: علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله البسام، 48/1، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ط1، 1398هـ.

(2) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، عبد الله بن عبد الوهاب، ضمن كتاب الجامع الفريد، ص: 292-293، مطبعة المدينة المنورة، الرياض.

(3) انظر من الرسالة نفسها، ص: 32.

وممن ادعى الربوبية فرعون فقال:﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾ (النازعات: 24)[1]، ومن هذا يُعلم أن شرك الربوبية هو: أن يجعل المرء لغير الله تعالى معه تدبيراً ما.

يُلاحظ مما مضى أن من أمثلة الشرك في الربوبية : الشرك في الخلق، والشرك في الرزق، والشرك في الأمر، والشرك في تصريف الكون، والشرك في العلم، والشرك في الإحياء والإماتة، والشرك في النفع والضر، ويكون ذلك بالاعتقاد أن بشراً له ذلك سواء انفرد بزعم ذلك أو كان اعتقاده أن ذلك له مع الله.

أولاً: نواقض توحيد الربوبية عند قوم إبراهيم عليه السلام:

أ) نواقض توحيد الربوبية عند قوم إبراهيم عبدة الأوثان:

دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى توحيد الله، وكانوا على صنفين هما عبدة الأصنام وعبدة الكواكب، وفي دعوته عليه السلام لقومه من عبدة الأصنام، حين دعاهم إلى الله ووحدانيته ونبذ ماهم عليه من عبادة من لا يستحق، لم يأبهوا بدعوته وأصروا على كفرهم فرفضوا دعوته، فما كان منه عليه السلام إلا أن صنع ما صنع بالأصنام من تحطيم، وحينما طلبوه وسألوه أهو الذي فعل ذلك أم لا، رد الإجابة لكبير الأصنام، ووجه لهم أسئلة تدور حول ما اتخذوهم من آلهة من دون الله، وكان من ضمن أسئلته عليه السلام لهم ما ذكره الله في كتابه العزيز في حواره معهم بعد تحطيم الأصنام:﴿ **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ* أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾(الأنبياء: 55-56) وفي موطن آخر قَالَ:﴿ **هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ* قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾(الشعراء: 72-77) فإبراهيم عليه السلام يسأل القوم كيف تعبدون من لا ينفعكم ولا يضركم؟ بل هي كما رأيتم لا تنفع نفسها فلم تستطع أن تمنع من أرادها بسوء، بل ولم تستطع أن تخبركم بالذي حصل معها، فهلا رجعتم إلى عقولكم! وسألتم أنفسكم كيف تعبدون من لا ينفعكم إن عبدتموهم فيرزقوكم رزقاً على عبادتكم لهم، أو يضروكم بالعقاب لكم إن نبذتم عبادتهم؟ لم يرد قوم إبراهيم عليه السلام بأنها تنفع أو تضر وإنما حادوا عن الجواب بأن آباءهم كانوا كذلك فهم على آثارهم يهرعون، وفي هذا توجيه لهم بعبادة واتخاذ من بيده النفع والضر رباً وإلهاً[2]. وفي حوار آخر معهم يقول لهم:﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا**

([1]) انظر: مجموعة الفتاوى، 72/1، ومدارج السالكين، 510/3، ومن نواقض الإيمان، الشرك في الربوبية، محمد المنجد، محاضرة في الشبكة الإسلامية، نقل بتاريخ: 2008/6/4م، www.http://audio.islamweb.net/audio.

([2]) انظر: تفسير الطبري، 451/9، وتفسير ابن كثير، 35/6

لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت:17) وهنا يدعو إبراهيم عليه السلام قومه بتوحيد الله في عدة أشـياء ومنها طلب الرزق، فتلك الأصنام التي يعبدها قومه لا تملك لنفسها رزقاً، إنما الرزق ممن بيـده مفاتيح السماوات والأرض وهو الله جل جلاله لا ما تعبدون [1].

ب) نواقض توحيد الربوبية عند قوم إبراهيم عليه السلام عبدة الكواكب:

وأما عبدة الكواكب، فهم الذين يؤمنون بأن الكواكب أرباب لهم من دون الله، وكـان حوار خليل الله عليه السلام معهم من باب الاستدراج للوصول إلى الحجة، كما سبق ذكره فـي دعوته لعبدة الكواكب[2]، ورغم هذا فإن إبراهيم عليه السلام قد أوتي الحجة فمدحه الله في هـذا الموقف الناجح لنقض ربوبية وألوهية الكواكب، والتأكيد على ربوبية وألوهية الله وحده فقال جل وعلا: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنعام:83)[3]، فاعتقاد قوم إبراهيم عليه السلام من عبدة الكواكب أن الكواكب العلوية تدبر أمر العالم السفلي إنما هو من شرك الربوبية، وإنما أمر العالم كله تحت تصرف مدبر واحد هـو الله جل جلاله لا شريك له في ذلك[4].

إن قوم إبراهيم عليه السلام وقعوا في شرك الربوبية ضمناً، ولذا كان خطاب خليـل الله عليه السلام لهم فيه دعوة لتوجيه التوحيد الخالص لله تعالى دون آلهتهم التي يعبدونها مـن دون الله سواء كانوا معتقدين أنها تنفع أو تضر من دون الله أو لا، ومعلوم أن النفـع والـضر مـن خصائص الربوبية لله تعالى، ومن يعبد معه أحد فهذا يعني أن لغيره منفعة ومضرة، وهذا مـن شرك الربوبية.

واعتقاد أن الرزق بيد غير الله هو أيضاً من شرك الربوبية، ولذا أمرهم عليه الـسلام أن يبتغوا من عند الله الرزق لا من آلهتهم المزعومة التي لا تملك شيئا لنفسها فـضلاً عـن أن تكون لهم مصدر رزق.

ثانياً: نواقض توحيد الربوبية عند الملك في حواره مع إبراهيم عليه السلام:

بين القرآن الكريم أن مناظرة حصلت بين إبراهيم عليه السلام وملك زمانـه، مـدارها حول ادعاء الملك بإحدى خصائص الربوبية، والتي تظهر جلياً في قول الله جل وعلا:﴿ **أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ**

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، 109/6، و تفسير القرطبي،348/13.

([2]) انظر: من الرسالة، ص: 9-10.

([3]) انظر: القصص القرآني، الخالدي، ص: 332-333.

([4]) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز بن عبد اللطيف، ص: 99، رسالة دكتـوراة ، جامعـة محمد بن سعود، موقع الدرر السنية، نقل بتاريخ: 2008/6/5م، www.dorar.net.

أَنَا أُحْيِـــي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِـــتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(البقرة:258) لقد سأل ملك بابل إبراهيم عليه السلام عن ربه الذي يؤمن به، فذكر له إبراهيم عليه السلام أن الله جل وعلا يحيي ويميـــت قـــائلاً: ربـــي يحيي ويميت، فزعم الملك أن له مثل ذلك، فأتى باثنين حكم عليهما بالقتل، فأمر بقتـــل أحـــدهم واستحيا الآخر، فدحض إبراهيم عليه السلام زعمه وأبطله بانتقاله لدليل آخر وهو أمر الله فـــي تدبيره للكون بأن تشرق الشمس من المشرق فإن استطاع أن يغير في نظام الكون فليأت بها من المغرب إن زعم أن له تصرفاً في الكون، فما كان من الملك إلا أن بهت وحار جواباً، وفي هذا بيان أن الذي بيده تصريف الكون، هو وحده له تصرف الروح، فهو محييها ومميتهـــا، فمرجـــع العالم كله إليه لا شريك له[1].

مما سبق يتبين أن ملك بابل الذي ناظره إبراهيم عليه السلام قد زعم أن له قدرة علـــى الإحياء والإماتة، ومعلوم أن الإحياء والإماتة هما من صفات الربوبية التي لا يتصف بها إلا الله سبحانه وتعالى، ومن هنا يظهر أن ملك بابل وقع في شرك الربوبيـــة؛ لاعتقـــاده أن لـــه مـــن الخصائص التي انفرد بها الله عز وجل وهي الإحياء والإماتـــة، وهـــذا مـــن نـــواقض توحيـــد الربوبية.

ولا ننسى كذلك أن إبراهيم عليه السلام يطلب من قومه أن يتبرؤوا من كل مـــا ســـوى الله؛ لأنها لا تستحق العبادة، فقد ثبت عجزها بالعقل على أن تقدم لهم ما يريدون، ووجههم عليه السلام إلى الله الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، فبيده الخلق والرزق والأمر والحياة والممات، وبيده النفع والضر. وكل هذا من ربوبية الله عز وجل التي يستحيل أن تكون لأحد أو يعتقد أنهـــا لأحد سوى الله إلا أن يكون مكابراً أو معانداً[2].

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، 365/1، والكشاف، 388/1، وتفسير القرطبي، 284/3.

([2]) انظر: مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، محمد الزين، ص: 79، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م.

المبحث الثاني

دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على توحيد الألوهية

المطلب الأول: مسمى الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما

المطلب الثاني: الإخلاص

المطلب الثالث: الإمامة

المطلب الرابع: الشكر

المطلب الخامس: الدعاء والاستغفار

المطلب السادس: الخوف

المطلب السابع: الولاء والبراء

المطلب الثامن: نواقض توحيد الألوهية

المطلب الأول

مسمى الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما

إن سعادة العبد الحقيقية في الدنيا والآخرة هي الإيمان المتحقق في القلب الموصول بالعمل الصالح، وإن القارئ في كتاب الله ليجد تكرار لفظ الإيمان أكثر من غيره من الألفاظ، ولا سيما باقترانه في كثير من الآيات بالعمل الصالح ليكونا سبباً في دخول الجنة، وإذا اجتمع الإيمان مع العلم فهذا يعني الرفعة في الدرجات كما قال تعالى في كتابه:﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾(المجادلة:11) فلذلك يكون قد حاز الشرف العظيم.

وإن المتتبع للآيات التي تحدثت عن إبراهيم عليه السلام فإنه يظهر أن منها تناولت الإسلام كقوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (البقرة:131) ومنها تناول الإيمان كقوله تعالى في حوار إبراهيم عليه السلام مع الملائكة وردهم عليه بقولهم: ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(الذاريات:35_36). ولذلك ستتناول الباحثة الحديث في هذا الموضوع تعريف بالإيمان والإسلام، وأقوال العلماء فيهما، وتستدل بالآيات المتحدثة عن إبراهيم عليه السلام بما يناسبها.

أولاً: تعريف الإسلام:

الإسلام لغة: الاستسلام والانقياد والذل والخضوع[1] وأما الإسلام شرعاً: "الاستسلام لله، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله"[2]. وهذا هو المعنى العام له، وأما المعنى الخاص للإسلام: "الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم"[3].

ثانياً: تعريف الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق والإقرار[4] وأما الإيمان شرعاً: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان"[5]، وأما مسألة الفرق بين الإسلام والإيمان فقد وقع فيه اختلاف بين أهل السنة؛ لعظم

([1]) انظر: لسان العرب، 345/6، مادة سلم.

([2]) معجم ألفاظ العقيدة، عامر فالح، تقديم: عبد الله جبرين، ص: 40، مكتبة العبيكات، الرياض، ط1، 1417هـ، 1997م .

([3]) التعريفات، ص: 47، وانظر: المختار من شرح البيجوري على الجوهرة، إبراهيم البيجوري، ص: 55، الأزهر، القاهرة، 1419هـ/1998_1999م.

([4]) انظر: المفردات، ص: 26، ولسان العرب، 344/6.

([5]) شرح العقيدة الطحاوية، ص: 332.

هذه المسألة، قال ابن رجب[1]:" وهذه المسائل _ أعني مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق_ مسائل عظيمة جداً، فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة"[2].

ولذلك كان في هذه المسألة للعلماء أقوال وهي على ما يلي:

القول الأول: من فرق بين مسمى الإسلام والإيمان، وإلى ذلك ذهب عامة أهل السنة[3]، قال ابن تيمية في رده على محمد بن نصر المروزي[4]_ وهو ممن لا يفرق بين الإسلام والإيمان_:" وهو_ أي: ابن نصر_ لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أئمة الإسلام المشهورين أنه قال: مسمى الإسلام هو مسمى الإيمان، كما نصره، بل ولا عرفت أن أحداً قال ذلك من السلف"[5].

القول الثاني: أن الإسلام هو الإيمان، وهما اسمان لمعنى واحد، وبهذا قال بعض أهل السنة [6]. يقول ابن عبد البر[7]:" أكثر أصحاب مالك على أن الإسلام والإيمان شيء واحد"[8].

([1]) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ولد: 706هـ، إمام في العلم والعبادة، له من التصانيف: شرح علل الترمذي، توفي: 795هـ، انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، 326/2، دار الجيل، بيروت، وطبقات الحفاظ السيوطي، ص: 540، دار الكتب العلمية، بيروت، 2، 1414هـ/1994م.

([2]) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: عبد الله المنشاوي، ص:37، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 1417هـ/1996م.

([3]) ذهب إلى ذلك ابن عباس والحسن البصري ومحمد بن سيرين والزهري و أحمد بن حنبل واللالكائي وابن تيمية وابن رجب. انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، تحقيق: أحمد حمدان، 812/4_815، دار طيبة، الرياض، مسلم بشرح النووي 144/1 - 146، الإيمان الأوسط، ابن تيمية،227/7، ضمن مجموع الفتاوى له، وجامع العلوم والحكم ص:34.

([4]) هو: محمد بن نصر المروزي، ولد ببغداد: 202هـ، له من التصانيف: تعظيم قدر الصلاة، توفي: 294هـ انظر: سير أعلام النبلاء، 3735/3_3736.

([5]) الإيمان ابن تيمية، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ص: 282، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1418هـ/1997م.

([6]) ذهب إلى ذلك البخاري، ومحمد بن نصر المروزي وابن منده وابن عبد البر، انظر: فتح الباري، 79/1، تعظيم قدر الصلاة، المروزي، تحقيق: عبد الله الفريوائي، 529/2، مكتبة الدار، المدينة، ط1، 1406هـ، الإيمان، ابن منده، تحقيق: علي الفقيهي، 321/1، دار الفضيلة، الرياض، ط4، 1421هـ/ 2001م، والتمهيد، ابن عبد البر، تحقيق: سعيد أعراب، 247/9، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، المغرب.

([7]) هو: يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي، ولد 368هـ، له من التصانيف: كتابه المشهور التمهيد، توفي:463هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، 4272/3.

([8]) التمهيد، 247/9.

وثمة **قول ثالث** يجمع بين القولين، وهو القول بأن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، وإلى ذلك ذهب بعض أعلام السنة[1]. وهذا القول يبين مدى العلاقة بين الإسلام والإيمان، فبينهما عموم وخصوص، فالإيمان أخص من الإسلام، يقول ابن رجب:" إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق، والتحقيق في الفرق بينهما: أن الإيمان هو تصديق القلب، وإقراره، ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له... فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس التصديق القلب، وبالإسلام جنس العمل"[2].

ثالثاً: الإسلام والإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام:

1) الإسلام في قصة إبراهيم عليه السلام:

لقد تعدد في القرآن الكريم ذكر لفظة الإسلام باختلاف مفرداتها مع إبراهيم عليه السلام في آيات عديدة، فتجد مرة لفظة مسلِمَيْن ومسْلِمِيْن، وأسلم وأسلمت وأسلما، فهذا يدل على أن إبراهيم عليه السلام كان خاضعاً مستسلماً لله رب العالمين، وأنه على دين الإسلام وهو كما سبق الحنيفية السمحة، لا كما يدعي اليهود والنصارى أنه على دين غير الإسلام كاليهودية والنصرانية الباطلين.

وكان لا بد من تتبع اللفظة في الآيات التي ورد فيها لفظة الإسلام باختلاف مفرداته؛ للتوصل لما يدور من معاني في هذه اللفظة ومدى ارتباطها بالمعنى اللغوي أو الشرعي، وهي مرتبة حسب مرور الأحداث التي حصلت في قصة إبراهيم عليه السلام كما يلي:

أ) استسلام إبراهيم عليه السلام في أمر الله له بذبح ولده إسماعيل.

ابتلى الله إبراهيم عليه السلام بأمور عظام كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾ (البقرة: 124) واختلف المفسرون بتفسير هذه الكلمات[3] ومن هذه الكلمات ذبح ولده إسماعيل الذي رُزق به بعد وقت من حياته عليه السلام، فكانت البشارة الأولى له بعد طلبه عليه السلام من الله الذرية الصالحة، والآيات تبين مدى استسلام خليل الرحمن عليه السلام عند أمر الله له بذبح ولده كما يظهر في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ* رَبِّ هَبْ**

([1]) ذهب إلى ذلك البغوي، وابن تيمية، وابن رجب، انظر: شرح السنة، البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، 10/1، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1400هـ، والإيمان، ابن تيمية ص: 246، وجامع العلوم والحكم، ابن رجب، ص: 33.

([2]) جامع العلوم والحكم، ص: 34.

([3]) منهم من قال أنها مناسك الحج، وقيل بالشمس والقمر والكواكب والنار والهجرة وذبح الولد ومناظراته مع أبيه وقومه ومع الملك. انظر: تفسير الطبري: 571/1-576.

لِي مِنَ الصَّالِحِينَ* فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ* سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصافات: 99_111) ففي الآيات بيان أن إبراهيم عليه السلام عندما هجر قومه وهاجر، دعا الله أن يرزقه من الصالحين، فبشره الله بإسماعيل وهو البكر باتفاق جميع الملل[1]، فلما اشتد عود إسماعيل عليه السلام رأى أبوه إبراهيم عليه السلام رؤيا، ورؤيا الأنبياء حق ووحي، كما ورد في البخاري:" **رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ. ثُمَّ قَرَأَ:" إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**"[2]، ورؤيا إبراهيم عليه السلام وحي من الله بذبح ولده قربانا لله، فقص إبراهيم عليه السلام على ولده إسماعيل رؤياه، وكان سؤال إبراهيم عليه السلام لولده إسماعيل عليه السلام هو من باب معرفة هل إسماعيل عليه السلام يملك الصبر والعزم؟ ولذا فإنه عليه السلام لم يأخذ ابنه فجأة حتى ينفذ أمر الله فيه ويؤدي ما عليه، إنما عرض الأمر عليه، ليرى من ابنه أخذ الأمر على باب الطاعة والتسليم، بعيداً عن القهر، فينال إسماعيل عليه السلام أجر الطاعة ويذوق حلاوة التسليم لله[3]، لذا ما كان من إسماعيل عليه السلام إلا أن استجاب لأمر الله دون تردد، فوضع الوالد رأس ولده على الأرض ليذبحه، وبعد هذا الاختبار والبلاء، كانت المفاجأة بأن الله فداه بكبش من السماء يذبح عن إسماعيل عليه السلام، ونال إبراهيم عليه السلام بذلك وسام الشرف بنيل الإحسان وهي مرتبة أعلى من الإيمان والإسلام، فوصف بأنه من المحسنين وذلك في قوله تعالى: ﴿**قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾(الصافات: 105) وقوله: ﴿ **كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾(الصافات:110)، والإحسان كما في الحديث:"... **قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**"[4] فإبراهيم عليه السلام نال أعلى الدرجات كيف لا وهو خليل الرحمن!. والشاهد من هذا كله؛ أن الاثنين استسلما لله في الاستجابة لأمره وتطبيق ذلك فعلاً، فقال تعالى مبينا استسلام خليله عليه السلام وولده: ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾ وأسلما هنا بمعنى استسلما وامتثلا أمر الله، فانقادا له بكل طواعية، فإبراهيم عليه السلام استسلم لأمر الله، وإسماعيل عليه السلام

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، 17/7.

([2]) صحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، رقم الحديث: (135) ص: 52

([3]) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب،2995/5.

([4]) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم الحديث: (1) ص: 29.

استسلم طاعة لله ولأبيه[1]. ولفظة أسلم هنا توافق المعنى اللغوي لها وهو الخـضوع والانقيـاد، وكذا المعنى الشرعي وهي الاستسلام لله بالوحدانية وطاعته في كل ما أمر.

ب) دعاؤه عند بناء البيت وسبب اصطفاؤه ووصيته بالإسلام.

يبين الله لنا في آياته من كتابه العزيز في سورة البقرة، أن إبراهيم عليه السلام كان يـدعو الله عند بنائه للبيت الحرام أن يكون من المسلمين، وأن يقبل الله منه ما أمره به من بناءٍ لبيتـه الحرام كما في قول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ،رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ (البقرة:127_128) فيظهر في الآيـات أن إبـراهيم عليـه السلام يرجو من الله أن يكون وابنه إسماعيل عليه السلام مسلمين خاضعين له عـز وجـل، وثمة معنى آخر أي أتمم لنا ذلك_ فهما كانا مسلمَيْن مستـسلمَيْن أثنـاء دعائهمـا_ وأكرمنـا بالإخلاص لك والتسليم لأمرك[2]، ولكن الجميل أنه عليه السلام لم يقتصر في دعائـه لنفـسه وولده، بل دعا للمؤمنين من ذريته مع دعائه لنفسه ولولده. والإسلام هنا بمعنـى الاستـسلام والإذعان والانقياد، وهو يحمل معنى الإيمان[3].

لقد مدح الله إبراهيم عليه السلام بل واصطفاه؛ لأنه استسلم لله فوراً، فقال الله: ﴿**إِذْ قَـالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(البقرة: 131) والإسلام في الآية علـى أكمـل الوجـوه وأتمها،[4]وإسلام إبراهيم عليه السلام هنا هو الاستسلام لله في كل ما أمـر بـه وقـضى، قـال الراغب :" والإسلام في الشرع على ضربين: أحدهما دون الإيمان، وهو الاعتـراف باللـسان، وبه يحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل وإياه قصد بقوله:﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّـمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾(الحجرات: 24) والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتـراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر[5]، كما ذكر عـن إبـراهيم عليه السلام في قوله: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(البقرة:131).

وفي الآيات من سورة البقرة تظهر وصية إبراهيم عليه السلام لذريته بالتمسك بدين الله وهو الإسلام فقال تعالى: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الـدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾(البقرة:132) أي وصى إبراهيم بنيه بهذه الملة وهي الإسـلام بـل

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 18/7.
(2) انظر: البحر المحيط 559/1، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، 126/1.
(3) انظر: تفسير القرطبي، 132/2.
(4) انظر: المصدر السابق، 139/2.
(5) المفردات: ص:240_241.

كان القول(فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أي التزموا الإسلام واثبتوا عليه ولا تتركوه إلى الموت، فينبغي أن يموتوا وهم محسنون الظن بالله، مخلصون له في الدين، وفي هذا تأكيد على وجوب لزوم الإسلام، فهو دين الله الخالد لا غيره. ولذلك ترك هذه الكلمات في عقبه عليه السلام كما قال تعالى:﴿ **وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾(الزخرف:28) والكلمة هي: لا إله إلا الله، وكذلك وصى يعقوب بنيه من بعده بهذا الدين فقال: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾(البقرة:133) وبذلك دعا يوسف عليه السلام بأن يتوفاه الله مسلماً كما في قوله تعالى: ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ (يوسف:101) ففي هذا دليل أن دين الأنبياء واحد هو الإسلام وإن اختلفت شرائعهم لقول الله: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾(آل عمران:19) ويشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**أنَا أوْلَى النَّاس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخْوةٌ لعَلَّاتٍ، أمهاتهم شَتَّى ودينُهُم واحد**" [1][2]، بل وكانت الدعوة من الله لاتباع هذا الدين، والتصديق به لأنه سبيل النجاة في الدنيا والآخرة، فقال جل وعلا مرشداً أهل الكتاب بأن يتبعوا الدين الحق: ﴿ **قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (البقرة:136) وكذا في قوله تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾(آل عمران:84) وفي هذه الآية رد على من أراد ديناً سوى دين الله ودعوة للإيمان بما كان عليه الأنبياء عليهم السلام دون تفريق بين أحد منهم[3]، فلذلك كانت خاتمة الآيتين الإقرار بدين الله الإسلام، الذي هو صبغة الله كما اتضح في الآيات التي عقبت آية سورة البقرة ﴿**صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ**﴾(البقرة:138) وكذا في قوله تعالى مبينا حسن ملة خليل الرحمن بقوله جل وعلا:﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾ (النساء :125) فقرر أن أحسن الأديان هو ما كان فيه الاستسلام لله جل وعلا وهذا لا يكون إلا باتباع ملة إبراهيم عليه السلام، فالآيات جميعها تقرر أن الإسلام هو صبغة الله، وليس هناك من صبغة أفضل منها، يقول الطبري:" صبغة الله بمعنى آمنا هذا الإيمان فيكون الإيمان حينئذ هو صبغة الله".[4]

([1]) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، رقم الحديث:(3443) ص: 663.

([2]) انظر: تفسير القرطبي: 142/2، وانظر: تفسير ابن كثير: 222/1.

([3]) انظر: تفسير ابن كثير: 141/2.

([4]) تفسير الطبري، 622/1.

يظهر مما سبق أن لفظة الإسلام هي نفسها بمعنى الإيمان والتصديق، وهو نفسه الـــدين الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام ويعقوب وأبناؤهم من بعدهم.

ت) وصف الله إبراهيم عليه السلام بالإسلام:

وصف الله إبراهيم عليه السلام بالإسلام في قوله تعالى:﴿ **ما كَانَ إِبْـــرَاهِيمُ يَهُودِيّـــاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (آل عمران:67).

ث) وصف بيت لوط بالإيمان والإسلام في حوار الملائكة لإبراهيم عليه السلام

حدث حوار بين إبراهيم عليه السلام والملائكة حين أتته تبشره بإسحاق عليـــه الـــسلام وكان الأمر العجيب لإبراهيم عليه السلام وزوجه، أن يرزقا في سن متقدمة، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده، وأمر الله لا ينبغي أن يتعجب منه، ثم سألهم عن سبب مجيـــئهم ؟ فأخبرتـــه الملائكة أنها أتت لتقضي أمر الله في قوم لوط، وأن الهلاك محتم عليهم، فأخبرهم إبراهيم عليـــه السلام أن فيها مؤمنين فهل تعذب وفيها بيت من المسلمين؟! فأخبروه أن أمر الله مقضي فـــيهم، وهم يعلمون أن بيت لوط هو البيت الوحيد الذي كان أهله مؤمنين في قريته، وخاصة لوط عليه السلام وابنتيه، وأنهم ناجون بأمر من الله، وأنهم مخرجون من القرية التي عتت عـــن أمـــر الله، كما أخبر الله في مواطن من القرآن منها قوله تعالى:﴿**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(الذاريات:36 _35).

ففي الآيتين بيان للفرق بين الإيمان والإسلام؛ لاجتماعهما[1]، وفي الآيات بدأ بالإيمـــان، فسمى بيت لوط عليه السلام مؤمنين ثم سماهم مسلمين، وفي هذا دليل على أنهـــم مـــؤمنين ولا شك في أنهم مسلمون؛ لأن كل مؤمن مسلم وليس العكس، وهذا يثبت الفرق بين اللفظين، وذلـــك في أن الإيمان اعتقاد وتصديق، والإسلام عمل وتطبيق فبدأ بالإيمان وألحقه العمل[2].

2_ زيادة الإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام:

طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يريه إحياء الموتى أمام عينيه، ليس شكاً في قـــدرة الله على البعث، ولكن طلباً منه أن يرى ذلك على سبيل عين اليقين، وزيادةً واطمئناناً للإيمـــان الذي عمّر قلب إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى واصفاً طلبه: ﴿ **وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـــي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـــكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيـــزٌ حَكِـــيمٌ**﴾(البقرة: 260).

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص:350.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، 7/ 282، وتفسير القرطبي، 51/17.

إن الآية تشمل معانٍ منها طلب زيادة الإيمان من إبراهيم عليه السلام وشـبهة الـشك، والثاني دليل البعث، وستكتفي الباحثة في هذا المطلب على طلب إبراهيم عليـه الـسلام زيـادة الإيمان والحديث عنه، وأما دليل البعث، فستؤخره الباحثة لحين موضعه[1].

اختلف المفسرون في سؤال إبراهيم عليه السلام من الله أن يريه إحياء الموتى، فـذهب بعضهم إلى القول بأنه رأى السباع والطير تقسم دابة، فدعا الله أن يريه إحياءها بعد أن تفرقـت في بطون السباع والطير ليزداد يقينه، ومنهم من قال أن سبب ذلك المناظرة التي حصلت بينـه وبين الملك الذي ناقشه في إحياء الموتى، فسأل الله أن يطمئن قلبه في المحاجة، ويكـون خبـره عن مشاهدة وعيان، ومنهم من قال أن سؤاله حين بشره الله باتخاذه خليلاً، فدعا الله أن يعجل له بدليل يؤيد ما في قلبه من يقين بأن الله سبحانه قد اتخذه خليلاً، وقيل: هو طلب الاطمئنـان بـأن الله جل وعلا يجيب طلب إبراهيم عليه السلام إذا دعاه وسأله، وقيل: سأله شكاً فـي قـدرة الله على إحياء الموتى [2]!.

ويرجح الطبري بأن سؤاله كان " لعارض من الشيطان عرض في قلبـه"[3]، واسـتدل الطبري برواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" أرجى آية في القرآن هذه الآية: ﴿ **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى**﴾. قال ابن عباس: هذا لمـا يعـرض فـي الـصدور، ويوسوس به الشيطان، فرضى الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: بلى"[4].

والراجح بُعْد كل الأقوال السابقة عن الصواب وخصوصاً القول الأخيـر؛ لأنـه منـاف للعصمة التي هي من صفة الأنبياء مطلقاً بعد النبوة[5] ثم إن رواية ابـن عبـاس الـسابقة؛ وإن صحت فهي اجتهاد منه رضي الله عنهما في فهم الآية[6]، ومما يؤكد فساد القول الأخير حـديث النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَالَ:" **نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ** ﴿**إِذْ قَالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَـالَ**

([1]) سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث.

([2]) انظر: تفسير الطبري، 3/ 49-52، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 1/ 562-564، دار الفكر، بيروت، 1416هـ/ 1996م، وتفسير أبي السعود،447/1_448.

([3]) تفسير الطبري، 53/3.

([4]) فتح الباري، 499/6.

([5]) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي،1/ 128-129، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/ 1981م. وسيرد تفصيل في مسألة العصمة في الفصل الثاني.

([6]) انظر: إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكـريم، الأميـري، ص:199، دار المنـارة، جـدة، ط1، 1406هـ/1986م.

بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ..." [1] والمقصد من الحديث أن إبراهيم عليه السلام لم يشك ولو شك في قدرة الله لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى منه في ذلك، وإنما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعاً منه، وإلا فإن المعنى لو شك إبراهيم عليه السلام لوقعنا في الشك، ونحن لم نشك فهو أولى من عدم الشك[2].

والآية تبين في كلمة منها أن إبراهيم عليه السلام أراد من الله زيادة الإيمان والطمأنينة وهذا من قوله:" **ولكن ليطمئن قلبي**" أي يا رب علمت وآمنت ولكن ليحصل لي السكون في قلبي وذلك بالمعاينة والمشاهدة، فأراد عليه السلام أن يحصل على عين اليقين بعد أن أصبح له علم اليقين؛ لأن الخبر ليس كالمشاهدة[3]، وبهذا تبين الآية أن الإيمان يزيد وينقص، وأن هناك مراحل للإيمان كان منها أن طلب إبراهيم عليه السلام الاستزادة منه؛ فحصل له من اليقين مع رؤيته لبعث الموتى كما ورد في الآية، فجوابه عليه السلام يؤكد أن الإيمان لم يغب عن قلبه، وإنما طلبه عليه السلام كان ليزداد بالمشاهدة إيماناً ويقيناً، وتتوثق الرؤية بالعين إلى الاعتقاد بالقلب، ليطمئن قلبي، فالمسألة ليست شكا في قدرته جل وعلا، فهذا ليس من سمت المؤمنين فكيف بخليل الرحمن، ولكن ما كان عليه إنما هو من باب " التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية"[4].

رابعاً: الإحسان في قصة إبراهيم عليه السلام:

وصف إبراهيم عليه السلام بالإحسان وهي مرتبة أعلى من الإسلام والإيمان، وما كان له ذلك إلا لفوزه بالاختبار الذي وضع فيه لا سيما ذبح ولده، وقد وردت لفظة الإحسان مع إبراهيم عليه السلام في ثلاث آيات من كتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾(الأنعام:84) وقوله تعالى:﴿ **قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾(الصافات:105) وقوله: ﴿ **كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾(الصافات:110). ففي الآيات بيان لما جزاه الله به من الإحسان؛ لأن الله اختاره لبلاء عظيم هو ذبح ولده، وهو مع ذلك كله خضع واستسلم لأمر الله، فكان الجزاء الإحسان، وذلك بتوجيه قلبه وولده ورفعهما إلى مستوى الوفاء[5].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله عز وجل ونبئهم عن ضيف إبراهيم، رقم الحديث: (3372) ص: 646.

(2) انظر: فتح الباري، 500/6.

(3)انظر: معالم التنزيل في التفسير والتأويل، البغوي، 232/1، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.

(4) في ظلال القرآن، 301/1.

(5) انظر: المصدر السابق، 2996/5

بعد تتبع لفظة الإسلام والإيمان والإحسان في قصة إبراهيم عليه السلام، فإنه يلاحظ أمور منها:

1- أن إبراهيم عليه السلام وُصِف بالمراتب الثلاث الإسلام والإيمان والإحسان، فوصفه بالإسلام كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً**﴾ ووصفه بالإيمان في قوله تعالى:﴿**قال أولم تؤمن قال بلى**﴾ وأما الإحسان فكما قال عنه تعالى:﴿ **كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾.

2- معنى الإسلام في بعض الآيات المتعلقة بقصة إبراهيم عليه السلام يفوق معنى الإيمان، كما في قوله:﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(البقرة:131) فإبراهيم عليه السلام استسلم لله في كل ما قضى وقدر، بل إن إبراهيم عليه السلام كان قمة في استسلامه لله فقد سلم نفسه لله، وولده قرباناً لله، وسلم قلبه لله رب العالمين، فكانت صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين[1].

3- إثبات أن الإيمان يزيد وينقص، وأن رؤية الخوارق الإلهية تزيد الإيمان، ويظهر ذلك في طلب إبراهيم عليه السلام من ربه إحياء الموتى طلباً لزيادة الإيمان، وليس شكاً في قدرته عز وجل، وطلب إبراهيم عليه السلام كان لزيادة إيمانه لا لنقص طرأ عليه، ودليله:" **ولكن ليطمئن قلبي**" وحينما حصل له ذلك وبعد أن قام بالتجربة العملية المشاهدة، ازداد يقينا واطمأن قلبه، وأيقن أن الله عزيزٌ حكيمٌ، وأنه على كل شيء قدير.

4- وجود بعض آيات انفردت بلفظة الإسلام وآيات أخرى انفردت بلفظة الإيمان، وثالثة جمعت بين اللفظين في نفس الموضع، فهذا يؤكد أن الإسلام والإيمان بمعنى واحد إذا انفردا ويختلفا إذا اجتمعا، وهو القول الثالث من أقوال العلماء، وذلك ملاحظ في الآيات عند تتبعها كما لفظة الإسلام في قوله تعالى عنه:﴿ **وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(آل عمران:67) ففيه بيان صفة من صفاته عليه السلام وهي الإسلام الذي هو بمعنى الإيمان، ويستحيل أن يكون في مرتبة أدنى من ذلك، وخصوصاً مع خليل الله، وفي الإيمان قوله تعالى:" **قال أولم تؤمن قال بلى**" إثبات الإيمان في قلب إبراهيم عليه السلام، وهذا يعني ضمناً إسلامه أي استسلامه، فلا يعقل أن يكون مؤمناً وليس مُسْلمًا مسلِّماً أمره لله، وأما في اجتماع اللفظين فقوله تعالى: ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(الذاريات: 35_36) وفيه بيان أن الإسلام أعم من الإيمان، فلو كان

---

(1) انظر: تاج العروس، 340/8.

اللفظان بنفس المعنى لما اجتمعا، واجتماعهما يعني الفرق بينهما في المعنـــى لا ترادفهمـــا، فبيت لوط لم يتصف بالإسلام فقط بل وبالإيمان الذي هو أقوى من الإسلام[1].

([1]) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص:351، ومجموعة الفتاوى، 227/7.

المطلب الثاني

الإخلاص

الإخلاص حقيقة الدين، وهو مفتاح دعوة الرسل عليهم السلام، وبه يرفع العمل ويقبل، وبغيره -الشرك- يحبط العمل، وكل العباد مأمورون بالإخلاص له وحده بالعبادة جل وعلا، كما قال تعالى:﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ (البينة:5) وتحقيق الإخلاص يؤدي إلى الجنة، والتهاون به يؤدي إلى النار.

أولاً: الإخلاص لغة: من صفا وزال عنه شوبه، وخلص الشيء: صار خالصاً، وخلصت إلى الشيء وصلت إليه. فأصل الكلمة يعود على الصفاء والنقاء والتهذيب، والبعد عن الأخلاط والشوائب[1].

ثانياً: الإخلاص اصطلاحاً: قال ابن القيم في معنى الإخلاص:" إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة" [2].

ثالثاً: إبراهيم عليه السلام والإخلاص

الإخلاص سمة بارزة للأنبياء ولاسيما خليل الرحمن، فلقد قال الله جل وعلا عن خليله عليه السلام:﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ** ﴾ (ص:45-46) وهنا ذكره الله سبحانه بالعمل الصالح وقوته بالعبادة والطاعة[3].

لقد وصف الله خليله عليه السلام بأنه صاحب قلب سليم فقال عنه جل وعلا:﴿ **إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ (الصافات:84) وهو القلب المخلص لله وحده البعيد عن الشك والشرك[4]، " قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي شهادة أن لا إله إلا الله"[5]، وبهذا اصطفاه الله فكان خليلاً له جل وعلا، واستحق أن يكون من أولي العزم من الرسل، فقد جاء لربه بقلب طاهر من الشرك والمعاصي، وهذا القلب هو الذي ينفع المسلم يوم القيامة، ولهذا فإنه عليه السلام في دعوته

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، 208/2، ولسان العرب، 173/4. مادة خلص.

(2) مدارج السالكين، 95/2.

(3) انظر: تفسير ابن كثير، 49/7، و تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص، سيد العفاني، ص: 138، دار العفاني، بني سويف، ط1، 1421هـ/2001م.

(4) انظر: تفسير الطبري، 454/9.

(5) تفسير ابن كثير، 15/7.

لقومه بين لهم أن الناجي يوم القيامة، هو من يأتي الله بقلب سليم فقال: ﴿ **إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ (الشعراء:89) وهو القلب الحي بلا إله إلا الله، السليم من الشرك وغوائله[1].

وما كان اصطفاء إبراهيم عليه السلام بالخلة؛ إلا لأنه تفرد بحب الله في قلبه، وقد ظهر ذلك حينما وهبه الله الولد- إسماعيل- في كبره، فتعلق في قلبه شيء من الحب لولده، فأمره الله بذبح ابنه، فامتثل لأمر الله وبهذا خلص القلب لله تعالى، وعليه اتخذه الله خليلاً، وكان المقصد هو تأكيد النفس على الامتثال لأوامر الله[2].

ولقد بينت الآيات في سورة البقرة شدة إخلاص نبي الله إبراهيم عليه السلام، وذلك حينما عرضت الآيات بناءه للبيت الحرام بأمر من الله سبحانه، ويظهر ذلك جلياً في دعائه عليه السلام لله سبحانه أن يتقبل منه العمل وهو بناء البيت، كما قال تعالى:﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (البقرة:127) ففي الآية وصف للحال التي كان عليها هو وولده إسماعيل عليهما السلام، وهو الخوف من عدم القبول لعملهما، وهذا من قمة الإخلاص الذي كان عليه خليل الرحمن، ومثله ما ذكره الله في كتابه، عن إخلاص المؤمنين فقال:﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾ (المؤمنون:60) أي مهما فعلوا من صالح الأعمال فلا يزالون في خوف أن لا يتقبل الله منهم، وفي هذا إشعار بالاعتراف بالتقصير من العبد في حق الله وإن اجتهد في الطاعة[3].

ولا شك أن دعوة إبراهيم عليه السلام كانت إلى الإسلام وإخلاص الدين لله، ولهذا أمرنا الله أن نتبع ملة إبراهيم عليه السلام، فقال جل شأنه:﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ وملة إبراهيم عليه السلام هي الحنيفية وقد سبق في معنى الحنيفية وهي الميل عن الشرك إلى التوحيد، وقد كان عليه السلام مخلصاً لله وحده متوجهاً إليه بكليته نحو التوحيد والإخلاص له جل وعلا، وقد بين القرآن وجهته عليه السلام حينما ذكر مقولته بعد دعوته لعبدة الكواكب معلناً اتجاهه لله سبحانه فقال:﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (الأنعام:79) أي أخلصت ديني لله سبحانه الذي خلق السماوات والأرض، بعيداً عن الشرك، ومن هذا يعرف أن من معاني الحنيفية الإخلاص، وقد دعانا الله سبحانه أن نتوجه إليه بالعبادة الخالصة له جل وعلا فقال تعالى:﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ**

([1]) انظر: تفسير القرطبي، 122/13، وتفسير ابن كثير، 36/6.

([2]) انظر: الداء والدواء، أو الجواب الكافي، ابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ص: 193، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ/2001م.

([3]) انظر: تفسير ابن كثير، 209/1، ونظم الدرر، 209/5.

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:30) والآية تضمنت الصدق والإخلاص، فإن من إقامة الوجه للدين، هو أن يقصد بالعمل فقط الله سبحانه[1].

وترك إبراهيم عليه السلام في ذريته أساس التوحيد، وهي كلمة لا إله إلا الله كما قال تعالى عنه:﴿ **وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**(الزخرف:28) فكانت لا إله إلا الله أساس التوحيد والإخلاص باقية فيمن بعده من ذريته يعملون، ويخضعون لله بها[2].

ولا بد للمؤمن أن يحرص على الإخلاص في كل شأنه، شأن إبراهيم عليه السلام في إخلاصه، فإن الإخلاص أساس العبادة والمرتكز عليها في قبول العمل أو لا، وعلى المؤمنين وخاصة الدعاة إلى الله أن يجددوا نياتهم، ويجعلوها لله خالصة، ويقتفوا أبا الأنبياء في ذلك؛ حتى يفوزوا بسعادة الدارين الدنيا والآخرة.

([1]) انظر: جلاء الأفهام، ص: 391.

([2]) انظر: تفسير الطبري، 179/11.

المطلب الثالث

الإمامة

لقد خلق الله الإنسان لهدف سامٍ، هو العبادة قال تعالى:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات:56) ومن معالم العبادة الاستخلاف في الأرض، ولقد خلق الله الإنسان ليعمر الأرض قال تعالى:﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾(هود:61) أي هو الخالق لكم من الأرض وهو الذي جعلكم عمّارًا لها تستغلونها بكل نفع[1]، ولمّا كان من معاني العبودية تحكيم وتطبيق شريعة الله سبحانه، وهذا لا يكون إلا بإمامة صالحة، كان الحديث عن الإمامة في هذا الباب لعلاقة الإمامة بالألوهية من حيث أنّها هدف من أهداف خلق الله للإنسان، وأنّها سبيل لتطبيق شرع الله عزّ وجل وهو من معاني الألوهية.

أولاً: الإمامة لغة: من أم يؤم، وأصل معناها: القصد وتأتي بمعنى التقدم يقال: أمّهم، وأمّ بهم أي تقدمهم[2]، "والإمام كل من ائتمّ به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين... والجمع أئمة، وإمام كل شيء قيّمه والمصلح له"[3].

ثانياً: الإمامة اصطلاحاً: " الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعاً"[4]، يتضح من معنى الإمامة أنها القيام على مصالح الناس في الدين والدنيا.

ثالثاً: إبراهيم عليه السلام والإمامة

ذكر الله في كتابه وصفاً لإبراهيم عليه السلام بأنه أمة فقال تعالى:﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(النحل:120) وكما سبق في معنى أمة أنه قدوة يهتدى به أهل الهدى في الخير[5]، وتعرض الآيات في سورة البقرة أن الله أراد أن يجعل من إبراهيم عليه السلام للناس إماماً، وكان هذا بمثابة امتحان له عليه السلام وابتلاء، فما كان منه عليه السلام إلا أن أتمّ امتحانه على أكمل وجه، وبهذا الاختبار قد حاز إبراهيم عليه السلام الاصطفاء والاجتباء الرباني فأصبح إماما للأمة المسلمة قال تعالى:﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾(البقرة:124) وفي هذه الآية ثلاث صفات تبين فضائل إبراهيم عليه السلام، وهي الابتلاء بالكلمات، والوفاء بها، والإمامة والقدوة لمن بعده، فظهر من معنى الإمام في الآية نفس معنى أمة وهو أن يكون عليه السلام

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 194/4.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة، ص: 21_30.

(3) لسان العرب، 213/1_214، مادة أمم.

(4) التعريفات، الجرجاني، ص: 66.

(5) انظر تفسير الطبري، 659/7.

قدوة لمن بعده من أهل الإيمان، فيتبعون ما عليه من الهدى ويقتفون سنته التي هي بـوحي مـن الله[1]، ولهذا بقي عليه السلام إماماً للهدى مع كل الناس من المؤمنين، على اخـتلاف الزمـان والمكان[2].

ولم يقف إبراهيم عليه السلام عند معرفته بأنه إمام للمؤمنين، بل طلب من الله تعالى أن يعرف لمن تكون الإمامة من بعده، فطلب ذلك على سبيل الرغبة في الدعاء، أي ومن ذريتي يا رب من سيكون؟ فأعلمه الله جل جلاله أن من ذريته من سيكون ظالمـاً وعاصـياً لله سـبحانه وعلى هذا فإنه لا يستحق النبوة ولا الإمامة من كان ظالماً من ولدك فقـال: **(لا ينـال عهـدي الظالمين)** ومعنى عهدي في الآية الإمامة، وهي تشمل إمامة الرسالة وإمامة الخلافة والصلاة، فبينت الآية أنّ من كان من أهل الفسوق والعصيان فهو ليس أهلا للإمامة، وفي هـذا بيـان أن الإمامة لا تمنح إلا للأتقياء؛ لأنها عهد من الله، ولأن الإمام يقتدى به فلا يقتدى بالظالمين ولـذا فلا ولاية لفاسق، وأن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصله الظالمون[3].

لقد أراد خليل الله أن تبقى الإمامة في الأرض؛ لتكون الإمامة مظهر لبقاء أناس يطبقون منهج الله في الأرض على نفس طريقه عليه السلام من الوفاء والإكمال، ولكن الله تبارك وتعالى أعلم وأدرى بخلقه من أي أحد، فبين لإبراهيم عليه السلام أنّ بعضاً من ذريته سـيخالفون مـا أراده عليه السلام من تطبيق منهج الله في الأرض، ومخالفة الله سبحانه بالعصيان، وفعلاً كـان ما كان من ادعاء قوم أنهم أحق بالإمامة مع ظلمهم وعتـوهم فـي الأرض، وادعـوا نـسبتهم لإبراهيم عليه السلام وهو منهم براء، وقصروا الإمامة فيهم وهم اليهود، فبين الله بقـول فَـصْلٍ أظهر فيه من هو الأحق بالإمامة، بأن من عمل وأدى واجبه كاملاً بصبر ومـصابرة وتحمـل المشاق كما كان عليه السلام في صبره، وانقاد لشرعه جل وعلا وائتمر بما كلفـه الله، وتـرك العناد والصلف والتمرد، هو من يكون إماماً، وفي هذا تنحية لليهود عن منصب الإمامة والقيادة؛ لأنهم ظلموا وفسقوا وانحرفوا عن عقيدة إبراهيم عليه السلام، فوراثة إبراهيم عليه السلام ليست قائمة على الجنس والنسب، بل قائمة على نصرة الدين، فالظلم والكفر مانع للإمامة[4].

إن الإمام لا بد أن يكون قدوة مستسلماً لله جل وعلا مجاهداً بنفسه وماله في سـبيل أن ترفع كلمة الله في الأرض، يتبرأ من الكفار ولا يوالي إلا أولياء الله، فركائز الإمامة إمام مـسلم

([1]) انظر: تفسير الطبري، 580/1، وأخطاء يجب أن تصحح في التاريخ جمال مسعود، ص: 73، دار طيبـة، الرياض، ط1، 1406هـ/ 1986. ومن لطائف التعبير القرآني، ص: 112.

([2]) انظر: القصص القرآني، الخالدي، ص: 442-443.

([3]) انظر: تفسير ابن كثير، 199/1، وتفسير القرطبي، 114/2،113، وتفـسير البيـضاوي، 398/1 وتفـسير الرازي، 41/4، وفي ظلال القرآن،112/1.

([4]) انظر: قصص الأنبياء، الشعراوي، ص: 560، والقصص القرآني، الخالدي، ص: 442-443، و في ظلال القرآن،113/1.

وأمة مسلمة ونظام وشريعة من الله تطبق في الأرض، وإلى هذا سعى إبراهيم عليه السلام فكان يسأل الله القبول منه فقال:﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(البقرة: 124) وطلب من الله كذلك أن يكون وابنه إسماعيل مستسلماً لله سبحانه، وأن يجعل من ذريته أمة مسلمة له جل وعلا فقال:﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:128) ثم طلب من الله أن يكون في ذريته إماماً لهم يعلمهم أمور دينهم ويزكي نفوسهم فقال:﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾(البقرة:129)[1].

إن توحيد الألوهية لله سبحانه وتعالى يتطلب عباداً مؤمنين بوجوده إلهاً عليهم قادراً على تدبير أمورهم؛ ولذلك كان لا بد من إمامة الناس وتوجيههم لتعمير الأرض تحقيقاً لشرع الله الذي سنه في كتابه، فكانت الآيات الواردة في قصة إبراهيم عليه السلام لهي دليل على ذلك بما اشتملته من وصف لإبراهيم عليه السلام بأنه إمام بما للإمامة من شروط وهي الإيمان والتقوى والصلاح، فكان الخليل عليه السلام أمة في الخير يعلم الناس الحكمة والصلاح، وفي هذا تحقيق لتوحيد الألوهية.

(1) انظر: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ، ص: 74-75.

المطلب الرابع

الشكر

الشكر عبادة من أعظم العبادات التي يتقرب بها الإنسان لربه؛ لأن الشكر نصف الإيمان ونصفه الآخر هو الصبر، والشكر عبادة من أعلى المقامات، لأنه يشمل القلب واللسان والجوارح، ويدخل فيه الصبر والرضا والكثير من العبادات البدنية والقلبية، ولقد أمر الله عز وجل بأن نشكره ولا نكفره فقال تعالى: ﴿**وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾ (البقرة:152)[1].

أولاً: الشكر لغة: الاعتراف بالإحسان، والثناء على المحسن بما قدم من معروف[2].

ثانياً: الشكر اصطلاحاً: "ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً وعلى قلبه شهوداً ومحبةً وعلى جوارحه انقياداً وطاعةً"[3]. والشكر تصور النعمة وإظهارها، وضده الكفر، وهو على ثلاثة أنواع، شكر القلب وذلك بتصور النعمة، وشكر اللسان ويكون بالثناء على المعطي، وشكر الجوارح ويكون برد المعروف بقدر ما يستحقه المعطي[4].

ثالثاً: إبراهيم عليه السلام والشكر:

إن الشكر من أعظم صفات الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولذا كان من وصف خليل الرحمن عليه السلام بأنه من الشاكرين لله، فوصفه الله بذلك فقال جل وعلا: ﴿**إِنَّ إبـراهيمَ كانَ أمَّةً قانتاً للهِ حنيفاً ولَمْ يَكُ مِنَ المشركينَ * شاكراً لأنْعُمِهِ**﴾ (النحل: 120ـ121) ففي الآية بيان أن شكر إبراهيم عليه السلام لنعم أنعم الله بها عليه، وكان عليه السلام قائماً بشكر نعم الله عليه على أتم وجه؛ ولذا اجتباه واصطفاه، ومن المعاني في الآية أنه عليه السلام قدوة لمن بعده فهو أمة في الخير، ومن صفات الأمة حين يكون قدوة، أن يكون قانتاً لله وشاكراً له على نعمه فالشكر تحقق لوجود العظيم المنعم المستحق للشكر[5].

وقد بينت الآيات من القرآن الكريم مثالاً على شكر إبراهيم عليه السلام، وذلك بحمده لله سبحانه وتعالى على نعمة الولد، الذي أنعم الله عليه وعلى زوجه في كِبَره عليه السلام، وقد ذكر الله في كتابه عز وجل حمده عليه السلام لربه؛ لرزقه الولد فقال جل شأنه عنه: ﴿ **الْحَمْـدُ لِلّـهِ**

---

(1) انظر: مدارج السالكين، 252/2، وإحياء علوم الدين، 77/4.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة، 207/3 مادة شكر، ولسان العرب، 170/7.

(3) مدارج السالكين، 254/2.

(4) انظر: إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم أحمد الأميري، ص: 164.

(5) انظر: تفسير ابن كثير، 348/4، و سلسلة أعمال القلوب، محمد المنجد، ص: 157، دار الفجر، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م، وأولو العزم من الرسل، طه وادي، ص: 75، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 1418هـ/ 1998م.

الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء﴾ (إبراهيم:39) وهنا لفتة في لفظة الحمد، والفرق بينها وبين الشكر، وقد وقع في ذلك اختلاف، وذكر ابن القيم الفرق بينهما، وذلك بأن الحمد يقع بالقلب واللسان، بخلاف الشكر فإنه يقع بالجوارح مع القلب واللسان، وبهذا يكون الشكر أعم من الحمد؛ لأن الحمد لا يكون إلا باللسان. وقول آخر أن الشكر أخص من جهة، حيث إنه يقتصر على حصول النعمة، أما الحمد فهو أعم من ذلك، فيكون في مقابل النعمة وغيرها، والشاهد عليه أن الله له المحامد كلها وفي كل حال، فهو محمود في السراء والضراء، والعطاء والمنع، فله الحمد على خلقه وأمره[1].

ولا يزال الاختلاف باقياً في المسألة، وكثير من أهل اللغة يرون أن الحمد أعم من الشكر[2]، وما تراه الباحثة أن هناك عموم وخصوص بينهما، وأن إبراهيم عليه السلام وسعه الأمران الحمد والشكر فكان شاكراً لله سبحانه على نعمه، ومنها نعمة الولد التي حمد الله تعالى عليها.

ولم يقف شكره عليه السلام عند هذا الحد، بل إنه أمر قومه بشكر الله فقال داعياً لهم: **﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** (العنكبوت:17) فهنا يدعوهم ليتفكروا بعظيم نعم الله سبحانه عليهم، ولكنهم قابلوا هذه النعم بالجحود والكفران فعبدوا غيره ممن لا يستحق عبادة ولا شكراً[3].

وهكذا فإن خليل الرحمن كان لله شاكراً بقلبه ولسانه وجوارحه محباً له، معترفاً بنعمه وما زاده من فضله، مستعملاً كل نعمة فيما يرضى ربه، فكان بعد النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشاكرين.

---

(1) انظر: مدارج السالكين، 256/2.

(2) انظر: لسان العرب، 314/3، وتفسير القرطبي، 1/ 150.

(3) انظر: تفسير ابن كثير، 6/ 109.

المطلب الخامس

الدعاء والاستغفار

الدعاء من أجلّ العبادات القولية، ومن أعظمها شأناً، بل هو العبادة كما في الحديث عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ **قَالَ:" الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ. وَقَرَأَ" وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" إِلَى قَوْلِهِ دَاخِرِينَ"**[1]، فترك الدعاء يعني ترك العبادة، وهو من أقبح الاستكبار، إذ لا يليق بالعبد أن يتكبر على ربه فيترك حاجته منه وهو الخالق الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وبالدعاء تحصل المطالب وتدفع المكاره[2]، وهو نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة، والنوعان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وكلاهما من خصائص الله سبحانه، فالله هو المدعو دعاء المسألة ودعاء العبادة، قال ابن تيمية:" وكلا نوعي الدعاء مختصان بالله تعالى، حقان له، لا يصلحان لغيره، بل دعاء غيره بأحد النوعين شرك... وكلا النوعين يوجب اختصاص الرب سبحانه وتعالى بأنه الأحد وبأنه الصمد، فإن كونه (أحداً) يوجب أن لا يشرك به في العبادة، ولا الاستغاثة، فلا يدعى غيره. والاسم الصمد جاء معرفاً يبين أنه هو الصمد، الذي يستحق أن يصمد إليه بكلا نوعي الصمد، وهذان الاسمان- الأحد والصمد- لم يذكرا في القرآن إلا في هذه السورة- الإخلاص-" [3].

أولاً: الدعاء لغة: العبادة، أو التوحيد، أو الاستغاثة، أو النداء[4].

ثانياً: الدعاء اصطلاحاً: سؤال الله واستغاثته، قال تعالى: ﴿ **قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ**﴾ (البقرة: 68) أي اسأله[5].

ثالثا: الاستغفار لغة: الاستغفار لغة: من غفر، وأصل معناه التغطية والستر، والاستغفار طلب المغفرة.[6]

رابعاً: الاستغفار اصطلاحاً: من طلب الغفران، والغفران تغطية الذنب بالعفو عنه، ويكون ذلك الطلب بالمقال والفعال[1].

([1]) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة البقرة، رقم الحديث: (2969) 45/5، وقال عنه الترمذي: حسن صحيح.

([2]) انظر: تحفة الذاكرين، ص: 25، (نقلاً عن أقوال التابعين، 569/2)، والفوائد، ابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ص: 241، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م.

([3]) بيان تلبيس الجهمية، 2/ 457-458، مؤسسة قرطبة.

([4]) انظر: لسان العرب، 359/4، مادة دعا.

([5]) انظر: المفردات، ص: 170.

([6]) انظر: معجم مقاييس اللغة، 385/4، لسان العرب،91/10، مادة غفر.

خامساً: العلاقة بين الدعاء والاستغفار:

سبق تعريف الدعاء والاستغفار، والمتتبع للتعريفين فإنه يلحظ اشتراك الاثنين في الطلب من الله، ولكن الاستغفار طلبه أخص فهو قاصر على طلب العفو والصفح من الله عما سلف من ذنوب يقترفها العبد، أما الدعاء فإنه يكون لقضاء حاجة أو عبادة.

سادساً: إبراهيم عليه السلام والدعاء:

إن إبراهيم عليه السلام دعا ربه في مواطن عدة بيّنها القرآن الكريم، وهذا يبين مدى صلة خليل الرحمن بربه عز وجل، فإن الله تعالى أمر خليله عليه السلام وابنه ببناء البيت الحرام، وأمرهما بتطهيره من الأصنام والنجاسات؛ حتى يتسنى للطائفين والقائمين والركع السجود من أداء المناسك كما يحب الله ويرضى، ثم أمره جل وعلا بأن ينادي في الناس لأداء الحج في المكان الذي بنياه، فقال تعالى: ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾ (الحج:27)[2] إنه عليه السلام بعد ندائه للناس دعا بدعوات عظيمة لمكة ومن فيها فقال عنه جل وعلا: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ (البقرة:126) ودعا له ولذريته فقال: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (البقرة:128) وقد ودعا عليه السلام لأهل مكة أن يبعث فيهم رسولاً منهم يدعوهم إلى الله وعبادته وحده فقال: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ** ﴾ (البقرة:129) وقد استجاب الله دعاءه عليه السلام، فكانت مكة بلداً آمناً، ورزق أهلها من الثمرات، وبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم فيهم ليدعوهم إلى الله، وكان صلى الله عليه وسلم دعوة إبراهيم عليه السلام، كما في الحديث عن أبي أُمَامَةَ قَالَ:" **قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ:" دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ**"[3].

ولقد عرضت سورة إبراهيم عدة دعوات لخليل الرحمن متتالية للبيت الحرام وأهله، وهي كما ذكر الله عنه عليه السلام: ﴿**إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ**

([1]) انظر: المفردات، ص: 362.

([2]) انظر: تفسير ابن كثير، 241/5.

([3]) مسند أحمد، رقم الحديث: (22261)، 596/36، قال عنه شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ* رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء* الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء* رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: 35-41) وفي هذه الآيات عرض المثال للإنسان الشاكر لنعم الله، وهو مثال أبي الأنبياء عليه السلام، فأظهرت في مشهد رائع يغبطه الخشوع والتذلل بالشكر لله سبحانه، والتضرع إليه بالدعاء، لقد طلب عليه السلام الأمن للبلد الحرام، وفي ذلك إظهار أهمية نعمة الأمن في حياة الإنسان، ومن شكر الله على نعمه عبادته وحده؛ لذلك ثنى بالدعاء اجتناب عبادة الأصنام، وبيّن أنها تضل كثيراً من الناس عن عبادة الواحد الديان، ثم يدعو الله لذريته بأن يهوي إليها من أفئدة الناس، ما تؤنس ذريته، والتابعين لدينه، ثم يحمد الله على ما وهبه من الذرية بعد كبر سنه عليه السلام، وفي نهاية الدعاء يدعو لوالديه والمؤمنين بالمغفرة يوم الحساب، وبهذا فدعاؤه بدأ بالأمن وانتهى بطلب العفو والغفران[1].

إن إبراهيم عليه السلام كان كثير الدعاء، وقد دعا لنفسه كما حكى القرآن عنه فقال:﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ* وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ* وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ* وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ* وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ* يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: 83-89) فإنه دعا لنفسه أن يؤتى الحكم وهو العلم، وطلب اللحاق بالصالحين في الدنيا والآخرة، وطلب الذكر الجميل له في عقبه، والاقتداء به لمن بعده، وهذا طلبه في الدنيا، أما الآخرة فأراد أن يكون من ورثة جنة النعيم، ثم دعا بالمغفرة لأبيه- وسيأتي بعد قليل استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه-، وأن يحميه الله من الخزي يوم الدين لأنه في ذلك اليوم لا ينفع إلا من صفى قلبه لله سبحانه، فهو الفائز في الدنيا والآخرة[2].

سابعاً: إبراهيم عليه السلام والاستغفار:

تبين فيما مضى من دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه من نبذ للأصنام وعبادة الواحد الأحد، ولكن ما كان من الأب إلا أنه رفض دعوة إبراهيم عليه السلام، بل إنه هدده بالرجم إن لم ينته في دعوته له بالهداية، كما ذكر الله ذلك في كتابه فقال: ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً**﴾ (مريم:46) رغم كل هذا إلا أنه عليه السلام قابل ذلك بالصفح والعفو فقال له (سلام عليك)" توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة،

([1]) انظر: تفسير الطبري، 460/7_467، وأخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، ص: 305-307.

([2]) انظر: تفسير ابن كثير، 35/6-36.

فإن ترك الإساءة للمسيء إحسان"[1]، وهذا ما يفعله المؤمنون مع الجاهلين، مثل هذا من وصفهم الله بعباد الرحمن فقال: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً**﴾ (الفرقان:63).

لم يقف إبراهيم عليه السلام عند هذا الحد، بل إنه استغفر لأبيه فقال: ﴿ **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً**﴾ (مريم:47) أي إن ربي لطيف بي عودني الإجابة منه إذا دعوته[2].

وثمة سؤال ما حكم الاستغفار للكافر وقد استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه وهو كافر، والجواب: أن الاستغفار للكافر وهو حي جائز إلى أن يرى المستغفر موت الكافر فإن مات على كفره فلا يجوز ودليله﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ (التوبة:113) فإن قيل إن إبراهيم استغفر لأبيه فقال: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** ﴾ (إبراهيم:41)، فيرد عليه بأنه عليه السلام تبين له بعد ذلك أنه عدو لله فتبرأ منه كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ (التوبة:114) ولما علم من أبيه رفض الدعوة اعتزله وهجر قومه، واعتزل آلهتهم المزعومة، فنال من الله من هو خير منهم فكان له من الولد الأنبياء الصالحين، وكان لهم لسان صدق عند الله[3].

([1]) روح المعاني، الألوسي، 144/9.

([2]) انظر: زاد المسير، 166/5.

([3]) انظر: تفسير ابن كثير462/4، وزاد المسير، 346/3.

المطلب السادس

الخوف

إن من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله عبادة الخوف والخشية منه سبحانه وتعالى، ولقد بين الله في كتابه جزاء من يخشاه جل وعلا فقال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾(الملك:12) وقال:﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾(الرحمن:46) بل ولقد مدح الله سبحانه الذين يخشونه بالغيب فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾(المؤمنون:57-61).

أولاً: الخوف لغة: الفزع والذُّعر، قال ابن فارس:" الخاء، والواو، والفاء أصل واحد يدل على الذُّعر والفزع، يقال: خفت الشيء خوفًا وخيفة"[(1)].

ثانياً: الخوف اصطلاحاً:" عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال"[(2)]، وهناك فرق بين الخوف والخشية؛ فالخوف" هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره، وقيل اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف"[(3)]، أما الخشية فهي:"الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطان"[(4)] وهنا يظهر أن الخشية أخص من الخوف، وهي للعلماء[(5)]، ودليله قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾(فاطر:28).

وقد يقترن الخوف بالرجاء، كما قال تعالى:﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾(الزمر:9) وهاتان عبادتان متعلقتان بصفات الله سبحانه، فالذي يبطل إحداهما يبطل الأخرى، فالخوف يتعلق بصفة القهر، والرجاء تتعلق بصفة الرحمة، ومعلوم أن المؤمن لا بد وأن يثبت الأسماء لله سبحانه وما يتعلق بها من صفات وما يترتب

---

(1) معجم المقاييس في اللغة، 230/2. مادة خوف.

(2) مختصر منهاج القاصدين، أحمد المقدسي، تحقيق: خالد عثمان، ص: 303، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1423هـ/2003، وإحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، علق عليه: طه سعد، 97/4، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1423هـ/ 2003م.

(3) مدارج السالكين، 549/1.

(4) معجم ألفاظ العقيدة، ص: 165.

(5) انظر: المصدر السابق نفسه.

عليها من عبادات، وأن يتصف بالخوف والرجاء معاً، لما لذلك من الاستقامة دون أن ينفرد بأحدهما عن الآخر[1].

ثالثاً: إبراهيم عليه السلام والخوف من الله

لقد ذكر الخوف مع خليل الرحمن في رده على قومه من عبدة الكواكب، كما تبين ذلك الآيات حين كان يحاجج قومه على سخف عبادتهم، فبان لهم صدقه وقوة حجته، فما كان منهم إلا أن خوفوه بالآلهة التي يعبدونها من دون الله، ظانين أنها قد توقع هلاكاً به عليه السلام، ولكنه رد عليهم رد الواثق والمتيقن بعظمة الله وقدرته على الخلق قال تعالى: ﴿**وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ* وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ (الأنعام: 80-82) وحاجّه قومه أي جادلوه في آلهتهم، وخوفوه بها، فرد عليهم كيف أخاف الذي هداني لتوحيده ومعرفته سبحانه؟ فإني لا أخاف آلهتكم كونها لا تملك نفعاً ولا ضراً، فهي لا تقدم مكروها إلا بإذن من الله فالمكروه حينما يصيب هو من جهة الله سبحانه لا من جهة أصنامكم المزعومة، فالنفع والضر بيده لا بأيديهم فلذلك قال: (إلا أن يشاء ربي شيئا) فكله بمقتضى مشيئته سبحانه، (وسع ربي كل شيء علماً) أي أحاط بعلمه كل شيء، فلا يخفى عليه شيء، (أفلا تتذكرون) أي ألا تعقلون سخف عبادتكم لآلهة لا تنفع ولا تضر، فتنزجروا عن عبادتها! ألا تميزون بين من يقدر ومن يعجز! وتخافونها والأحق بالخوف هو الله سبحانه وتعالى[2].

وحوار إبراهيم عليه السلام مع عبدة الكواكب قرر لهم قاعدة في الأمن والخوف، فقال لهم: ﴿**وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأنعام:81) أي كيف يخاف عليه السلام ممن ليس بيده الضر والنفع وليس بيده أي شيء، بل هم أموات، وقومه لا يخافون أنهم أشركوا مع الله القادر القوي غيره بدون برهان أو دليل قاطع، فكأن كلامه لهم بتعجب واستغراب" مالكم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن؟ ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف؟"[3] إنه عليه السلام يبين لهم من الأحق بالأمن، فقال: (أي الفريقين أحق بالأمن) ولم يقل أينا أحق بالأمن، وذلك من الأدب في المناظرة في أوج الحجة والبرهان، حتى لا يتمسك الناس بالباطل، ويتعنتوا بسبب انهزامهم أمام الحق فيكابروا بالباطل الذي هم عليه، ولقد بين عليه السلام أن الأولى بهم أن

---

(1) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح الفوزان، ص: 59، 1422هـ.

(2) انظر: تفسير الطبري،248/5، وتفسير ابن كثير، 175/3.

(3) تفسير النسفي، 31/1_32.

يخافوا من الله لشركهم به غيره دون استحقاق، بدلاً أن يخوفوه هم، فالخوف يلحق الذي يعبد ما لا ينفع ولا يضر، أما الأمن فإنه لمن عبد الله الذي هو على كل شيء قدير، وهو الذي بيده النفع والضر وبيده كل الخير، فقاعدة الأمن ملخصة في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ أي من أخلص لله بالتوحيد ولم يشرك معه أحد من خلقه فذلك له الأمن، ومعنى الظلم في الآية: الشرك كما في الحديث عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "**لَمَّا نَزَلَتْ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ بِشِرْكٍ أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ:**﴿**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾"[1]، فمن آمن بالله وحده، ولم يشرك معه غيره هو الآمن يوم القيامة، المهتدي في الدنيا والآخرة، ومن أشرك به فالخوف لازمه، وبهذا قامت الحجة على قوم إبراهيم عليه السلام وكل هذا بفضل من الله سبحانه على ما وهبه لإبراهيم عليه السلام من قوة وبيان الحجة[2].

لقد أثبتت الآيات في عرض الحوار مسألة الخوف من الله، وكيف وجه إبراهيم عليه السلام قومه إلى الخوف من الله لا من الآلهة التي هي من خلق الله ولا تملك لنفسها شيئا، ولقد قرر لهم بالحجة والبرهان بطلان عبادتهم للآلهة.

وإبراهيم عليه السلام كأي شخص من البشر، يمتلكه الخوف الفطري، وقد ظهر ذلك عند مجيء الملائكة ضيوفاً عنده فأطعمهم، فلم يطعموا من طعامه، فظهرت علامات الخوف عليه، وقد ذكر الله ذلك في كتابه فقال واصفاً حاله عليه السلام:﴿ **فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**﴾ (الذاريات: 28) ومن المؤكد أن هذا لا يطعن في نبوته عليه السلام، وإنّما في ذلك إثبات لبشريته عليه السلام والتي هي من صفات الرسل عليهم السلام.

ولا ننسى أنه عليه السلام مع عبادته لله سبحانه واستسلامه له في كل ما أمره الله به، إلا أنه كان يخاف من المولى سبحانه، فكان عليه السلام كثير التأوه كما أخبر الله عنه فقال: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ (التوبة: 114)، وفي معاني التأوه الخوف من الله ولا شك أن الخوف من الله عبادة [3].

إن إبراهيم عليه السلام كان من الأنبياء الذين اصطفاهم الله لعظيم العبادات التي قام بها، ولأنه عليه السلام كان كثير الخوف من الله سبحانه، فدل قومه إلى عبادتهم لله سبحانه ووجههم

([1]) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله:" واتخذ الله إبراهيم خليلا"، رقم الحديث: (3360) ص: 642.

([2]) انظر: تفسير الطبري، 255/5، وتفسير ابن كثير، 176/3-177، وتفسير القرطبي، 32/7-33، وقصص الأنبياء، الشعراوي، ص: 498-500.

([3]) انظر: فتح القدير، 468/2.

إليه وخوفهم به، إذ كيف سيلاقوه يوم القيامة وما أشركوا به، وماذا عسى أن يكون لهم في ذلـــك الموقف، فإبراهيم عليه السلام كان رحيماً رقيق القلب بهم على خلاف ما كانوا هم عليه معه.

المطلب السابع

الولاء والبراء

الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله، ولقد غفل عن هذه العقيدة كثير من المسلمين، وهي الموالاة في الله والمعاداة فيه، وقد أخبرنا الله من نوالي فقال: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (المائدة:55) وأخبر أن المؤمنين هم أولياء لمن هو مثلهم من المؤمنين فقال جل شأنه: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة:71).

أولاً: الولاء لغة: القرب، والمولى اسم يقع على الرب، والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر، والجار وابن العم، والحليف، وهذه المعاني قائمة على النصرة والمحبة[1].

ثانياً: الولاء اصطلاحاً: حُبُّ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعِه المسلمين، ونصْرةُ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين[2].

ثالثا: البراء لغةً: من بَرِئ بمعنى: تَنَزَّهَ وتباعَدَ من الشيء، ومنه البرء، وهو السلامة من السقم، ومعنى آخر: الخَلْق، ومنه البارئ[3].

رابعاً: البراء اصطلاحاً: هو بغض من خالف الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين، من الكافرين والمشركين والمنافقين وأهل البدع[4].

وبهذا فإنه يجب على كل مسلم موحد أن يحقق هذا الركن من الدين، فيوالي الله سبحانه والأنبياء والمؤمنين، ويعادي كل عدو لله ورسوله وللمؤمنين، بغض النظر عن المصالح الخاصة، قال ابن تيمية:" على المؤمن أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه- وإن ظلمه- .... وليعلم أن المؤمن: تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك"[5].

---

(1) انظر: لسان العرب، 15/401_402.

(2) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد الهراس، خرج أحاديثه: علي السقاف، ص: 274، دار الهجرة، الرياض، ط3، 1415هـ/1995م.

(3) انظر: معجم مقاييس اللغة، 1/236.

(4) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، محمد القحطاني، ص: 136، دار طيبة، الرياض، ط11، 1423هـ.

(5) مجموعة الفتاوى، 28/208-209.

خامساً: إبراهيم عليه السلام والولاء والبراء.

لقد ضرب إبراهيم عليه السلام أروع الأمثلة في تحقيق عقيدة الولاء والبراء ولقد جعله الله لنا قدوة وأسوة حسنة في ولائه لله ودينه والمؤمنين، وفي براءته لأعداء الله ومنهم أبوه، الذي دعاه فلم يستجب لدعوته، فما كان منه إلا أن هجره، وقد ذكر الله قوله في براءته من أبيه فقال:﴿ **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً* وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً* فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً**﴾ (مريم: 47-49) لقد دعا أباه بالحسنى، فلم يكن ثمة تجاوب وقبول بهذه الدعوة، فكان الاعتزال أولى لأهل الباطل، ومن ثم كان إكرام الله لإبراهيم عليه السلام أن وهبه من الصالحين في ذريته.

ومما هو جدير بالذكر أنه لم يكن تبرؤه فقط من أبيه، بل إنه أقام الحجة على قومه في بطلان عبادتهم للأصنام، ولكنهم أبوا النصح وآثروا تقليد الآباء، فما كان منه عليه السلام إلا أن تبرأ من الأصنام التي عبدوها قائلاً لهم:﴿ **قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الشعراء: 75-77)[1].

ولا ننسى أن الله أمرنا أن نعلن البراءة من الكفار كما أعلنها إبراهيم عليه السلام، وكان لنا بذلك قدوة في القول فقال جل وعلا: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ (الممتحنة:4) وهنا تظهر عقيدة الولاء والبراء التي تحدث بها أجل العلماء، وهي أنه لا تصح موالاة إلا بمعاداة، كما في لفظ لا إله إلا الله، فنفي الألوهية عن غير الله وإثباتها لله، وهذا عين الولاء والبراء، قال ابن القيم:" لا تصح الموالاة إلا بالمعاداة، كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين، أن قال لقومه: ﴿ **قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الشعراء: 75_77) فلم تصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة، فإنه لا ولاء إلا لله، ولا ولاء إلا بالبراء من كل معبود سواه، قال تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ (الزخرف:26-28) أي جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه، كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء بعضهم عن بعض، وهي كلمة لا إله إلا الله، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة"[2]، وفي هذا بيان أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تقتدي بخليل الرحمن عليه السلام، في فعله هو والذين معه لما

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 35/6، والولاء والبراء في الإسلام، محمد القحطاني، ص: 145-147.

(2) الجواب الكافي ص: 197.

تبرؤوا من الكفار، وتركوا ولايتهم، إلا في استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه، فلا قـدوة للأمـة في هذا الأمر؛ لأنه كان على موعدة وعدها إياه، فلما ظهر له عليه السلام أنه عـدو لله، أعلـن براءته منه[1].

وأخبر الله عن قول إبراهيم والذين معه، لما فارقوا قومهم وأعلنوا البراءة منهم، أخبـر أنهم لجأوا إلى الله وتضرعوا إليه قائلين: ﴿ **رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (الممتحنـة:4-5) ومعناه أي يـا رب توكلنا عليك في أمورنا كلها، فأنت الذي إليك المعاد في الدنيا والآخرة، وطلبوا مـن الله أن لا يعذبهم لا بأيديهم- الكفار- فيفتنوهم عن دينهم ولا بعذاب من عنده سبحانه، وفي الختام طلبوا المغفرة منه سبحانه، فهو عزيز لا يظلم من التجأ به، وحكيم في أقواله وأفعاله[2].

ومما يؤكد هذه العقيدة أن الله أمر هذه الأمة بالاقتداء بملة إبراهيم عليه السلام في ذلـك وغيره فقال: ﴿**قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (آل عمـران:95) وقال أيضاً: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّـةَ إِبْـرَاهِيمَ حَنِيفـاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾ (النساء:125) وكان وحياً من الله لنبيه صلى الله عليه وسـلم أن يتبـع ملة إبراهيم عليه السلام فقال جل وعلا: ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَـانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (النحل:123).

وجعل المؤمنين إلى يوم الدين هم أولى الناس بالاعتزاز بركب خليل الرحمن فقال جـل شأنه: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران:68) وفي هذا إثبات الولاء لله تبارك وتعالى ولعباده المؤمنين.

---

(1) انظر: تفسير الطبري، 178/11.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، 56/8_57.

المطلب الثامن

نواقض توحيد الألوهية

إن من أعظم ما أمر الله به؛ توحيده وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وكان من أكبر ما يؤخذ على العبد من الجرم، اتخاذ شريك مع الله عز وجل في العبادة، ولهذا كان الشرك من أعظم الذنوب التي لا يغفرها الله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ (النساء: 48) لقد أتت الكتب والرسالات السماوية؛ لتبطل الشرك بكل أنواعه، وتبين أن سبب حبوط العمل هو الشرك بالله.

أولاً: تعريف الشرك في الألوهية

الشرك في الألوهية: هو صرف العبد شيئاً من أفعاله التعبدية لغير الله، ومن أنواعه : الشرك في الدعاء والمحبة والطاعة والنية والقصد والخوف والرجاء والتوكل[1].

ثانياً: شرك الألوهية عند قوم إبراهيم.

إن قوم إبراهيم عليه السلام قد أشركوا مع الله في العبادة، فهم وإن كانوا مقرين بوجود الخالق في أنفسهم، إلا أنهم لم يوحدوه في العبادة؛ ولهذا أتت دعوة إبراهيم عليه السلام لهم بتوحيد الله في العبادة، ونبذ ما هم عليه من عبادة الأصنام، كونها لا تنفع ولا تضر من دون الله، فأمرهم قائلاً لهم: ﴿**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (العنكبوت:17) وفي هذه الآية بيان للحالة التي كان عليها قوم إبراهيم عليه السلام، من عبادة الأصنام واعتقادهم أنها أحق بالعبادة وهذا من الشرك في الألوهية[2].

ومن الجدير بالذكر بيان ما كان عليه عباد الكواكب من قومه من شرك في عبادتهم للكواكب من دون الله، ودعوة إبراهيم عليه السلام لهم، وهم الذين اتخذوا من الأصنام صوراً للكواكب، بل وكانوا يتخذون لها هياكل، لكل كوكب هيكل فيه صنم يناسبه، فكان تعظيمهم للأصنام من تعظيمهم للكواكب، وقد وقعوا في الشرك الذي فيه تعظيم للنجوم، والاعتقاد بأنها تنطق ولها روح، تتكلم مع من يعبدها؛ فلذا صوروا لها الصور الأرضية وعظموا الأصنام تبعاً لها، ولا شك أن ذلك من تعظيم غير الله سبحانه إن كان بنية العبادة، وهم كانوا كذلك، فدلّ هذا على وقوعهم في شرك توحيد الألوهية، في عبادتهم للكواكب[3].

---

(1) انظر: يشركون وهم لا يعلمون، صالح الصياح، ص: 2، كلية الملك عبد العزيز الحربية.

(2) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، ص: 111.

(3) انظر مفتاح دار السعادة، ص: 548.

ولم يقف الأمر عند عبدة الكواكب من قوم إبراهيم عليه السلام من عبادة الكواكب والأصنام التابعة لها، بل إنهم وقعوا في ناقض آخر له علاقة بتوحيد الألوهية، وهو الشرك في عمود من أعمدة العبادة، ألا وهو الخوف من الله، فهم حاوروا إبراهيم عليه السلام بأن يبتعد عن إيذائه للآلهة كي لا تصيبه بما يضره عليه السلام، زاعمين أنهم يخافون عليه سوء فعل الآلهة به، ولكنه عليه السلام يستغرب عليهم خوفهم عليه، وعدم خوفهم من الجبار في شركهم، فقال لهم: ﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأنعام: 81) فهو عليه السلام يبين من أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟ من أشرك معه أم من أخلص له في العبادة ومنها الخوف منه جل وعلا؟![1]، ولا شك أن الخوف عبادة قلبية لله تعالى، والخوف من الله واجب في حق المؤمنين، والخوف من غيره فيه عبادة لغير الله، وهو من الشرك بالله، إلا أن يكون فطرياً فلا يوقع صاحبه في الشرك، ولا حساب عليه.

وكان إبراهيم عليه السلام حريصاً على بنيه من عبادة الأصنام فدعا ربه أن يجنبه وبنيه من الوقوع في شرك العبادة، ألا وهو عبادة الأصنام، فقال عنه رب العزة: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ** ﴾ (إبراهيم:35) فمعنى اجنبني أي اجعلني في جانب والأصنام في الجانب الآخر، فهو عليه السلام يخاف على نفسه من الشرك، رغم أنه إمام الحنفاء وأبو الأنبياء، ولكن ما فعله عليه السلام هو سؤاله لربه الثبات على التوحيد، فإذا ما ابتعد عن عبادة الأصنام فهذا يعني البقاء على التوحيد[2].

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 176/3.

(2) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن عثيمين، ص: 71_ 72، دار الفجر، القاهرة، ط1، 1424هـ/2003.

المبحث الثالث

دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على توحيد الأسماء والصفات

المطلب الأول: تقرير توحيد الأسماء في قصة إبراهيم عليه السلام

المطلب الثاني: تقرير توحيد الصفات في قصة إبراهيم عليه السلام

المطلب الأول

تقرير توحيد الأسماء في قصة إبراهيم عليه السلام

إن باب توحيد الأسماء والصفات من أعظم وأجل وأرفع أبواب التوحيد، ويعد هذا الباب جزء من الإيمان، بل هو من أعظم أركان الإيمان، وعظم هذا الباب إنما أتى لتعلقه بذات الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته، ومعلوم أن شرف العلم بشرف المعلوم، وعلم توحيد الأسماء والصفات من أشرف العلوم، يقول ابن القيم:" إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره، فهو الله لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله"[1].

وهذا التوحيد سبب لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، فمن حققه سعد، ومن ضيعه شقي؛ لأن الإيمان بالله أساس كل خير ومصدر كل هداية لا يستغني عنه العبد، بل به يعتز ويتشرف.

تعددت في قصة إبراهيم عليه السلام أسماء لله سبحانه وتعالى وصفات له، وفي هذا المبحث سترد آيات وأحاديث تناولت أسماء الله وصفاته، يتم إفراد أسماء الله في مطلب وصفاته في مطلب آخر، وهي مرتبة على الهجائي، مبيَّنَة معانيها ومدى ارتباطها مع إبراهيم عليه السلام وفق الاستطاعة.

أولاً: الله جل جلاله.

وردت لفظة الجلالة في الآيات التي تورد قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن مرات عدة تصل إلى أكثر من ثلاثين مرة[2]، وفي السنة أكثر من عشر مرات، فمن الآيات قول الله جل وعلا:﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾(البقرة:126)﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(العنكبوت:16) ومن السنة: **عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:" حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا:﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾**"[3].

---

(1) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ص: 112.

(2) انظر: المعجم المفهرس، ص:49.

(3) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، رقم الحديث: (4563) ص: 865.

إن معنى لفظ الجلالة(الله):" ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين"[1]،" والله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الألوهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه"[2]، واسم الله جل جلاله من أخص الأسماء التي تسمى الله بها، وهو خاص بذاته تعالى، لا يتسمى به أحد من خلقه، أو يزعم أحد أن هناك إله بنفس هذا الاسم، جعله الله أول الإيمان وكلمة الحق والإخلاص، وبه تفتح الفرائض، وتنعقد الأيمان، ويستعاذ به من الشيطان، وباسمه تفتح الأشياء وتختم[3].

وهذا الاسم فيه إثبات لأعظم أوصاف الله تعالى ألا وهي صفة الألوهية، يقول ابن القيم:" "فاسم الله" دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث[4]، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه، وصفات الإلهية هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص. ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى:(**ولله الأسماء الحسنى**)(الأعراف: 180) ويقال" الرحمن الرحيم، والقدوس والسلام، والعزيز، والحكيم" من أسماء الله، ولا يقال: "الله" من أسماء "الرحمن" ولا من أسماء "العزيز" ونحو ذلك. فعلم أن اسمه " الله" مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية، التي اشتق منها اسم "الله"، واسم" الله" دال على كونه مألوهاً معبوداً، تألّهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد..." [5]

إن إبراهيم عليه السلام من أكثر الناس معرفة بالله في زمانه، ولم يكن على وجه الأرض مؤمن إلا هو وزوجه ولوط، فهاهو يدعو قومه إلى اتخاذ الله معبوداً، وها هو يحتسب من الله أن ينجيه من النار، وهذا كله من عظيم معرفته بالله سبحانه وتعالى.

([1]) تفسير الطبري، 82/1

([2]) تفسير القرطبي، 102/1.

([3]) انظر: التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، محمد بن منده، تحقيق: محمد إسماعيل، ص: 83_84، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م.

([4]) يقصد بالدلالات دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ، "فدلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على جميع المعنى الذي عناه المتكلم، ودلالة التضمن دلالة اللفظ على ما هو داخل في ذلك المعنى، ودلالة الالتزام دلالة اللفظ على ما هو لازم لذلك المعنى خارج عن مفهوم اللفظ" درء تعارض العقل مع النقل، 12/10.

([5]) مدارج السالكين، 1/ 41-42.

ثانياً: التوّاب

من أسماء الله الحسنى التي يعرف العباد بها ربهم التواب، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً[1]، ومع إبراهيم عليه السلام في موضع واحد وذلك عند دعائه لذريته فقال:﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾(البقرة128).

أصل التواب فعّال، والتوبة كلمة واحدة تدل على الرجوع، من تاب يتوب، وتاب عن ذنبه، أي رجع عنه، والله هو الذي يقبل توبة عباده، والتواب كثير قبول التوبة، عظيم المغفرة، واسع الرحمة، كلما تكررت التوبة تكرر القبول[2].

يتبين من الآية السابقة أن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، كانا أثناء بناء البيت يدعوان الله سبحانه أن يتوب عليهما وهذا لا يعني أنهما يقعان في الذنوب، كما هو معلوم أن الأنبياء معصومون، وفي هذا بيان لعصمتهم؛ لأن العبد وإن اجتهد في الطاعة فهو لا محالة مقصر في حق الله سبحانه، وعلى الرغم من ذلك فإن الله جل جلاله كثير قبول التوبة وهو العفو عن عباده لا سيما إن كانوا أنبياءه[3].

ثالثاً: الحكيم.

اسم الله الحكيم من الأسماء التي سمى الله بها نفسه في كتابه، وكثرت لفظة الحكيم في القرآن الكريم في أكثر من تسعين موضعا[4]، لكنها في الآيات المتعلقة بقصة إبراهيم عليه السلام وردت خمس مرات، فمن ذلك قول الله عز وجل:﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ (البقرة:129)﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنعام:83)﴿ **قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**﴾(الذاريات:30) ومن السنة: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**[5] **ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾(الأنبياء:104) **وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا**

---

(1) انظر: المعجم المفهرس، ص: 193

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة، 184/1، والأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد الكوثري، ص: 78، المركز الإسلامي للكتاب، ولطائف التعبير القرآني، ص: 224.

(3) انظر: من لطائف التعبير القرآني، ص: 223-224.

(4) انظر: المعجم المفهرس، ص: 262.

(5) غُرْلاً: أي بهما، أو قلفاً، أي غير مختونين، لسان العرب: 58/10.

مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إِلَى قَوْلِهِ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: 117)"[1].

إن اسم الحكيم يتضمن إثبات صفة الحكمة لله وأنه سبحانه وتعالى له حكماً، وهو يتصف بالحكمة الكاملة والحكم الكامل، فقال الطبري:" الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل"[2] وهذا من تمام الحكمة، والله جل جلاله علمه وسع كل شيء، وعالم بمبادئ الأمور وعواقبها، وهو الذي يضع كل شيء فيما يناسبه، وينزل كل أمر بما يليقه، وحكمته تقتضي وضع الأشياء في أماكنها اللائقة بها، فله تمام الحكمة في خلقه وأمره، يقول ابن كثير في معنى الحكيم:" الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها، لعلمه وحكمته وعدله"[3].

وحكمته نوعان: حكمة في خلقه، وحكمة في شرعه وأمره، فحكمته في خلقه –وهو ما يسمى الحكم الكوني-: أنه خلق الخلق بالحق، وغايته فيهم الحق، خلق المخلوقات بأحسن نظام، ورتبها بأكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق ما يليق به فلا يرى في خلقه خللاً ولا نقصاً.

وأما حكمته في شرعه وأمره فهو عز وجل شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل، ليعرفه العباد فيأتمرون بأوامره وينتهوا بنواهيه؛ فيعبدونه، ولا حكمة أعظم من هذه.

يقول ابن القيم:

وهو الحكيم وذاك من أوصافه	نوعان ما هما عدمان
حكم وأحكام فكل منهما	نوعان أيضا هما ثابتا البرهان
والحكم شرعي وكوني ولا	يتلازمان وما هما سيّان[4]

وخلاصة القول: أن حكمة الله متصلة بالمخلوقات والشرائع، فالله جل جلاله حكيم في أحكامه القدرية والشرعية، وكلها في أكمل وأتم الإحكام[5].

لقد طلب إبراهيم عليه السلام من ربه أثناء بنائه البيت الحرام، أن يخلف في ذريته من يعلمهم دين الله، ويطهر قلوبهم، موقناً عليه السلام أن الله حكيم في أقواله وأفعاله، وفي حواره

([1]) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: واتخذ الله إبراهيم خليلا، رقم الحديث: (3349) ص: 640.

([2]) تفسير الطبري: 608/1.

([3]) تفسير ابن كثير، 220/1.

([4]) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد عيسى، 218/2، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1394هـ، وانظر تقسيم ابن القيم لهذا في شفاء العليل، ص:561.

([5]) انظر، أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان، عبد العزيز المبدل، 862/3، رسالة دكتوراة، دار التوحيد، الرياض، ط1، 1424هـ/ 2003م.

عليه السلام مع عبدة الكواكب، يبين الله أن من فضله على خليله أن آتاه بيان الحجة على قومه، فالله بحكمته يرفع من يشاء، وأما بشارته عليه السلام بإسحاق بعد عمر طويل وزوجـه العقـيم، فكل ما حصل إنما هو من حكمته جل وعلا فهو حكيم فيما يفعله عليم بما يصلح عباده.

رابعاً: الحميد.

إن اسم الحميد من أسماء الله التي ورد ذكرها في القرآن في سبعة عشر موطنا[1]، ومع إبراهيم عليه السلام وردت مرتين، كما في قوله تعالى:﴿ **قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾(هود:73) وفي قوله جل وعلا:﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾(الممتحنة:6)

المراد بمعنى اسم حميد في حق الله، المحمود الذي استحق أن يحمد لما أنعم بـه علـى خلقه، وتفضل عليهم من فضائل عظيمة، وهي فعيل بمعنى مفعول أي بمعنى محمود، بل وأبلـغ من المحمود، فإنه محمود بحمده لنفسه، وحمد الخلائق له، وأكثر الأسماء في شأنه تعالى تكـون على وزن فعيل التي هي بمعنى فاعل، كسميع وبصير وقدير وحكيم، وهي هنا بمعنـى حامـد لنفسه، فهو من حمد نفسه على ربوبيته الشاملة بقوله:﴿**الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِيْنَ**﴾(الفاتحة:2)، وحامد لعباده المؤمنين. "فالحميد الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محموداً، وإن لم يحمده غيره فهو حميد في نفسه، والمحمود: من تعلق به حمد الحامدين"[2]، والحمد أعم مـن الشكر، " فهو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله... وهو الذي يُحمد فـي الـضراء والـسراء، والشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط ولا يعتريه الخطأ فهو محمود علـى كـل حال"[3]، لذا على كل عاقل ومكلف، أن يؤمن بأن الحمد كله لله على الإطلاق، لا يـشركه فيـه غيره، فهو المستحق لجميع المحامد، فيحمد جل وعلا على كل نعمة وعلى كل حال، بمحامده ما علم منها الإنسان وما لم يعلم[4].

لقد حمد إبراهيم عليه السلام ربه في ما أسبغ عليه من نعمه، وخـصوصاً الولـد فقـال تعالى مبيناً حمد إبراهيم عليه السلام لله جل جلاله:﴿**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء**﴾(إبراهيم:39).

([1]) انظر، المعجم المفهرس، ص: 267.

([2]) جلاء الأفهام، ابن القيم، ص:447-448.

([3]) الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، القرطبي، تحقيق: محمد جبل وطـارق محمـد، 187/1-188، دار الصحابة، طنطا، ط1، 1416هـ/1995م.

([4]) انظر: تفسير الطبري، 75/7، وتفسير ابن كثير374/1، والأسنى، القرطبـي، 189/1، ولـسان العـرب، 314/3، وشفاء العليل، ص:483.

وقد أتت لفظة الحميد مع رحمت الله لإبراهيم عليه السلام ولأهله، وذلك بعد الحوار الذي دار بينه وبين ملائكة الرحمن، وكان من زوجه أن عجبت من هذه البشارة، فكان رد الملائكة، أن رحمة الله لأهل البيت، وذلك بفضل منه فهو الحميد في جميع أفعاله وأقواله محمود في صفاته وذاته جل وعلا، وهذه الرحمة لأهل بيت إبراهيم عليه السلام، وقد كان لنبينا صلى الله عليه وسلم ولأهل بيته مثلها، كما ورد في الحديث: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ قَالَ:" **قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**"[1] وفي هذا الحديث بيان لما اقترن بين النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم عليه السلام من تشابه في الصلاة عليه وآله، فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما هو من ذرية إبراهيم عليه السلام، فكأن المقصد أنه كما أجبت يا رب دعاء الملائكة في إبراهيم عليه السلام فأجبها في النبي صلى الله عليه وسلم فإنه من ذريته؛ ولذا ختم الحديث بنفس ما ختمت به الآية(إنك حميد مجيد)[2].

خامساً: الرب

من أسماء الله الحسنى التي يدعى بها، ويعظم اسم" الرب" وكثيرا ما جاء هذا الاسم في القرآن مضافاً كرب العالمين، ورب السماوات، ورب العرش، وإذا عُرّف الاسم أو أطلق فلا يكون إلا على الله تعالى، وقد ورد في القرآن في أكثر من تسعمائة موضع[3]، ومع إبراهيم عليه السلام في أكثر من أربعين موضعاً، ومنها قوله جل وعلا:﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(البقرة:127) وقوله تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾(إبراهيم:35) وقوله: ﴿**قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ**﴾(الشعراء:24) وقوله:﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ* رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(الصافات:99-100).

والرب معناه: المالك والخالق والصاحب والمصلح والمدبر والقائم، " والرب هو الله عز وجل، وهو رب كل شيء ومالكه، وله الربوبية في جميع الخلق، لا شريك له وهو رب الأرباب

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب، إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، حديث: (4797) ص: 937، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد، حديث:(406) ص: 207.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، 196/4، وفتح الباري، 189/11، شرح حديث رقم: (6357).

(3) انظر: أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به، عمر الأشقر، ص: 41، دار النفائس، الأردن، ط1، 1423هـ/2004م، والمفردات، ص: 184.

ومالك الملوك والأملاك"[1] فمعنى الرب في اللغة تأتي على معـــانٍ وهـــي: المـــصلح للـــشيء، والمالك للشيء، والسيد المطاع، فالله جل وعلا، هو السيد الذي لا سميّ له، ولا مثيل لـــه فـــي سؤدده، والمصلح أمر خلقه والمالك الذي بيده الخلق والأمر[2].

واسم الرب فيه إثبات لكمال الربوبية لله جل وعلا على جميع خلقه، فهو ســـبحانه" رب كل شيء وخالقه، والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته وكل من فـــي الـــسماوات والأرض عبداً له في قبضته وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية وافترقوا بصفة الإلهية، فألهـــه وحـــده السعداء، وأقروا له طوعاً بأنه الله الذي لا إله إلا هو..."[3]، وإنما الواجب على المكلـــف بعـــد معرفة هذا الاسم، أن يعلم أنه لا رب له على الحقيقة سواه، وأن يحسن تربية من جعلت تربيتـــه إليه، كما أحسن الله إليه فقام بمصالحه وأمره، والرباني هو الذي يحقق علـــم الربوبيـــة ويربـــي الناس على ذلك[4].

والرب من أعظم ما مدح الله به نفسه، كما امتدح نفسه بأنه (رب العالمين)، فـــالله رب العوالم كلها مجتمعة، وذكر الله مقالة عن إبراهيم عليه السلام حينما قال: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(البقرة:131) بل إن الدعاء يكون بهذا الاسم غالباً، فقد دعـــا إبـــراهيم عليه السلام به كما في قوله تعالى:﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾(البقرة:127) وقولـــه جل وعلا: ﴿**وَإِذْ قَـــالَ إِبْـــرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَـــلْ هَـــذَا الْبَلَـــدَ آمِنـــاً وَاجْنُبْنِـــي وَبَنِـــيَّ أَن نَّعْبُـــدَ الأَصْنَامَ**﴾(إبراهيم:35)[5].

سادساً: الرحمن الرحيم

الرحمن الرحيم من أسماء الله الحسنى التي ورد ذكرها في القـــرآن الكـــريم لا ســـيما مقترنين، كما في قوله تعالى:﴿ **وَإِلَـــهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الـــرَّحِيمُ**﴾ (البقـــرة:163) ﴿**تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾(فصلت:2)﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُـــوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾(الحشر:22) ووردت مع إبراهيم عليه السلام مفترقة في مواضع خمـــسة، ففـــي الرحمن، أثناء دعوته عليه السلام لأبيه كما في قول الله جل وعلا: ﴿ **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الـــشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَـــذَابٌ مِّـــنَ الـــرَّحْمَن فَتَكُـــونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً**﴾(مريم: 44- 45) وفي الرحيم دعاؤه عليه السلام عند بناء البيت الحـــرام، وطلـــب القبول والعفو منه والرحمة كما في قوله تعالى:﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَـــا أُمَّـــةً**

---

[1] لسان العرب، 94/5. مادة رب.

[2] انظر: معجم مقاييس اللغة، 381/2-382.

[3] مدارج السالكين، 43/1-44.

[4] انظر: الأسنى، 395/1.

[5] انظر: أسماء الله الحسنى، عمر الأشقر، 42-44.

مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(البقرة:128) وفي دعائه للبلد الحرام وذريته، كما في قوله تعالى:﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(إبراهيم:36).

الرحمن والرحيم اسمان من أسماء الله الحسنى وهي مشتقة من الرحمة، أحدهما أرق من الآخر، وأن تكرارهما بسبب أن لكل واحد منهما معنى لا يؤديه الآخر منهما عنه، ففي الرحمن زيادة معنى عن الرحيم،" فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم، وأسباب معايشهم ومصالحهم، وعمت الجميع المؤمن والكافر، وأما الرحيم فخاص بالمؤمنين، كما قال تعالى:﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾(الأحزاب:43)"[1]، والرحمة الحقيقية هي ما تقتضي جلب المنافع والمصالح إلى العباد وإن كرهتها نفوسهم، ومن رحمة الله بعباده أن يبتليهم بالأوامر والنواهي، رحمة منه لهم لا حاجة منه إليهم، فهو الغني الحميد، فمن رحمته أن كدر الدنيا عليهم حتى لا يركنوا إليها، ويرغبوا بما عند الله فهو خير وأبقى[2].

والجمع بين الرحمن والرحيم بيان أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فالرحمن تدل على صفة ذاتية له عز وجل، والرحيم تدل على صفة فعلية، أي يرحم خلقه برحمته[3].

خاطب إبراهيم عليه السلام أباه بنداء يا أبت، وهذه من رحمة إبراهيم عليه السلام بأبيه، وفي طي خطابه له، كان وصفه لله عز وجل بأن ذكر أنه الرحمن، ولم يقل له إني أخاف أن يمسك عذاب من الجبار المنتقم وهذه من رحمته عليه السلام بأبيه أيضاً[4].

إن الآيات في سورة مريم التي يعرض فيها إبراهيم عليه السلام دعوته على أبيه، يلاحظ أنه عليه السلام كان يعرض من صفات الله الإيجابية كالرحمة في حواره مع أبيه، وهذا إنما من باب بيان عظيم صفات الله سبحانه، وما يحمله عليه السلام من عمق معرفة بالله عز وجل، وبيان ضآلة الآلهة مع الله، فكل صفة حسنة ينسبها إبراهيم عليه السلام لربه، هي رد بصورة غير مباشرة على الآلهة لإظهار عجزها[5].

وعند بنائه البيت ودعائه أن يجعله وابنه مستسلمين لله رب العالمين، وطلب التوبة والرحمة كما سبق في قوله تعالى:﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا**

([1]) الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، 1/ 73.

([2]) انظر: فتح الباري، 439/13.

([3]) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم، ترتيب أحمد عبد السلام، 1/ 20، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ/ 1994م.

([4]) انظر: من لطائف التعبير القرآني، ص: 123.

([5]) انظر: الشخصيات القرآنية، نزيه اعلاوي، ص: 43، دار صفاء، الأردن، ط1، 1426هـ/ 2006م.

مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(البقرة:128) ففي الآية قدمت التوبة على الرحمة لأن آخر طلب قبل الفاصلة القرآنية، وتب علينا فناسب التواب ثم تأخرت الرحمة؛ لمناسبة عمومها، فالتوبة من الرحمة والرحمة أعم منها[1].

وأما في ذكره عليه السلام الأصنام وضررها على الناس، كما في قول الله جل وعلا:﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (إبراهيم:36) فإنه يرجئ عاقبة عبدة الأصنام لله، مع أنه عليه السلام كان في قمة العداء مع الأصنام وعبدتها، تظهر صورة العفو والتسامح منه عليه السلام مع أولئك، فهو عليه السلام لا يدعو عليهم بالهلاك إنما يكل أمرهم إلى مغفرة الله ورحمته، وهذا يبين الرحمة التي ملأت قلب إبراهيم عليه السلام، ويقينه عليه السلام برحمة الله الواسعة[2].

سابعاً: السميع

من أسماء الله سبحانه السميع والتي تدل على صفة عظيمة وهي السمع، وقد ورد هذا الاسم في القرآن في أكثر من أربعين موضعاً[3]، ومع إبراهيم عليه السلام أربعة مواضع، كما قال تعالى:﴿ **إنه هو السميع العليم**﴾(الشعراء: 219) ومع إبراهيم عليه السلام منها كما في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(البقرة:127).

إن اسم السميع له معنى وهو أن الله يسمع كل ما يقوله البشر ولا يخفى عليه منهم شيء فيما ينطقون به[4] قال ابن تيمية في صفة السمع" الرب سبحانه لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل... والله سبحانه في الدنيا يسمع دعاء الداعين، ويجيب السائلين مع اختلاف اللغات وفنون الحاجات"[5].

وقد ورد اسم السميع مع إبراهيم عليه السلام كما سبق، في دعائه عند بناء البيت، فكأنه عليه السلام يعترف لله عز وجل، بأن يا ربنا لا يخفى عليك عجزنا، فتقبل منا رغم التقصير منا، واسمع منا دعاءنا، وفي هذا بيان لإخلاص خليل الرحمن عليه السلام[6].

---

(1) انظر: من لطائف التعبير القرآني، ص: 224.

(2) انظر: الشخصيات القرآنية، ص: 53-54.

(3) انظر: المعجم المفهرس، ص: 442.

(4) انظر: تفسير الطبري، 3 /417.

(5) مجموعة الفتاوى، 246/5

(6) انظر: تفسير ابن كثير، 175/1.

ثامناً: العزيز

أخبرنا الله في كتابه عن اسم من أسمائه ألا وهو العزيز، وقد ورد في القرآن في أكثر من ثمانين مرة، كما في قوله جل وعلا:﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾(الشعراء:9)، وقد ورد اسم العزيز مع قصة إبراهيم عليه السلام في خمسة مواطن، منها قوله تعالى:﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾(البقرة:129) وقوله تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(البقرة:260) وقوله جل وعلا:﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾(العنكبوت:26).

وأصل العزيز من العز، وهو في اللغة بمعان هي: القوة، والشدة والغلبة، والعز خلاف الذل، وعليه يكون بمعنى الرفعة والامتناع، والعزيز الشريف، وكل معاني العزة ثابتة لله سبحانه، فهو الذي له الغلبة والقوة والامتناع والقهر لجميع المخلوقات، فلا يمنعه أحد ولا يتصرف أحد بدون إرادته[1]، قال ابن القيم:

وهو العزيز فلن يرام جنابه	أنى يرام جناب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم	يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه	فالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه	من كل وجه عادم النقصان[2]

وهو سبحانه العزيز يقضي ما يشاء بما شاء، ومن كمال عزته، حكم على العبد وقضى عليه، وقلب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء، وحال بين المرء وقلبه، وجعله مريداً لما شاء منه العزيز الحكيم، وهذا كمال العزة، فلا يقدر على ذلك سوى الله، وقد دعا الله كل من يريد العزة أن يطلبها منه سبحانه، وذلك واضحٌ في قوله تعالى:﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً**﴾(فاطر: 10)، وينال المرء العزة بالخضوع والاستسلام لله جل وعلا، ومن اعتز بغير الله ذَلّ وخُذِل[3].

وقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه بعد بنائه البيت الحرام فقال:﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ** ﴾(البقرة:129)

([1]) انظر: مختار الصحاح، ص: 429-430، المفردات، ص:333.

([2]) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، 218/2.

([3]) انظر: أسماء الله الحسنى، عمر الأشقر، ص: 69-70.

إنه يطلب من الله أن يهب لذريته من أنفسهم رسولاً يتلو عليهم الآيات الدالـــة علـــى وحدانيتـــه سبحانه، ويعلمهم الكتاب والصواب، ويطهرهم من الشرك وسائر المنكرات، فهو العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب، الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة البالغة والمصلحة العامة، فـــالله هـــو العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه[1].

وبعد أن أرى الله إبراهيم عليه السلام كيفية إحياء الموتى، بيّن له أن الله عزيز حكـــيم، أي "عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع من شيء، وما شاء كان بلا ممانع لأنه القاهر لكل شيء"[2].

وأما نيته للهجرة إلى الشام من العراق، فخاطبهم أنه عليه السلام مهاجر إلى الله، فهـــو الملاذ الذي يعتز به أي مسلم، وهو الذي يمنع عباده من أعدائه، حكيم لا يأمر إلا بخير، وهـــو الذي بيده وإليه العزة كلها[3].

تاسعاً: العليم

تعدد اسم العليم في القرآن الكريم، حتى ورد في أكثر من مائة موضع[4]، وفـــي قـــصة إبراهيم عليه السلام ورد في خمسة مواطن، منها قول الله جـــل وعـــلا:﴿ **وَإِذْ يَرْفَـــعُ إِبْـــرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾(البقـرة:127) وكـــذا قولـــه تعالى:﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَـــعُ دَرَجَـــاتٍ مَّـــن نَّـــشَاء إِنَّ رَبَّـــكَ حَكِـــيمٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنعام:83).

وقد أخبر الله عباده عن سعة علمه، وإحاطته بكل شيء، فهـــو المـــدرك لمـــا يدركـــه المخلوقون بعقولهم وحواسهم ومالا يدركونه، فلا يغيب عنه مثقال ذرة في الـــسماوات ولا فـــي الأرض، ولا يعجزه إدراك شيء، فهو العليم بما يصلح خلقه[5].

ويذكر الله دعاء إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام في بناء البيت، وكانا قـــد ختمـــا الدعاء بـــ(**إنك أنت السميع العليم**) وهذا بيان لصفتين عظيمتـــين لله، وناســـب ذكـــر هـــاتين الصفتين العمل الذي فعلاه، فقد صدر منهما بناء البيت، وفيه تضرع لله سبحانه، وطلب القبـــول منه في بناء البيت، ولهذا فهو سميع لتضرعهما ودعائهما، وهو عليم جل جلالـــه بنياتهمـــا فـــي إخلاص العمل لوجهه الكريم[6].

---

(1) انظر: من لطائف التعبير القرآني، ص: 224.

(2) تفسير ابن كثير، 367/1-368.

(3) انظر: تفسير ابن كثير، 111/6، ومن لطائف التعبير القرآني، ص: 157.

(4) انظر: المعجم المفهرس، ص: 585.

(5) انظر: الأسماء والصفات، البيهقي، ص:45.

(6) انظر: البحر المحيط، 559/1.

وقد بيّن إبراهيم عليه السلام بطلان عبادة عبدة الكواكب، وأقام الحجة عليهم، ومن أدلته لهم أن الله أحاط بكل شيء علماً، فلا أحد يستطيع أن يصيب بنفع أو ضر إلا بعلمه جل وعــلا، على العكس من آلهتكم التي لا تفقه شيئاً، فليس بيدها نفع ولا ضر، لفقرها العلم الواسع، فقد قال عليه السلام:(**وسع ربي كل شيء علماً**)، ولذا كانت حجته قوية لأنها كانت من الله الموصــوف بكمال الحكمة وكمال العلم، فالله جل جلاله عليم بمن يصلح لهدايته، ومن لا يصلح وإن قامــت عليه الأدلة والحجج[1].

عاشراً: الغفور

من أسماء الجلال لله اسم الغفور، وتكرر هذا الاسم في القرآن بأكثر من سبعين مرة[2]، وغالبا ما اقترن هذا الاسم بالرحيم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾(يونس: 107).

ووردت لفظة الغفور مع إبراهيم عليه السلام مرتان، كما في قوله جل وعلا:﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(إبراهيم:36) وقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** ﴾(إبراهيم:41).

إن اسم الغفور بمعنى: سعة مغفرة الله فهو الذي يغفر الذنوب ويرحم العباد علــى مــا فيهم، فالله جل جلاله كثير الستر على المذنبين من عباده، فيغفر لهم إذا ما رجعوا منيبين إليه[3].

لقد ترك إبراهيم عليه السلام أمر عباد الأصــنام إلــى الله، بعــد أن رأى اعتراضــهم ومحاربتهم له، تركهم لسعة مغفرة الله عز وجل فقال: ﴿**ومن عصاني فإنك غفور رحيم**﴾ ومــن خالف أمري فلم يقبل مني ما دعوته إليه وأشرك به، فإنك غفور لــذنوب المــذنبين الخطــائين بفضلك رحيم لعبادك تعفو عمن تشاء منهم"[4]، ثم دعا عليه السلام لنفسه ولوالديــه وللمــؤمنين بالمغفرة يوم الحساب فقال: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِــدَيَّ وَلِلْمُــؤْمِنِينَ يَــوْمَ يَقُــومُ الْحِــسَابُ** ﴾ (إبراهيم:41).

الحادي عشر: الغني

اسم من أسماء الله عز وجل التي أمر الله بها عباده أن يعلموها ألا وهو اسم الغني، فقال في كتابه:﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ (البقرة:267) وقد ورد هذا الاسم في أكثر مــن خمــسة عشر موضعاً في القرآن الكريم[5]، ومع إبراهيم عليه السلام، ثلاث مرات منهــا مــا قــال الله

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، 177/3. و من لطائف التعبير القرآني، ص: 171.

([2]) انظر: المعجم المفهرس، ص: 612.

([3]) انظر: الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي، 1/ 164-166.

([4]) تفسير الطبري، 7/ 460-461.

([5]) انظر: المعجم المفهرس، ص: 617.

تعالى: ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾(آل عمران:97)

والله " الغني بذاته عن كل ما سواه، وكل ما سواه فموسوم بسمة الفقر، كما هو موسوم بسمة الخلق والصنع"[1].

إن إبراهيم عليه السلام أعرف الخلق بربه فوجه إليه فقره وحاجته وأثبت عزته بالله سبحانه، والاستغناء عن الناس، واللجوء إليه جل وعلا فقال: ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾ (الشعراء: 78-81)[2].

الثاني عشر: المجيد

من أسماء الله الحسنى المجيد، والمجيد من المجد وهو الكرم والرفعة والشرف، والمجيد الواسع الكرم، فالله هو المجيد الذي لا سمي لمجده، فله كل المجد وكل مجد لغيره فهو منه عطاء وتفضل[3]، قال ابن القيم:

وهو المجيد صفاته أوصاف تعـــ ظيم فشأن الوصف أعظم شان[4]

لقد ورد اسم المجيد في القرآن الكريم مقترناً بالحميد، وذلك في قول الله جل وعلا: ﴿ **قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ** ﴾(هود:73) ومعنى مجيد في الآية، الممجد في ذاته وصفاته، فهو جل وعلا كثير الإحسان والتفضل على عباده بما يعطيهم من الخيرات وهذا واضح من تفضله على خليله بالذرية بعد كبَره عليه السلام[5].

الثالث عشر: النصير

من أسماء الله الحسنى التي وردت في كتابه اسم النصير كما في قوله جل وعلا:﴿ **وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾(الأنفال:40) والنصير بمعنى: "الموثوق بأنه لا يسلم وليه ولا يخذله"[6]، ومن معاني النصير العون والعطاء والمنع[1].

([1]) طريق الهجرتين ودار السعادتين، ابن القيم، ص:33، دار الكتب العلمية، بيروت.

([2]) انظر: أسماء الله الحسنى، الأشقر، ص: 264.

([3]) انظر: تفسير الطبري، 77/12، ولسان العرب، 28/13، وتفسير الرازي، 20/13، وأسماء الله الحسنى للأشقر، ص: 188-189.

([4]) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، 215/2.

([5]) انظر: تفسير ابن كثير، 196/4، و تفسير الشوكاني، 580/2.

([6]) الأسماء والصفات، البيهقي، ص: 70.

لقد ورد اسم النصير مع إبراهيم عليه السلام في موطن واحد وذلك عند دعوته لقومه من عبدة الأصنام، كما ورد في سورة العنكبوت في معرض استدلاله بآيات الله لهم قال تعالى: ﴿**وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ (العنكبوت:22). إن إبراهيم عليه السلام يبين لهم ضعف الآلهة عن نصرتها لهم، والتأكيد أن أي نصرة دون نصرة الله فهي إلى زوال، وأن النصير الحق هو الله جل جلاله.

الرابع عشر: الولي

من الأسماء التي سمى الله بها نفسه في كتابه اسم "الولي" كما قال: ﴿ **وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾(الشورى: 28) والولي هو مالك التدبير، وهو الناصر لعباده المؤمنين[2]، ومن معاني الولي:" الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم يطلق عليه الولي"[3].

وورد اسم الولي مع إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه كما سبق في اسم النصير كما قال تعالى:﴿ **وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ (العنكبوت:22) وكذا في قوله تعالى بسورة آل عمران: ﴿ **والله ولي المؤمنين**﴾ (آل عمران:68) وفي هذا بيان أن الولي الحق للمؤمنين ولأوليائه الصالحين وخصوصاً الأنبياء هو الله جل جلاله، فهو ولي خليله عليه السلام الذي أنقذه من النار فكان جل جلاله هو الولي على الحقيقة، أما الذين تولوا آلهة من دونه يستعينون بها فلا ولاية لهم حقيقة.

([1]) انظر: الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي،316/1.

([2]) انظر: الأسماء والصفات، البيهقي ص: 67، والأسنى شرح أسماء الله الحسنى، 299/1.

([3]) النهاية في غريب الحديث، ص:989.

المطلب الثاني

تقرير توحيد الصفات في قصة إبراهيم عليه السلام

إن صفات الله عز وجل هي صفات كمال قائمة بذاته المقدسة جل وعلا، كالعلم والسمع والبصر، ولقد عاش الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم، يثبتون لله عز وجل صفات الكمال كما أثبتها لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، وعلى ذلك انتقلت جيلاً بعد جيل، منذ عهد الصحابة دون تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل أو تحريف، قال ابن خزيمة[1]:" إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا- يقصد عصره- على سبيل الصفات لله تعالى والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله تعالى به في تنزيله ونبيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف"[2].

ولم يسبق للصحابة ولا التابعين أن قسّموا الصفات كما قسّمها من بعدهم، ولقد قسّمها العلماء إلى عدة تقسيمات، فمنها باعتبار ما ورد في النصوص وتم تقسيمه إلى قسمين وهما:

1) صفات ثبوتية 2) صفات منفية.

والصفات الثبوتية هي: ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات المدح والكمال، مثل: العلم والقدرة والحكمة.

وأما **الصفات المنفية** فهي: كل ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها نقص في حقه تعالى ويجب نفيها عنه سبحانه مثل: الجهل والموت والتعب وغيره.

والصفات الثبوتية قُسِّمت إلى قسمين:

1) **صفات شرعية عقلية**: وهي ما استند في إثباتها على الدليل الشرعي والدليل العقلي، فالشرع دل عليها والعقل يعلم صحتها، ومعظم صفات الله سبحانه يشترك فيها الدليلان النقلي والعقلي. كالعلم والسمع والبصر.
2) **صفات خبرية**: وهي السمعية وهي ما استند في إثباتها على النقل فقط وذلك بالخبر عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مثل الوجه واليد.

---

(1) هو: محمد بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري، ولد: 223هـ، وله من التصانيف، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، توفي: 311هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، 3/265.

(2) ذم التأويل، ابن قدامة، ص: 229. نقلا عن رسالة أقوال التابعين، عبد العزيز المبدل، 3/ 875.

وتنقسم الصفات الخبرية إلى قسمين[1]:

1) **صفات ذاتية**: وهي ما كانت قائمة بذاته سبحانه لا تنفك عنه أبداً، فهو لم يزل ولا يزال متصفاً بها، وهي قديمة قدم الذات مثل الوجه واليد.

2) **صفات فعلية**: وهي" الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته"[2]، ويطلق عليها الصفات الاختيارية؛ لأنها متعلقة بمشيئة الله تعالى، فهو سبحانه يفعلها متى شاء وكيف شاء وتتجدد حسب المشيئة[3].

وفي هذا المطلب سأتبع تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية، مستندة إلى منهج أهل السنة والجماعة في شرحها مع ذكر الآيات المناسبة لها من قصة إبراهيم عليه السلام.

أولاً: الصفات الذاتية

1) **صفة الألوهية**:

من الصفات التي اتصف بها الله عز وجل، الألوهية وهي من أصل إله، والتي بمعنى المعبود، ومنها اسم الله جل جلاله الذي سبق ذكره، وهذا الاسم جامع لصفات الكمال فلفظة الإله تشمل جميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فكل الأسماء الحسنى تدخل تحت اسم الله[4].

ولقد وردت لفظة إله في كثير من آيات القرآن الكريم، ومع إبراهيم عليه السلام وردت في كثير من الآيات وذكرت مع وصية يعقوب لأولاده باتباع دين الإسلام كما في قوله تعالى:﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾(البقرة:133) والمعنى: أي نعبد معبودك الذي تعبده، ونوحده بالعبادة والربوبية دون أن نشرك معه أحداً، فهو المتفق على وجوده وألوهيته وعبادته، وتكررت لفظة الإله في الآية؛ تأكيدا لصفة الوحدانية لله سبحانه[5].

([1]) انظر: الأسماء والصفات، البيهقي، ص: 110.

([2]) مجموعة الفتاوى، 217/6.

([3]) انظر: الأسماء والصفات، البيهقي، ص:110، ودرء تعارض العقل والنقل، 2/147-148، و منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة، خالد نور، 2/ 421-424، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة، ط1، 1416هـ/1995م.

([4]) انظر: بدائع الفوائد، 16/1.

([5]) انظر: تفسير الطبري، 613/1 وتفسير القرطبي،143/2، وتفسير ابن كثير، 222/1.

2) صفة الأمر:

صفة الأمر صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى، ودليله ما قاله الله تعالى في كتابه:﴿ **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾(الأعراف:54) ومعناها في الآية القرآن[1] وعلى ذلك فهي صفة له عز وجل.

وليس كل لفظة الأمر في القرآن تكون صفة لله سبحانه، لأنه قد يأتي بمعنى شيء ويكون مخلوقاً، كما في قوله:﴿ **وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾(التوبة: 48) وأمر الله هنا بمعنى دين الله سبحانه[2]، وفي الأمر عدة معانٍ، أوصلها البيهقي[3] إلى ثلاثة عشر معنى، فمنها العذاب، والوحي والقيامة والنصر[4]، وعلى هذا فلفظة الأمر من الكلمات التي تطلق على الصفة مرة وعلى متعلقها مرة أخرى كالقدرة، فهي صفة لله ويسمى المقدور قدرة وما يتعلق بها كذلك قدرة[5].

هذا ولقد أتت لفظة الأمر في القرآن مع إبراهيم عليه السلام في ثلاثة مواضع: فالموضع الأول منها في قول الله جل وعلا:﴿ **قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ (هود:73) وأمر الله في الآية قضاؤه وقَدَرُه[6].

والثاني منهما ما ورد في قوله تعالى:﴿ **يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ**﴾(هود:76) والمعنى أنه مضى قضاء الله فيهم بالعذاب، ولا سبيل لرده ومنعه؛ لأنه أعلم بحالهم وما يستحقونه مما قضى الله عليهم من العذاب، فأمره فيهم قدره بمقتضى قضائه الأزلي[7].

وأما الموضع الثالث ففي قوله جل وعلا:﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾(الأنبياء:73) أي جعلهم الله

---

(1) قاله سفيان بن عيينة و أحمد بن حنبل ونعيم بن حماد، انظر: شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي، 244/2، و شفاء العليل، ابن القيم، ص: 41.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، 94/4.

(3) هو: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، ولد: 384هـ، وله من التصانيف، الأسماء والصفات، توفي: 458هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، 770/1.

(4) انظر: الأسماء والصفات، البيهقي، ص: 227-228.

(5) انظر: مجموعة الفتاوى، 18/6.

(6) انظر: تفسير الطبري، 75/7، وتفسير القرطبي،73/9، وتفسير ابن كثير196/4.

(7) انظر: تفسير الطبري، 79/7، وتفسير البيضاوي، 247/3.

أئمة يقتدى بهم في أمر الله، وأمر الله هنا أي بما أنزلنا عليهم من الوحي، فأي دعوة إلى الحق والمنع عن الباطل لا يكون إلا بأمر الله[1].

يظهر من السابق أن الموطنين الأول والثاني ليس من الصفات في شيء وأما الموطن الثالث فإنه يحمل معنى الصفة لأنه يتحدث عن الوحي أي ما أنزله الله على خليله عليه السلام أي كلامه.

3) صفة السمع:

اتصف الله سبحانه بصفة عظيمة وهي صفة السمع، فقد وردت هذه الصفة في كثير من آيات الله باسم السميع، ولأن الصفات تشتق من الأسماء، كان اسم السميع لله جل وعلا متضمناً لصفة السمع، وكثيراً ما اقترن السمع بالبصر في القرآن الكريم كما في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾(الحج: 75)، وكذا اقترن في كثير من المواطن بالعلم كما في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(البقرة: 181)، والسمع صفة ذاتية لله جل وعلا كما قال البيهقي:" السميع: من له سمع يدرك به المسموعات، والسمع له صفة قائمة بذاته"[2].

ولقد سبق مواطن السمع مع إبراهيم عليه السلام في معرض اسم "السميع" لله سبحانه، فإبراهيم عليه السلام أظهر لقومه عجز الآلهة وضعفها فكان من أسئلته لهم:﴿**قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ**﴾(الشعراء:72) فكان جوابهم أن لا، فكان رده عليه السلام عليهم أن كيف تعبدون من لا يسمع دعاءكم؟! ومعلوم أن العابد يلجأ لمعبوده إذا أراد شيئاً، فكيف يستجيب له المعبود وهو لا يسمع! دل هذا أن المعبود يتصف بالسمع كي يستجيب حاجة عباده وفي هذا إثبات لله سبحانه صفة السمع وهي له صفة كمال[3]، وكذا مع أبيه كان بنفس الأسلوب والدعوة فناظره بأن الأصنام التي يعبدها لا تسمع ولا تبصر، كما قال:﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً** ﴾(مريم:42)، لقد ناظر أباه ودعاه إلى إله سميع بصير بخلاف الآلهة التي ليس لها من هذه الصفات شيء، فكانت مناظرته عليه السلام لقومه ولأبيه، فيها إثبات لصفات الكمال للمعبود المستحق وحده بالعبادة، لا الآلهة التي تفقد هذه الصفات وعلى هذا فهي لا تستحق أن تكون معبوداً لهم[4].

---

(1) انظر: تفسير الطبري، 47/9، وفتح القدير، 468/3.

(2) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي، تحقيق: أحمد أبو العينين، ص: 51، دار الفضيلة، الرياض، ط4، 1420هـ/ 1999م.

(3) انظر: الكشاف، 116/3.

(4) انظر: تفسير ابن كثير، 129/5، ومجموعة الفتاوى، 16/ 204_205.

4) **صفة الصدق:**

إن صفة الصدق ثابتة لله عز وجل بالقرآن الكريم كما أخبر عن نفسه بأنه جل وعلا صدق فيما أخبر وفيما شرعه سبحانه فقال جل وعلا:﴿ **قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(آل عمران:95)، وقد سمى الله جل جلاله نفسه في القرآن بأنه صادق كما قال تعالى:﴿ **ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِم وِإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾(الأنعام:146) فهو تعالى صادق في كل ما أخبر به عباده، وهو الصادق في كل وعده وعهده مع عباده[1].

إن قول الله جل وعلا:﴿ **قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(آل عمران:95) فيه بيان أن المخبر هو الله العظيم الذي له صفات الكمال، فله الكمال في الصدق وله الكمال في كل ما أخبر عنه، وفي الآية أخبر أن ملة إبراهيم عليه السلام غير ما زعم أهل الكتاب، فلو صدقوا في زعمهم لأتوا بالتوراة، ولكن الصادق على الحقيقة من له الكمال في ذاته وصفاته جل وعلا، فأمر سبحانه أن يتبعوا ملة إبراهيم عليه السلام في كل ما أمر به[2].

5) **صفة العزة:**

العزة صفة لله عز وجل ثبتت بالقرآن الكريم، كما في قول الله جل وعلا:﴿**وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾(يونس:65) وقد سبق في معنى العزيز ما يغني عن الإعادة[3].

6) **صفة العلم:**

العلم صفة ذاتية لله عز وجل، فقد ثبت علمه في كثير من آيات القرآن ودليله قوله تعالى:﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء**﴾(البقرة:255).

لقد وصف إبراهيم عليه السلام رب العزة بسعة علمه جل وعلا فقال في خطابه لقومه من عبدة الكواكب:﴿ **وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ** ﴾(الأنعام:80) وخطابه لهم بأن الله يسع بعلمه كل شيء، ولا يخفى عليه من خلقه شيء فهو الخالق لكل شيء، وهو أعلم بمصالح خلقه من خير أو غيره، يفعل ما شاء بعلمه سبحانه، وشواهد سعة علمه كثيرة في خلقه وشرعه لا يجحدها إلا مكابر[4]، فمن علمه سبحانه أنه آتى إبراهيم عليه السلام الرشد والحكمة من قبل

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير،211/1، أسماء الله الحسنى،عمر الأشقر، ص: 290، نقلا عن اشتقاق أسماء الله.

(2) انظر: نظم الدرر، 126/2.

(3) انظر: ص: 93 من البحث نفسه.

(4) انظر: تفسير الطبري، 5/ 248، وفتح القدير، 2/ 155.و صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، السقاف، ص: 185.

دعوته، فقال تعالى:﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ**﴾(الأنبياء:51) فالله يعلم أن إبراهيم عليه السلام ذو إيمان ويقين بالله لا يشرك معه أحداً، فهو عليه السلام فيه من الخصال الحسنة، ما يؤهله للدعوة، وفي هذا إثبات لله بعلمه الجزئيات جل وعلا[1].

وكان من دعاء إبراهيم عليه السلام ما يثبت لله صفة العلم كما قال تعالى عنه:﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء**﴾ (إبراهيم:38) والمعنى في دعائه أنك يا رب "تعلم السرَّ كما تعلم العلن علماً لا تفاوت فيه؛ لأنّ غيباً من الغيوب لا يحتجب عنك. والمعنى: أنك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا، وأنت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها، فلا حاجة إلى الدعاء والطلب، وإنما ندعوك إظهاراً للعبودية لك، وتخشعاً لعظمتك، وتذللا لعزتك، وافتقاراً إلى ما عندك، واستعجالاً لنيل أياديك، وولهاً إلى رحمتك"[2].

7) صفة القدرة:

ومن عظيم الصفات التي اتصف بها سبحانه صفة القدرة، كما في كثير من آيات الله جل وعلا، ومنها: ﴿ **إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾(البقرة:20)، وصفة القدرة لله تعني أنه لا يعترضه فتور ولا ضعف فلا يخرج عن مقدروه شيء من المخلوقات[3].

تظهر صفة القدرة لله جل وعلا في قصة إبراهيم عليه السلام وخصوصاً في نجاته من النار وكونها برداً وسلامًا عليه، وهنا تظهر قدرة الله سبحانه على تغيير الحال، وهذا من المعجزة التي حصلت مع إبراهيم عليه السلام أمام قومه، فأظهرت لهم قدرة الله سبحانه على تحويل النار إلى برد ولكن دون أن تؤذي إبراهيم عليه السلام، فكانت عليه سلاماً كما قال تعالى:﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾(الأنبياء:69)[4].

وكذا من أدلة قدرة الله سبحانه، كيفية الإحياء للطيور الأربعة، كما رأى إبراهيم عليه السلام ذلك لما طلب من الله سبحانه أن يريه كيف يحيي الموتى، فأراه الله عز وجل ذلك كما ورد في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(البقرة:260).

---

(1) انظر: تفسير الطبري، 36/9، وتفسير البيضاوي، 97/4.

(2) الكشاف، 381/2.

(3) انظر طريق الهجرتين ودار السعادتين، ابن القيم، ص:112.

(4) انظر: تفسير الطبري، 42/9-44، وتفسير ابن كثير، 205/5.

ولقد أثبت عليه السلام لله أنه الشافي فقط حقيقة فقال:" **وإذا مرضت فهو يـــشفين**" فهـــذا من مظاهر قدرته سبحانه وتعالى، وليس لأحد قدرة على الشفاء إلا هو، فهـــو مقـــدر الأســـباب للشفاء[1].

ثانياً: الصفات الفعلية:

1) **صفة الإحياء والإماتة:**

من الصفات الفعلية التي هي وصف لله جل وعلا في كتابه صـــفة الإحيـــاء والإماتـــة، ومعنى هذه الصفة" الذي يحيي النطفة الميتة، فيخرج منها النسمة الحية، ويحيي الأجسام الباليـــة بإعادة الأرواح إليها عند البعث... والمميت الذي يميت الأحياء، ويوهن بالموت قوة الأقوياء"[2].

وهاتين الصفتين ذكرهما إبراهيم عليه السلام لملك بابل، حين طلب منه الـــدليل علـــى وجود الله، فذكر عليه السلام صفتين من صفاته جل وعلا وهي الإحياء والإماتة فقـــال:﴿ **رَبِّـــيَ الَّذِي يُحْيِـــي وَيُمِيتُ**﴾(البقرة: 258) وقصد بذلك أن الله بيده الحياة والموت، فيحيـــي مـــن يـــشاء ويميت من يشاء، كل هذا بإرادته سبحانه[3].

وفي طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يريه كيفية إحياء الموتى؛ ليصل بذلك من علم اليقين إلى عين اليقين، وليس شكّاً منه في قدرة الله على الإحياء، كيف ذلك وهو من أثبت لملـــك بابل أن من صفات الله الإحياء والإماتة على الحقيقة، كما سبق في الآية، ولكـــن طلبـــه عليـــه السلام كان ليرى ذلك بعين اليقين، فقال:﴿ **رب أرني كيف تحيي الموتى**﴾، وفي ما حصل مـــع إبراهيم عليه السلام من تقطيع الطيور، وخلطها وافتراقها واجتماعها بعد ذلك، لهو دليل على أن الإحياء صفة من صفات الله سبحانه[4].

ولقد أثبت إبراهيم عليه السلام لقومه صفات لله عز وجل في نيته للهجرة بعـــد دعوتـــه لهم، فقال ناطقاً بصفات الله العظيمة: ﴿**وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ** ﴾(الشعراء:81) فهو الـــذي يحيـــي ويميت، وليس لأحد سواه من ذلك شيء وكله بإرادته ومشيئته[5].

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، 35/6.

([2]) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي، ص: 54.

([3]) انظر: تفسير الطبري، 26/3، وفتح القدير، الشوكاني، 306/1.

([4]) انظر: تفسير الطبري، 57/3-60، وتفسير ابن كثير،367/1.

([5]) انظر: تفسير الطبري، 452/9، وتفسير ابن كثير، 35/6.

2) **صفة الاجتباء والاصطفاء:**

مما من الله به على عباده أن جعل فيهم أنبياء، ولقد اصطفى من البشر رسلاً؛ لينـذروا قومهم ويبشروهم، ولقد اصطفى الله إبراهيم عليه السلام وآله فقال جل وعلا:﴿ **إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾(آل عمران:33) أي إن الله اختار آل إبـراهيم واختار دينهم[1].

ولقد ذكر الله صفات إبراهيم عليه السلام، وما أكرمه الله به فقـال:﴿ **شَـاكِراً لِّأَنْعُمِـهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(النحل:121) فقد قام بجميع ما أمره الله به فاصطفاه واجتباه[2].

3) **صفة الحفي:**

من الصفات التي ثبتت في القرآن لله سبحانه أنه حفي، والحفي: البر اللطيـف، ودليلـه قول الله على لسان إبراهيم عليه السلام بعد دعوته لأبيه:﴿ **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَـكَ رَبِّـي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً**﴾(مـريم:47) والمعنى: أن الله عالما بي فهو لطيف يجيبني إذا دعوته، يعتني بي، فظل يستغفر لأبيه حتى تبين له أنه عدو لله، فترك الاستغفار له وتبرأ منه[3].

4) **صفة الخلق:**

الخلق من الصفات التي اتصف بها الخالق جل وعلا، وكثيراً ما حدّث في كتابـه أنـه أوجد المخلوقات من عدم، وقد أخذت من الخالق، والخلق هو الإيجاد من العـدم، فـالله أوجـد المخلوقات على غير مثال سابق، فأبدع في صنعها جل وعلا[4]، ولهذا أشار إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه قائلاً:﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَـسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَـى كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(**العنكبوت**:19-20) إنه عليه السلام يبين لهم أن الله هو من يخلق من عدم، ثـم كيـف يمر خلقه على مراحل من الطفولة إلى الشباب ثم الكهولة، فالذي يفعل ذلك قادر أن يعيـد مـرة أخرى وذلك عليه يسير، وهو على ذلك قدير[5]. وأثبت لهم عليه السلام صفة الخلق لله في قوله: ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ** ﴾(الشعراء: 78) أي: "هو الخالق الذي قدر قدراً، وهدى الخلائق إليـه، فكل يجري على ما قدر له، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء"[6].

---

(1) انظر: تفسير الطبري، 233/3.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، 348/4.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: 444، وتفسير الطبري، 8/ 349.

(4) انظر: المفردات، ص: 157.

(5) انظر: تفسير الطبري، 130/10، وأسماء الله الحسنى، عمر الأشقر، ص:81.

(6) تفسير ابن كثير، 35/6.

5) صفة الخلة:

صفة فعلية ثابتة لله بالكتاب والسنة، فالله جل وعلا يحب من يشاء ويخالل من يشاء، " والخلة والمحبة صفتان لله، هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه"[1] ولقد اتخذ الله إبراهيم خليلاً فقال تعالى:﴿**واتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾(النساء:125) " والخليل الذي ليس في محبته خلل"[2] والخلة الصداقة، فسمي خليلاً؛ لأن الله أحبه واصطفاه، ولأنه عليه السلام قام بما يحبه الله من الطاعة، فاتخذه خليلاً[3].

6) صفة الرحمة:

صفة لله عز وجل ثابتة بالكتاب والسنة، وهي من اسمي الرحمن الرحيم وتكررت هذه الصفة كثيراً في القرآن، كما سبق ذكرها في الأسماء في اسم الرحمن الرحيم، وفي معرض دعوة إبراهيم عليه السلام فإنه يذكر لهم صفات الله والتي منها الرحمة كما في قوله:﴿ **يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ** ﴾(العنكبوت:21) والمعنى: أي أن الله يتصرف في خلقه كيف يشاء، فهو يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ويحكم كيفما يريد، لا يسأل عما يفعل[4].

7) صفة الرزق:

الرزق صفة فعلية لله سبحانه، ومنها الرزاق والرازق، قال ابن القيم:

وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان[5]

والرزاق والرازق مأخوذة من الرَّزْق، وأما الرِّزق، فهو ما يمده لعباده من فضل ونعم، والرزق صفة من صفات الربوبية لا يصح أن ينسب فيه لغير الله، كالخلق، فكل الأرزاق بيده، وكل الخزائن له[6].

إن إبراهيم عليه السلام بيّن لقومه أن ما يعبد سوى الله هو وثن، والوثن لا يملك رزقاً، وإنما الرزق الحقيقي من الله سبحانه فقال عليه السلام مبيناً ضعف أصنامهم:﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾(العنكبوت:17)

---

(1) مجموعة الفتاوى، 80/5.

(2) معاني القرآن، الزجاج، 112/2.

(3) انظر: تفسير ابن كثير، 256/2، وصفات الله عز وجل، السقاف، ص:116.

(4) انظر: تفسير ابن كثير، 109/6.

(5) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، 2/ 234.

(6) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، 235/2، وصفات الله الواردة، السقاف، ص: 127.

وأظهر عليه السلام لقومه صفات الله والتي منها الرزق فقال:﴿ **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ** ﴾(الشعراء: 79) فقال:"هو خالقي ورازقي بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن، وأنزل الماء وأحيا به الأرض، وأخرج به من كل الثمرات رزقاً للعباد، وأنزل الماء عذباً زلالاً يسقيه مما خلق أنعاماً وأناسي كثيراً"(1).

8) صفة المغفرة:

صفة فعلية لله جل وعلا، ومن أسمائه الغفار والغفور، قال الشيخ السعدي: "العفو الغفور الغفار: الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه"(2) ولقد طمع إبراهيم عليه السلام في مغفرة الله وسعه عفوه، رغم أنه نبي كريم فقال:﴿ **وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ** ﴾(الشعراء:82) فهو الذي يغفر الذنوب كلها ولا غافر لعباده في الدنيا والآخرة إلا هو سبحانه(3). بل ودعا عليه السلام ربه طالباً منه المغفرة فقال:﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾(إبراهيم:41).

9) صفة الهبة:

مما وصف الله به نفسه في كتابه صفة الهبة والعطاء، وكلها من صفاته سبحانه التي يفعلها متى شاء جل وعلا، ومع من شاء من عباده، وصفة الهبة مشتقة من اسم الوهّاب، الذي هو دال على "البذل الشامل والعطاء الدائم، بغير تكلف ولا عرض أو عوض"(4).

لقد منّ الله سبحانه على إبراهيم عليه السلام بأن وهب له ذرية في كبره، وجعل فيها النبوة، فقال تعالى:﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾(الأنعام:84) وقال:﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ** ﴾(الأنبياء:72) وقال:﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (العنكبوت:27) فكانت نتيجة هذه الهبة من الله، أن شكر إبراهيم عليه السلام ربه على هذه الذرية التي وهبها له في كبره فقال:﴿ **الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾(إبراهيم:39) وفي ما سبق من الآيات بيان أن الله سبحانه وتعالى

---

(1) تفسير ابن كثير، 35/6.

(2) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبيد العبيد، ص: 218، انظر: موقع روح الإسلام، نقل بتاريخ: 2009/2/12م، www.islamspirit.com.

(3) انظر: تفسير ابن كثير، 35/6.

(4) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي، 397/1.

آتى إبراهيم عليه السلام من الأجر في الدنيا بأن وهبه من رزقه الذي لا ينفد، ومن فضله الـذي لا حد له جل وعلا، فوهب له ذرية وخصّها بالنبوة، وشرفها بالكرامـة، وهـداهم إلـى سـبيل الهداية، ولم يقف كرم الله عند هذا الحد، بل جعل له من ذريته نافلة أي رزقـه إسـحاق ومـن إسحاق يعقوب، وكل هذا لما بذله عليه السلام من النصرة للدين في دعوته وبذل نفسه في ذلك، فالله سبحانه واهب العطايا لا يحده حدود، ولا يمنعه عن نزول فضله مانع، فله ملك الـسماوات والأرض، وبيده خزائنهما، ولا ينقص من ملكه شيء مع ما يهبه لعباده تبارك وتعالى[1].

قد تبين مما سبق أن قصة إبراهيم عليه السلام حوت كثيراً من أسماء الله وصفاته جـل وعلا، وهذا يبين مدى معرفة إبراهيم عليه السلام بربه، وتعظيمه له ووصفه لـه جـل وعـلا بنعوت الجلال والكمال، فكان من أعرف الناس بربه حتى أنه دعاهم إلى حسن الظن به فقـال: ﴿ **أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ* فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(الصافات:86-87) أي فمـا ظـنكم إذا لقيتم الله يوم القيامة وقد عبدتم غيره؟ وما ظنكم بأسمائه وصفاته؟ فهل ساء ظنكم بـه فـاحتجتم لغيره في العبادة؟، لقد ساء ظنكم بعلمه فهو بكل شيء عليم، وهو على كل شيء قـدير، وهـو غني عن العالمين، وهو الرحمن الرحيم له من صفات الكمال والجلال ما لا يتصف به أحد ولا آلهتكم المزعومة[2].

لقد أثبت عليه السلام لربه من الأسماء والصفات ما يدل على عظيم محبته لله عز وجل، ومعرفته به، فأخبر أن ربه يحيي ويميت، وأنه سميع الدعاء وأنه عليم حكيم، وبين ما في الآلهة من نقص، وبين الكمال لله جل وعلا وكماله من أنه فاطر السماوات والأرض العلـيم الـسميع البصير، الرازق، المحيي المميت، ووصف الله بكمال الحكمة والرحمة المناسبة لاتخاذه خلـيلاً، فقال:﴿**إنه كان بي حفياً**﴾.

([1]) انظر: تفسير الطبري، 256/5، و10/ 134، وفتح القدير، الشوكاني، 157/2، وتفسير ابن كثير 295/4، و أسماء الله الحسنى، عمر الأشقر، ص: 97.

([2]) انظر: الداء والدواء، ابن القيم، ص: 139.

الفصل الثاني

دلالة قصة إبراهيم _عليه السلام_ على إثبات الإيمان بالملائكة والكتب والأنبياء

المبحث الأول: دلالة قصة إبراهيم _عليه السلام_ على إثبات الملائكة

المبحث الثاني: دلالة قصة إبراهيم _عليه السلام_ على الإيمان بالكتب السماوية

المبحث الثالث: دلالة قصة إبراهيم _عليه السلام_ على إثبات الأنبياء

المبحث الأول

دلالة قصة إبراهيم _عليه السلام_ على إثبات الملائكة

المطلب الأول: حوار الملائكة مع إبراهيم عليه السلام ودلالته على وجوب الإيمان بهم.

المطلب الثاني: صفات الملائكة ووظائفهم.

المطلب الأول

حوار الملائكة مع إبراهيم عليه السلام ودلالته على وجوب الإيمان بهم

الملائكة خلق من خلق الله، بل هي من أعظم مخلوقاته جل وعــلا، ولقــد كثــر ذكــر الملائكة في القرآن الكريم، وأوجب الله علينا الإيمان بها؛ ولذا فهو ركن هام من أركان العقيــدة، لا سيما وأنه الركن الثاني منها، ولقد اقترن الإيمان بالملائكة مع الإيمان بالله في مــواطن عــدة من القرآن، كما في قوله: ﴿ **كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ**﴾ (البقرة: 185) وجعل الكفر بهم من الضلال البعيد قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَــدْ ضَــلَّ ضَــلاَلاً بَعِيداً**﴾ (النساء:136).

أولاً: تعريف الملائكة لغة: أصله من ألك، والمألكة، والمألك: الرسالة، والملائكة هم رســل الله، وقيل من(ل أ ك) والملائكة: الرسالة، وألكني إلى فلان؛ أي بلغه عني، والملك مبلــغ عــن الله سبحانه[1].

ثانيا: الملائكة اصطلاحاً:" أجسام لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفــة، ومــسكنها في السماوات"[2]. والإيمان بالملائكة: هو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة خلقــت مــن نــور، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، لهم وظائف متعددة أمرهم الله بالقيام بها[3].

ثالثاً: كيفية الإيمان بالملائكة: يتقرر الإيمان بالملائكة بعدة أمور وهي:

1) الإيمان بوجودهم.
2) إنزال الملائكة منازلهم، وإثبات أنهم عباد لله، وهم من خلقه، مكلفــون بمــا أمــرهم الله تعالى.
3) إثبات أن منهم رسل يبعثهم الله لمن شاء من عباده، والاعتراف أن منهم خزنــة للجنــة وخزنة للنار، ومنهم حملة للعرش وغيرهم[4].

([1]) انظر: معجم مقاييس اللغة، 132/1_133، مادة: (ألك)، وبصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، 524/4.

([2]) فتح الباري، ابن حجر، 366/6_367.

([3]) انظر: التبيان شرح أركان الإيمان، سعد عاشور، ص: 167، دار المنــارة، فلــسطين، ط1، 1426هــــ/ 2006.

([4]) انظر: الحبائك في أخبار الملائك، السيوطي، تحقيق: مصطفى عاشور، ص: 13، مكتبة القرآن، القــاهرة، وانظر: شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، 163/1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـــ/ 1990م.

رابعاً: حوار إبراهيم عليه السلام مع الملائكة:

عرضت الآيات من القرآن الكريم حواراً حدث بين الملائكة وإبراهيم عليه السلام، في ثلاثة مواطن، وهي سورة هود والحجر والذاريات، وهذا مما يؤكد ويثبت وجود الملائكة وأنهم من خلق الله تعالى، ويجب الإيمان بهم، وكان الحوار الذي دار بين خليل الرحمن والملائكة، مفاده البشارة بالولد، وإخبار لوط عليه السلام بإرسال العذاب على قومه، كما قال تعالى في سور هود: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ* فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ* وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ* قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ* قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ* فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ* إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ* يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ**﴾ (هود: 69-76)

وأما في سورة الحجر فقد قال تعالى: ﴿ **وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ* إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ* قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ* قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ* قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ* قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ* قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ* إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**﴾ (الحجر: 51-60)

وفي سورة الذاريات ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ* فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ* فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ* فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ* قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ* قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ* لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ* مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ* فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ* وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾ (الذاريات: 24-37)

بيّنت الآيات ثناء الله على خليله عليه السلام، وذلك في إكرامه لضيفه من الملائكة، ولا ننسى أنه عليه السلام كان كريماً معطاءً، حتى كان أول من ضيّف الضيف، كما ورد في الأثر،:" **كَانَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ النَّاسِ ضَيَّفَ الضَّيْفَ**..."[(1)]، ولقد أتت الملائكة لإبراهيم عليه السلام على هيئة بشر، وألقوا عليه التحية بقولهم: سلاماً، فرد عليهم بقوله: سلامٌ،

(1) سبق تخريجه، انظر: ص:27 من البحث نفسه.

والمعنى: أن قول إبراهيم عليه السلام **(سلامٌ عليكم)** هو من دين الإسلام دعا إليه سيد الحنفــاء، وأن هذا الأمر هو من ملة إبراهيم عليه السلام التي أمر الله باتباعها، وبهذا فإنه عليه السلام هو أسوة للمسلمين على مر الزمان يتبعونه ويقتدون به[1]، هذا ولم يكن عليه السلام يعــرف أنهــم رسل الله إليه، فقدم لهم من الطعام عجلاً حنيذاً[2]، ولكنهم لم يقربوا هذا الطعام، فأوجس[3] عليه السلام منهم خيفة، ولم يظهر خوفه عليه السلام منهم، ولكن الملائكة علمت منه خوفه فأخبرتــه أنهم رسل الله إليه، أتوه لبشارته بالولد، فما كان منه عليه السلام إلا أنه لم يتوقع هذه البــشارة، كون امرأته عاقراً، وقد مسه الكِبَر، ولكن الأمر أمر الله ولا راد لأمره، وهو الذي علــى كــل شيء قدير، ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى، ثم سألهم ما سبب مجيئكم؟ فأخبروه أنهــم جــاؤوا لإهلاك قوم لوط الذين ما تورعوا عن معصية الله سبحانه، وإنفاذ أمر الله فيهم بالعقاب، فما كان منه إلا أن تملكته الرحمة فجادل عن قوم لوط بأن في القرية أناساً مؤمنين فــأخبرتهم الملائكــة أنهم يعلمون ذلك وأنهم ناجون بأمر الله سبحانه، وهذا مما يدل على أن إبراهيم عليه السلام فيــه ما فيه من الشفقة والرحمة واللين[4].

خامساً: لطائف من حوار الملائكة مع إبراهيم عليه السلام:

أثنى الله على إبراهيم عليه السلام بضيافته للملائكة من وجوه عدة وهي:

1) وصف ضيف إبراهيم عليه السلام بأنهم مكرمون، وفي هذا دليل على كرم إبــراهيم عليــه السلام.

2) لم تذكر الآية استئذان الملائكة لإبراهيم عليه السلام، وهذا يؤكد ما كان فيه عليه السلام من دوام ضيافته للناس وشدة كرمه.

3) رد التحية بأحسن منها وذلك باستخدام إبراهيم عليه السلام تنــوين الرفــع، فــي حــين أن الملائكة استخدمت تنوين الفتح، وتنوين الرفع أشرف من تنوين الفتح، وبالتالي يكــون إبــراهيم عليه السلام قد رد التحية بأحسن منها، وهذا ما يليق بأبي الأنبياء إبراهيم عليه الــسلام عمــلاً بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهِا أَوْ رُدُّوَهَا**﴾ (النساء:86)

4) قوله (قوم منكرون) فيه حذف للفاعل، وهذا من الأدب مع الضيف.

---

(1) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم، 163/2.

(2) الحنيذ:" إنضاج الشيء. يقال شواء حنيذ منضج. وذلك بأن تحمى الحجارة، وتوضع عليه حتــى ينــضج". معجم مقاييس اللغة، 109/2.

(3) أوجس، أصله وجس، وهي كلمة تدل على إحساس بشيء وتسمع له، وهو الــصوت الخفــي. والإيجــاس: وجود ذلك في النفس، انظر: معجم مقاييس اللغة، 87/6، والمفردات، ص: 513.

(4) انظر: تفسير ابن كثير، 195/4-196، القصص القرآني، صلاح الخالدي، ص: 418.

5) قوله (فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين) راغ من الروغان، وهو الـذهاب بخفـة لإتيـان الضيافة بحيث لا يشعر الضيف معه بالحرج.

6) أنه أتى بالطعام بنفسه ولم يحتج إلى غيره وقربه إليهم بدلاً من أن يدعوهم ليتقربوا منه.

7) عرض عليهم الأكل، فلما لم يأكلوا أوجس في نفسه خيفة، ولم يظهرها وعلمـت الملائكـة بذلك فبشرته بالغلام[1].

يتضح مما مضى إثبات الملائكة ووجوب الإيمان بهم، وذلك من إتيانهم لإبراهيم عليـه السلام، والحوار الذي دار بينهم وبين إبراهيم عليه السلام، والذي كان فيه البـشارة لـه عليـه السلام بالولد بعد عمر طويل له ولزوجه، وكذا إعلامه له عليه السلام بإرسال العذاب على قـوم لوط.

([1]) انظر: جلاء الأفهام، ابن القيم، ص:394_ 396 ، وتفسير ابن كثير، 4/195.

المطلب الثاني

صفات الملائكة ووظائفهم

ذكر القرآن الكريم صفات اتصفت بها الملائكة، فمنها الخَلْقية كالأجنحة العظيمة لهم، فمنهم من يملك جناحين أو ثلاثة أو أربعة كما قال تعالى:﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (فاطر:1) وكذلك أنهم لا يوصفون بالذكورة ولا الأنوثة، وأنهم لا يأكلون ولا يشربون، ومن الصفات الخُلُقية الاستحياء[1].

أولاً: صفات الملائكة:

إن صفات الملائكة التي اقترنت في قصة الخليل عليه السلام تمثلت في صفتين هما:

1) **القدرة على التشكل:**

لقد خلق الله الملائكة من نور، ومنحهم قدرة على التشكل بأي هيئة، وهذا يظهر جلياً من مجيء الملائكة لإبراهيم عليه السلام على هيئة بشر، ولم يعرفهم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ**﴾ (الذاريات: 24-25) فإن الملائكة أتت إبراهيم عليه السلام، على صورة بشر فنكرهم حين قدم لهم الطعام فلم يأكلوا منه، فكشفت له الملائكة عن حقيقة أمرهم، فقالوا:﴿ **لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ**﴾ (الحجر: 53) وقالوا أيضاً:﴿ **لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ**﴾ (هود: 70) أي لا تخف إنا ملائكة، فعلم عليه السلام أنهم رسل الله إليه[2].

2) **لا يأكلون:**

إن مما اتصفت به الملائكة أنها لا تأكل كما أخبر الله عنهم في معرض حوار الملائكة وإبراهيم عليه السلام، فإنه عليه السلام قدم لهم من الطعام العجل الحنيذ، فلم تصل أيديهم إليه، كما قال تعالى:﴿ **فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ* فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**﴾ (الذاريات: 26- 27) واتفق العلماء أن الملائكة لا تأكل ولا تشرب[3].

---

(1) ورد حياء الملائكة في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال عن عثمان رضي الله عنه: أل أستحي من رجل تستحي منه الملائكة" رواه مسلم رقم الحديث: (2401)، كتاب فضائل الصحابة، ص: 1263

(2) انظر: تفسير ابن كثير، 195/4، وعالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر، ص:25، دار النفائس، الأردن، ط13، 1423هـ/2002م، والإيمان، محمد ياسين، ص: 32، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1412هـ/ 1991م.

(3) انظر: عالم الملائكة الأبرار، ص: 17.

ولا ننسى أن للملائكة وظائف عدة نطق بها القرآن الكريم والسنة وهي كثيرة، وهذا إنما يأتي من عددهم الذي لا يعلمه إلا الله كما قال جل وعلا:﴿ **وما يعلــم جنــود ربــك إلا هــو**﴾ المدثر:31) فمن الملائكة من هي موكلة بالرسالة كجبريل عليه السلام، ومنهم مــن هــو موكــل بالمطر، ومنهم حملة العرش، وغيرهم الكثير.

ثانياً: وظائف الملائكة:

وفي معرض الحديث عن خليل الله عليه السلام فإن من وظائف الملائكــة التــي وردت في قصته تصل كذلك إلى ثلاثة وظائف هي:

1) **تقديم البشارة:**

إن من وظائف الملائكة تقديم البشارة للمؤمنين، كما قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَــا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْــشِرُوا بِالْجَنَّــةِ الَّتِــي كُنــتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ (فصلت:30) فكيف بالأنبياء؟ فهي بشرت زكريا بيحيى عليهما السلام، وبشرت مــريم عليها السلام بعيسى عليه السلام، وهي من قبل بشرت إبراهيم عليه السلام بالذرية الصالحة، فقد بشرت الملائكة إبراهيم عليه السلام بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وجعل الله فــي ذريــة إبراهيم عليه السلام النبوة، وآتاهم الحكمة[1]، كما ذكر الله تعالى عنه فقال:﴿ **وَامْرَأَتُــهُ قَآئِمَــةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾ (هود:71) وقال: ﴿ **قَالُواْ لاَ تَوْجَــلْ إِنَّــا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ* قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ* قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِــالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ* قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ**﴾ (الحجر:53-56).

2) **إرسال العذاب:**

إنزال العذاب وظيفة من الوظائف التي تقوم بها بعض الملائكة، حين يأمرها الله بإنزال عقاب ما على مَن عصوه من الأمم، فإن هناك ملائكة موكلة بذلك، ولقد أمر الله بإنزال العــذاب على قوم لوط لما استحلوه من الفواحش، فكان مجيء ضيف إبراهيم عليه السلام لأمرين: تقــديم البشارة كما سبق، والأمر الثاني، هو إرسال العذاب على قوم لوط، ولذا من الحــوار الــذي دار بين الملائكة وإبراهيم عليه السلام، هو سؤاله لهم عن سبب مجيئهم؟ فأخبروه أن مجيــئهم هــو المهمة التي أمرهم الله بها وهي إعلام لوط ومن آمن من أهل بيته بالخروج مــن القريــة؛ لأن موعد العذاب لقومه الصبح، ويظهر هذا واضحاً في الآيات التي حكى الله فيها كــلام الملائكــة لإبراهيم عليه السلام كما قال جل شأنه عن إبراهيم عليه السلام حين سألهم:﴿ **قَالَ فَمَا خَطْــبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ* قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ* لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ* مُــسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ* فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْــرَ بَيْــتٍ مِّــنَ**

([1]) انظر:عالم الملائكة الأبرار، الأشقر، ص: 68، والقصص القرآني، الخالدي، ص:418.

الْمُسْلِمِينَ* وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (الذاريات: 31-34) وفي هذا بيان لوظيفة من الوظائف التي توكل إلى بعض الملائكة، وهي إرسال العقوبة على من يستحق بأمر من الله[1].

3) **نصرتهم لعباد الله المؤمنين:**

ومن وظائف الملائكة حماية الصالحين من عباد الله، ودفع الأذى عنهم، ونصرتهم، ومن هذا إرسال الله جبريل لإغاثة هاجر أم إسماعيل في مكة، حينما تركها إبراهيم عليه السلام، في واد غير ذي زرع، فكان أن بحثت عن الماء حتى كان التأييد من الله عن طريق الملك، كما ورد في الحديث عن ابن عباس: " ... **قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ**..."[2]، والملك الذي في الحديث هو جبريل عليه السلام، وفي هذا الحديث بيان لنصرة الله عز وجل لأم إسماعيل بأن جعلها تغرف الماء، بعد أن حرك بعقبه فخرج بإذن الله[3].

---

(1) انظر: عالم الملائكة الأبرار، ص: 81

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واتخذ الله إبراهيم خليلاً، رقم الحديث: (3364) ص: 642.

(3) انظر: فتح الباري، 486/6.

المبحث الثاني

دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على الإيمان بالكتب السماوية

المطلب الأول: وجوب الإيمان بالكتب السماوية

المطلب الثاني: صحف إبراهيم عليه السلام

المطلب الأول

وجوب الإيمان بالكتب

لقد كرم الله الإنسان، ومن تكريمه له، أنه لم يتركه هملاً في هذه الحياة يتخبط في ظلامها من غير دليل يرشده، أو هاد يهديه الطريق، وإنما أرسل له رسلاً يدعونه إلى الحق، ويرشدونه إلى الصواب، وزود الكثير منهم بكتب تحمل بين سطورها شريعته، وتضم بين صفحاتها وصاياه.

ولذا فإن الكتب السماوية هي بمثابة الوثائق الإلهية، والوصايا الربانية التي أنزلها الله على رسله، ووضع فيها أصول الهداية، ودليل السلوك وأسباب السعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ**﴾(البقرة: 213).

والإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان الستة، ويجب الإيمان بهذه الكتب بما علمنا اسمه على وجه التفصيل، وما لم نعلم اسمه نؤمن به على وجه الإجمال، ومما نعلم من هذه الكتب باسمه كما ورد: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، ونؤمن بأن الله أنزل كتبا أخرى لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله(1).

أولاً: معنى الكتب لغة: الكتب جمع كتاب، وأصله من ك ت ب ومعناها الجمع والضم، والكتاب: ما كتب فيه، وتأتي الكتابة بمعنى الدواة، والصحيفة، والفرض والحكم والقدر، وهو اسم الصحيفة المكتوب فيها، ومن هذا يعرف أن الكتابة أصلها الجمع والضم(2).

ثانياً: تعريف الإيمان بالكتب: هو الاعتقاد الجازم بأن الله أنزل كتبا أو صحفا أو ألواحا، على أنبيائه، من لدن آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، وبأي لغة كانت، سواء كانت الكتب صغيرة أم كبيرة، مكتوبة أو غير مكتوبة(3).

ثالثاً: دليل وجوب الإيمان بالكتب من قصة إبراهيم عليه السلام

إن الإيمان بالكتب السماوية، يؤكد أن الإسلام هو الدين الذي بعث به جميع الرسل، وأن المسلمين أولى الناس بقيادة البشر، وأن أهل الكتاب قريبين من الإسلام والمسلمين؛ لأنهم يملكون أساساً لدينهم قال تعالى:﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص: 312 والإيمان، محمد ياسين، ص: 62-63،

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة، 158/5_159، ولسان العرب، 23/12. مادة كتب.

(3) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، ص: 537، دار القلم، دمشق، ط4، 1406هـ/ 1986م.

وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى:13)[1].

ولقد أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام وأمته بأن يؤمنوا بالكتب السماوية على اختلاف نزولها على الأنبياء دون تفريق بين الأنبياء كما قال جل وعلا:﴿ **قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** }(البقرة:136) ﴿ **قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (آل عمران:84) ففي الآيتين دعوة وإرشاد للمؤمنين أن يحيدوا عن منهج اليهود والنصارى المخالف للإسلام، فلا يسمعوا لندائهم، ولكن عليهم أن يؤمنوا بالله وحده وكذا ما أنزل إليهم بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم، مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء من قبله مجملاً، وما يتبع كذلك من إيمان بالرسل وقد ذكر بعضاً منهم، وأجمل عن بقية الرسل، وفي هذا إيمان بهم دون تفريق بينهم كما تزعم اليهود والنصارى[2]، ومن هذه الكتب ما أنزل على إبراهيم عليه السلام، ومعلوم أن ما أنزل إليه عليه السلام هو الصحف كما قال تعالى:﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ (الأعلى: 18-19).

([1]) التبيان شرح أركان الإيمان، سعد عاشور، ص: 250.

([2]) انظر: تفسير الطبري، 618/1، وتفسير ابن كثير، 42/2.

المطلب الثاني

صحف إبراهيم عليه السلام

ذكر القرآن الكريم ما أنزل على خليل الله عليه السلام، من الكتب وسماها بالصحف، والواجب على المسلم الإيمان بها كما وردت بالقرآن والسنة، وسميت هذه الصحف بنص القرآن بالصحف الأولى، كما قال تعالى:﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ (الأعلى: 18-19).

أولاً: وقت نزول صحف إبراهيم عليه السلام

لقد ورد حديث في السنة النبوية يبين وقت نزول صحف إبراهيم عليه السلام، كما في مسند الإمام أحمد عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**"[1] وفي هذا إعلام بأن شهر رمضان اختاره الله لإنزال الكتب الإلهية فيه، ومن هذا صحف إبراهيم عليه السلام[2].

ثانياً: ما تحتويه صحف إبراهيم

أخبر القرآن الكريم عما تحتويه صحف إبراهيم في موطنين، ولنا أن نؤمن بما وصلنا منه كما نص القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، على وجه التفصيل وأما ما لم يصلنا بالطريق الحق فلا نؤمن به على وجه التفصيل؛ لأن هذه الصحف دخلها التحريف كما دخل الكتب السابقة، ولذا فإن الواجب الإيمان بما ورد في صحف إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، وقد وجد ذكرها في **القرآن الكريم** في موطنين هما:

1) قوله تعالى: ﴿ **أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى* أَلا تَزِرُ**[3] **وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى* وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى* وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا* وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى* مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى* وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى* وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى**[4]*

([1]) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: (16984)، 191/28، قال عنه الألباني: حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد الألباني، أشرف عليه زهير الشاويش، 303/1، رقم الحديث: (1497)، المكتبة الإسلامي، ط3، 1408هـ/ 1988م.

([2]) انظر: تفسير ابن كثير، 254/1.

([3]) الوزر هو الثقل، والمعنى في الآية" أي لا يحمل وزره من حيث يتعرّى المحمول عنه" المفردات، 521.

([4]) أقنى: أعطى من الرزق والأموال ما يقتنى ويدخر. انظر: المفردات، ص: 414.

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى[1]* وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى* وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى* وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى* وَالْمُؤْتَفِكَةَ[2] أَهْوَى* فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ (النجم: 36- 45). والمتمعن في الآيات يجد أن صحف إبراهيم عليه السلام، قد أظهرت وفاء نبي الله إبراهيم عليه السلام، وبيان مآل الإنسان، وقد احتوت على مواعظ، وبينت صفات لله سبحانه، وبينت ما آلت إليه الأمم السابقة[3].

2) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى*إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى: 14-19) وقد اختلف في آيات سورة الأعلى هل كانت هذه الآيات فقط هي التي وردت في صحف إبراهيم عليه السلام، أم أن سورة الأعلى بجميعها هي ما وردت في الصحف؟[4] ولا ضير فإن الآيات من سورة الأعلى قد احتوت على وصية تبين الفلاح والنجاح والفوز لمن طهّر نفسه، ولزم ذكر الله، وبيّنت حال الناس في الحياة الدنيا ومدى تفضيلهم لها على الآخرة.

وأما في **السنة النبوية** فقد ذكر بعض ما في هذه الصحف، وبعض ما فيها اشتمل على مواعظ ووصايا، ومما ورد في ذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه **قال:" قلت: يا رسول الله! ما كانت صحف إبراهيم؟ قال:" كانت أمثالاً كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات، فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً[5] إلا لثلاث، تزود لمعاد، أو مرمّة[6] لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلا على شأنه حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه..."**[7].

([1]) الشِّعْرَى: نجم وضّاء، يقال له: مرزم الجوزاء، ويسمى الشعرى العَبور، وقد عبدته طائفة من العرب. انظر: لسان العرب، 137/7.

([2]) المؤتفكة هي قرى قوم لوط، وسميت بذلك لأنها ائتفكت بأهلها، أي انقلبت. فأهوى أي كيف أسقطها بعد أن رفعها إلى السماء، انظر: تفسير النسفي، تحقيق: سيد زكريا، 4/ 1168، مكتبة نزار الباز، مكة، ط1، 1421هـ/ 2000م.

([3]) انظر: تفسير ابن كثير،308/7، وتفسير القاسمي، 5585/15_5588.

([4]) انظر: تفسير الطبري، 548/12_549.

([5]) ظاعنا: مجتهداً، وأصل الظعن السير والذهاب والنفع، انظر: لسان العرب 253/8، والمصباح المنير، ص: 229.

([6]) مرمة: متاع البيت، انظر: لسان العرب، 5/ 324.

([7]) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، تحقيق: خليل شيحا، رقم الحديث: (361)، ص: 214، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1425هـ/ 2004م، والترغيب والترهيب، رقم الحديث:(3301)، الترغيب والترهيب =

مما سبق يظهر أن صحف إبراهيم عليه السلام قد احتوت علـــى توجيهـــات أخلاقيـــة، ودعت إلى فضائل سامية، ورسخت حقائق إيمانية، وذكرت بعض صفات الله سبحانه، وذكّـــرت بمصير المرء، وذكرت مصير الأمم السابقة[1].

=عبد العظيم المنذري، ص: 432، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م، وقال عنه الألباني:صحيح لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، محمد الألباني، 285/2، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ.

([1]) انظر: القصص القرآني، الخالدي، ص: 432-433.

المبحث الثالث

دلالة قصة إبراهيم _عليه السلام_ على إثبات الأنبياء

المطلب الأول: مقتضيات الإيمان بالأنبياء

المطلب الثاني: وظائف الأنبياء

المطلب الثالث: المعجزة

المطلب الرابع: مقر الأنبياء في السماء

تمهيد

إن الله سبحانه قد ابتعث لعباده رسلاً من أنفسهم، وأنزل معهم الكتب، لينـذروا النـاس ويبشروهم، قال تعالى:﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (الأنعام:48) ولهذا فإن من أركان العقيدة الإسلامية، الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، كما قال تعالى:﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ (البقرة:285).

إن الحاجة إلى الرسل ماسّة، لا سيّما وأنهم بُعثوا لإصلاح قلوب الناس، وإنارة عقولهم، و هداية نفوسهم، فهم الطريق إلى رضوان الله سبحانه، يقول ابن القيم:" فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه... "[1].

أولاً: تعريف النبي: النبي لغة نبا وهي بمعنى الارتفاع ومنه الخبر، والنبي هو مخبِر عن الله، وهو مخبَر أي أن الله أخبره، والنبي له من الرفعة والمكانة ما أكرمه الله به، والأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الهداة للناس والنبي في الاصطلاح: من اصطفاه الله من عباده بالوحي إليه.

ثانياً: تعريف الرسول: الرسول لغة: التوجيه، وسميت الرسل بذلك؛ لأنهم يوجهون الناس إلى الخير، وهم مكلفون بذلك من الله فالرسول شرعاً: النبي المكلف من الله بتبليغ الرسالة للناس[2].

ثالثاً: تعريف الإيمان بالأنبياء والرسل: إن الإيمان بالأنبياء والرسل من أصول الدين، وأركان الإيمان الستة، ولا يتم إيمان عبد إلا بالإيمان بهم دون تفريق بينهم، ومن فرق بينهم فهو الكافر حقاً، قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً* أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً**﴾ (النساء: 150_151) وللمسلم أن يؤمن بهم جميعاً ما علم منهم على وجه التفصيل، وما لم يعلم على وجه الإجمال، فمنهم من حكى الله عنه وقص لنا قصصهم،

---

(1) زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم، تحقيق: مصطفى العدوي، 47/1_48، دار ابن رجب، المنصورة، ط1، 1426هـ/2006م.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة، 385/5، مادة نبو، والرسل والرسالات، عمر الأشقر، ص: 13-14، دار النفائس، الأردن، ط9، 1421هـ/2000، والعقيدة الإسلامية وأسسها، الميداني، ص: 298.

فيجب الإيمان بهم على وجه التفصيل، وما لم يقص علينا منهم وجب الإيمان بهم إجمالاً، قال تعالى:﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾ (النساء:164).

والإيمان بالأنبياء والرسل: هو الاعتقاد الجازم أن الله جل وعلا اصطفى من عباده من يبلغ رسالته إلى الناس، ويرشدهم طريق الخير، والإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه، على وجه التفصيل كما بين، والإيمان بأن الله أرسل رسلا غيرهم، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله، فوجب الإيمان بهم جملة، وأنهم بلغوا جميعا رسالات ربهم[1]، قال تعالى:﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ (النور:54).

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص: 311 ، والإيمان، الدكتور محمد نعيم ياسين، ص: 46.

المطلب الأول

مقتضيات الإيمان بالأنبياء

لا بدّ في الإيمان بالأنبياء والرسل من مقتضيات، وموجبات على كل مسلم أن يؤمن بها؛ ليصحّ إيمانه بالأنبياء والرسل، **وتشمل المقتضيات أموراً**:

1) التصديق بنبوتهم وبما جاءوا به من عند الله عز وجل، فلقد خص الله أنبيائه من بين البشر بوحيه سبحانه، وجعل المؤمن بهم في درجة الصديقين قال تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ**﴾ (الحديد:19).

2) الإيمان بهم جميعاً دون التفريق بين أحد منهم.

3) توقيرهم وإجلالهم، قال تعالى:﴿ **لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ (الفتح:9) قال ابن عباس رضي الله عنهما: " تعظموه وتوقروه من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام"[1].

4) وجوب العمل بشرائعهم: وذلك في حق كل أمة لنبيها، ولا يخفى أن ذلك كان قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن شريعته نسخت كل شريعة سابقة.

5) الإيمان بعصمتهم في تبليغ الرسالة التي وكلوا بها[2].

والعصمة باب ذُكر فيه من الشبهات ما يطول ذكره، وخصوصاً مع الأنبياء من أولي العزم، ولقد دارت حول عصمة إبراهيم عليه السلام شبهات، ستعرض الباحثة ما ورد في ذلك حسب ما يقتضيه الحديث عنها في هذا البحث بما يتناسب مع إبراهيم عليه السلام، وقبل ذلك ستعرج على تعريف العصمة في اللغة والاصطلاح.

أولاً: تعريف العصمة في اللغة والاصطلاح

العصمة في اللغة: الأصل في العصمة لغةً؛ المنع، يقال عصم الله عبداً أي حماه، وعصمه يعْصِمه عصماً منعه ووقاه، والعِصمة الحفظ، واعتصمت بالله أي بلطفه منعني من المعصية[3].

وأما في الشرع: يقول الراغب في معنى عصمة الأنبياء:" حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وبتثبّت

---

(1) تفسير ابن كثير، 220/7.

(2) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الآمدي، 243/1، دار الحديث، القاهرة.

(3) انظر: لسان العرب، 9/ 244_ 245.

أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق، قال تعـالى:" **والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**"(المائدة: 67)"[1].

وأما في عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر فقد ذهب معظم علماء الإسلام إلى أن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، قال ابن تيمية:" فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي[2]، أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير، والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول.."[3].

وعلى هذا فالأنبياء معصومون عن الكفر قبل وبعد البعثة، وأما الصغائر فقبل البعثة لم يأت دليل يمنع وقوعها، وبعد البعثة هم معصومون عنها إلا إن وقعت منهم سهواً أو نسياناً، فحينئذ لا يقرون وقوعها، بل ويأتي الوحي ليظهر لهم الأصوب والأكمل[4]، وعلى هذا فهم معصومون من الصغائر المنفرة، وأما الصغائر التي لا تقدح في فاعلها فأجازها جمهور أهل السنة في حقهم[5].

ثانياً: الشبهات الواردة في عصمة إبراهيم عليه السلام .

معلوم كما هو مقرر في عقيدة المسلم أن الأنبياء معصومون من الأخطاء؛ لأنهم مبلغون عن الله سبحانه في أمور الدين، بل إن الأمة اتفقت على أنهم معصومون في تحمّل الرسالة، فهم إذن معصومون في التبليغ، ومن أهم ما هم معصومون عنه الكذب، فلو جاز الكذب عندهم لحصل الكذب على الله في تبليغهم لرسالته سبحانه وتعالى، ولسقطت هيبتهم من القلوب.

---

(1) المفردات، ص: 337.

(2) هو: أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد التغلبي، ولد: 551هـ، لقب بسيف الدين الآمدي، له من المصنفات، أصول الفقه والدين، وأبكار الأفكار والمنطق، توفي: 631هـ. انظر: وفيات الأعيان،3/ 293_294.

(3) مجموعة الفتاوى، 4/ 319.

(4) انظر: المواقف في علم الكلام، عضد الدين الإيجي، ص: 359، عالم الكتب، بيروت، وكبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، محمد البوطي، ص: 167، مطبعة مسودي، القدس، ط6، 1399هـ.

(5) انظر: شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: أحمد السقا، ص: 89، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1407هـ/1987م، وأصول الدين عند الإمام الطبري، طه رمضان، ص: 390 ، دار الكيان، الرياض، ط1، 1426هـ/ 2005م.

ولقد ورد في شأن إبراهيم عليه السلام ما حكاه الله عنه في قوله: (هذا ربي)، فظاهره إن اعتقد ذلك الشرك، وإن لم يعتقده فظاهره الكذب، وهو عليه السلام ليس بهذا ولا ذاك[1]، ورد هذه الشبهة قد سبق الذكر فيها[2].

وثمة شبهة أخرى وردت في السنة النبوية في حديث الكذبات الثلاث التي يعرضها عليه السلام يوم القيامة، ويرفض الشفاعة لأجلها، ولقد أثار أعداء الإسلام هذه الشبهة كثيراً؛ ليطعنوا في شخصية الخليل عليه السلام، ولكن هيهات لهم ذلك، وقد ورد الحديث عنها في القرآن الكريم في اثنتين منها، كما أخبر الله تعالى عنه حين ترك عليه السلام الذهاب معهم إلى الأصنام فقال: ﴿ **فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ (الصافات:89) وقوله: ﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾ (الأنبياء:63) وأما الثالثة فقد وردت في السنة مع الاثنتين اللتين وردتا في القرآن الكريم، فروى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله قال:" **لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلُهُ:"إِنِّي سَقِيمٌ" وَقَوْلُهُ:" بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا" وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنْ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي فَلَا تُكَذِّبِينِي فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضُرُّكِ فَدَعَتْ اللَّهَ فَأُطْلِقَ ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضُرُّكِ فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ مَهْيَا قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ أَوْ الْفَاجِرِ فِي نَحْرِهِ وَأَخْدَمَ هَاجَرَ قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ**"[3].

إن من العلماء من جعل الكذبة الثالثة هي أيضاً في ذات الله سبحانه؛ لأن في ذلك دفع لها عن فعل الفاحشة، وإنما ذكر الثنتين في ذات الله سبحانه، لأن في الثالثة تضمنت نفعاً له وحظاً مع كونها هي في ذات الله[4].

إن صفة الكذب التي وردت في الآيتين والحديث لا تتصرف في معناها إلى الكذب المذموم فعله؛ ولو كان كذلك لنفى العصمة التي هي صفة للأنبياء، فكيف بأبي الأنبياء؟! إن ما

---

(1) انظر: مجموعة الفتاوى، 291/10، ولوامع الأنوار البهية، 304/2، والصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، طه العفيفي، ص: 140_141، الدار المصرية، القاهرة، ط1، 1414هـ/1994م.

(2) انظر: ص: 42 من نفس الرسالة.

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب واتخذ الله إبراهيم خليلا، رقم الحديث: (3358) ص: 641.

(4) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، 105/15_106.

أتى به إبراهيم عليه السلام هو من باب المعاريض " وإن فـي المعـاريض لمندوحـة[1]عـن الكذب"[2]، قال ابن قتيبة الدينوري[3]:" وجاءت الرخصة في المعاريض وقيـل: إن فيهـا عـن الكذب مندوحة، فمن المعاريض قول إبراهيم عليه السلام في امرأته إنها أختي يريد أن المؤمنين إخوة"[4]، وقد يجزى المرء على الكذب بأجر، خصوصاً إذا ما كان في طاعـة الله، قـال ابـن حزم[5]:" فليس كل كذب معصية، بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل، وفرضاً واجباً يعصي من تركه... وكل ما روي عن إبراهيم عليه السلام... فهو داخل في الصفة المحمودة، لا في الكذب الذي نهي عنه"[6].

وإنما أطلق عليها كذباً؛ لأن السامع يظهر له في هذا القول أنه من الكـذب، ولكـن إن تحقق في القول وبحث عنه علم أنه ليس من الكذب المحض، بل هو من المعاريض[7].

ولهذه الكذبات تأويل مما يدخلها في الكذب المباح، ويظهر أنها طاعة من إبراهيم عليـه السلام لربه عز وجل، مع أنه عليه السلام جعلها سبباً في تركه للشفاعة يـوم القيامـة؛ لعظـم الشفاعة، ولإشفاقه على نفسه من أن يؤاخذه الله بها؛ لأن مفهوم الظاهر خلاف البـاطن[8]، وأول هذه المعاريض كما ورد في القرآن والسنة:

1) قول الله تعالى:﴿ **فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ* فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ (الصافات:88_89) أورد العلماء في معناها الكثير، فمن المعاني: ما ذكره النووي: أن به سقم يأتي ويذهب، وأنه قد أتاه في ذاك الوقت، وقد استبعد ابن حجر ذلك لكونه لا ينصرف إلى الكذب مطلقاً، وهو كذلك فلو كـان كما قيل أن به سقم، لامتنع عن كسر الأصنام[9]. ويحتمل أن يكون معناها: مريض الـنفس

([1]) المعاريض: التورية في الكلام وعدم التصريح، ومندوحة: سعة، انظر: غريب الحديث والأثر، ابن الأثيـر، ص: 605، و907.

([2]) البخاري، كتاب الأدب، باب المعاريض مندوحة عن الكذب، ص:1195.

([3]) ابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، له من التصانيف، تأويل مختلف الحديث، وأعلام النبوة، انظر: وفيات الأعيان، 4/ 32.

([4]) تأويل مختلف الحـديث، ابـن قتيبـة، تحقيـق: محمـد عبـد الـرحيم، ص:44، دار الفكـر بيـروت، 1415هـ/1995م.

([5]) ابن حزم هو:علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، ولد: 384هـ، له من التصانيف، المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار، انظر: الأعلام، 64/5.

([6]) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم، 6/4.

([7]) انظر: فتح الباري، 474/6. ومنة المنعم شرح صحيح مسلم، صفي الـرحمن المبـاركفوري، 64/4، دار السلام، الرياض، ط1، 1420هـ/1999م.

([8]) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، 25/6.

([9]) انظر: فتح الباري، 474/6، ومنة المنعم شرح صحيح مسلم، 64/4.

والقلب من عبادتكم للأصنام، وفي هذا اعتذار منه عن الحضور معهم، وبالمعنى الأخير يكون قوله من المعاريض التي هي ليست من الكذب المحض، بل هي من المباح،[1] قال سيد قطب:" قال ذلك معبِّراً عن ضيقه وتعبه، وأفصح عنه ليتركونه وشأنه، ولم يكن هذا كذبا منه، إنّما كان له أصل في واقع حياته في ذلك اليوم، وإن الضيق ليمرض ويسقم ذويه"[2].

2) قول الله تعالى:﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾ (الأنبياء:63) إن إبراهيم عليه السلام يجيب قومه بعد أن حطم الأصنام بأن الذي حطمها الذي لم يُحَطَّم منها وهو كبير الأصنام، ويظهر للسامع أنها من الكذب، ولكن في هذه الآية معانٍ عدة ترفع الكذب الذي قد يفهمه السامع، وهذه المعاني: أن قوله عليه السلام لقومه هو من باب التوبيخ والتأنيب والتهكم لهم، فهو لم يقصد نسبة الفعل للصنم، بل أراد أن يقيم عليهم الحجة، قال الزمخشري: " هذا من معاريض الكلام، ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة[3]من علماء المعاني. والقول فيه: إن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصدُه تقريره لنفسه وإثباته لها، على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم. وهذا كما لو قال لك صاحبك، وقد كتبت كتاباً بخط رشيق، وأنت شهير بحسن الخط: أأنت كتبت هذا ؟ وصاحبك أميّ لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة[4] فاسدة، فقلت له: بل كتبته أنتّ كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك ، مع الاستهزاء به، ولا نفيه عنك وإثباته للأميّ أو المخرمش، لأن إثباته، والأمر دائر بينكما، للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر"[5].

ومعنى آخر أنه عليه السلام أراد منهم أن يبادروا من أنفسهم، ويصلوا إلى يقين أنها لا تنطق ولا تنفع ولا تضر؛ لأنها جماد، فأراد منهم عليه السلام لفت عقولهم لتنبيههم إلى فساد اعتقادهم، فمن لا يتكلم ولا ينطق لا يستحق أن يعبد. ومثل هذا لا تسميه العرب كذباً[6].

3) وأما ما ورد في الحديث بقوله عليه السلام:" **إنها أختي**" يقصد سارة زوجه، وكان سبب ما فعله الخليل عليه السلام هو إقدام الجبار على انتهاك من تكون زوجاً بسفك دم أو حبس، وأما

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، 16/7.

([2]) في ظلال القرآن، 2993/5.

([3]) الراضة: جمع رائض، وهو بمعنى من روّض وذلّل صعوبات هذا العلم، انظر: تاج العروس، 39/5، مادة روض.

([4]) خرمش العمل أو الكتاب: أفسده وهوّشه. انظر المعجم الوسيط، ص: 239.

([5]) الكشاف، 2/ 577.

([6]) انظر: تفسير القرطبي، 318/11، وتفسير ابن كثير، 203/5.

من كانت أختاً فلا يمسها الجبار بشيء من ذلك، فأراد عليه السلام أن يدفع أعظـم الـضررين بتحمل أخفهما، ولو علم الجبار أنها زوجة لهم بقتل زوجها، فلذلك قال عليه السلام: إنها أختـي، دفعاً للضرر، فقال لها عليه السلام:" **يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيـرك**"[1]. والأخوة هنا هي أخوة الإسلام والدين، ولا كذب في ذلك وقد عُلِم قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ (الحجرات: 10) وأما قوله عليه السلام: " **على وجه الأرض**" أي في تلك البلد، ومعلـوم أن لوط كان مؤمناً لكن في غير تلك البلاد[2].

قال الخازن تعقيباً على الكذبات:" فكل هذه الألفاظ صدق في نفسها، ليس فيها كذب، فإن قلت: قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله:"**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَّا ثَلَـاثَ كَذَبَاتٍ**"[3] وقال في حديث الشفاعة:" **وذكر كذباته**"[4] قلت: -الخازن- معناه أنه لم يـتكلم بكـلام صورته صورة الكذب، وإن كان حقاً في الباطن، إلا هذه الكلمات ولما كـان مفهـوم ظاهرهـا خلاف باطنها أشفق إبراهيم عليه السلام منها بمؤاخذته بها"[5].

وبهذا رفعت الشبهة وبان أن ما كان منه عليه السلام ليس سـوى معـاريض، أراد أن يخدم بها دين الله سبحانه، ولم يطعن هذا في رسالته عليه السلام، فلو كان الكذب في التبليغ فإن الأنبياء عنه معصومون، وأما إن كان في غير ذلك وحمل على المعاريض ففيـه عنـد الـسلف والخلف قولان بالعصمة أو إمكان وقوعه منهم، قال النووي:" قال المازري[6]:أما الكـذب فيمـا طريقه البلاغ عن الله تعالى، فالأنبياء معصومون منه. وأما ما لا يتعلق بالبلاغ، ففـي إمكـان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف"[7].

(1) سبق تخريجه، ص: 129 من البحث نفسه.

(2) انظر: منة المنعم شرح صحيح مسلم، المباركفوري، 4/ 64، وإبراهيم عليه السلام ودعوتـه فـي القـرآن الكريم، ص: 205.

(3) سبق تخريجه ص: 129.

(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلا فيها، رقم الحديث: (327) ص: 124.

(5) تفسير الخازن، 299/4.

(6) المازري هو: محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المـالكي، تـوفي: 536هـ، لـه مـن المصنفات المعلم بفوائد شرح مسلم، انظر: سير أعلام النبلاء، 3590/3.

(7)صحيح مسلم بشرح النووي، 15/ 105.

المطلب الثاني

وظائف الأنبياء

خلق الله الخلق ومن خَلْقِه الناس، ولم يتركهم الله هملاً في الأرض، وإنما أرسل لهم من أنفسهم رسلاً، واصطفاهم الله على الناس بالرسالة، وجعل من أهم وظائفهم تبليغ ما أمر الله بــه، وإنذار الناس من عذابه سبحانه، وتبشيرهم بمغفرته ورضوانه إن هم أطاعوه، قال تعالى:﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُــمْ يَحْزَنُــونَ** ﴾ (الأنعام:48) .

ولقد بين الله في القرآن الكريم مهمة الرسل عليهم السلام ووظائفهم، وأقتصر في حديثي عن خليل الرحمن عليه السلام، وبيان وظائفه التي هي من جملة وظائف الأنبياء عليهم الــسلام والوظائف هي:

أولاً: التبليغ والدعوة إلى الله:

الرسل حملة الدين إلى العباد، ومبلغين عن الوحي ما بلغهم منه، ومهمتهم الأولى هــي تبليغ الأمانة التي أوكلت إليهم، وتحملوها إلى عباد الله سبحانه، قال تعــالى:﴿ **الَّــذِينَ يُبَلِّغُــونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً**﴾(الأحزاب:39) وفي الآيــة أن التبليغ يحتاج معه إلى الشجاعة والقوة، والبعد عن خشية الناس وإن خالف معتقداتهم[1].

ولقد أرسل الله نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام كبقية الأنبياء، وأوحى إليــه بالرســالة، فقال جل وعلا:﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْــرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**﴾ (النساء:163) وفي الآية إخبار من الله سبحانه عن الوحي الــذي بعثــه لجميــع الأنبيــاء مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم، وبدأ بعده بأول رسول في الأرض وهو نوح عليه الــسلام، ومن ثَمّ إبراهيم عليه السلام، الذي بعث الله له جبريل بالوحي، وفي الآية تفصيل بعــد إجمــال، وفي التفصيل بيان لشرف ومكانة من ذكرهم الله تعالى في الآية[2].

وما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن بلّغ ما أُوحى الله إليه، ودعــا قومــه إلــى الله سبحانه، فإن أعظم مهمة ملقاة على عاتق الرسل عليهم السلام هي دعوة الناس إلى توحيــد الله سبحانه، واتباعهم في كل ما أمر الله به واجتناب كل ما نهى عنه، ولقد كان خليل الرحمن عليــه السلام كذلك، فهو الذي ما ترك سبيلاً للدعوة إلا سار عليها حتى أمر الله نبيه صــلى الله عليــه

([1]) انظر: الرسل والرسالات، عمر الأشقر، ص: 43.

([2]) انظر: نظم الدرر، 2/368-369.

وسلم أن يقتدي به فقال جل وعلا:﴿ **أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنعام:90).

لقد قام إبراهيم عليه السلام بوظيفة الدعوة إلى الله فدعا قومه إلى عبادة الله وحده، واجتناب ما سواه، كما سار على ذلك الأنبياء، وأخبر الله ذلك في كتابه فقال:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾ (النحل: 36).

واشتملت دعوته عليه السلام لأصناف عدة كما سبق، فكانت دعوته لأبيه، ولقومه من عبدة الأصنام وعبدة الكواكب، وما زال عليه السلام يدعوهم إلى أن هاجر من بلده إلى مكان آخر، وقد سبق التفصيل في دعوته عليه السلام[1].

ثانياً: التبشير والإنذار:

التبشير والإنذار مما يقترن دائماً في دعوة الرسل عليهم السلام لأقوامهم ، كما بيّن الله هذه الوظيفة في القرآن، بل ربما اقتصر عليها في بعض آياته فقال جل وعلا:﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾ (الكهف:56).

وكان إبراهيم عليه السلام مبشراً ومنذراً، ويتبين إنذاره عليه السلام في دعوته لأبيه حين قال له:﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً*يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً**﴾ (مريم:43- 45) وفي الآية بيان إشفاق إبراهيم عليه السلام على أبيه من النار، ووعظه له فيه إنذار له من عذاب الله سبحانه، فهو يدعوه إلى الهداية إلى الصراط المستقيم الذي فيه السعادة له في الدنيا والآخرة، ويخاف عليه من عذاب الله سبحانه فينذره كي لا يقع في سخط الله وعقابه[2].

وهاهو نبي الله وخليله عليه السلام ينذر قومه من عبدة الأصنام فيقول لهم:﴿ **وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ (العنكبوت:22) أي من يخالف أمره فالله عليه قادر، وهو فوقه قاهر، ولن يفلت من عقابه[3].

ولا ننسى أنه عليه السلام كذلك أنذر قومه من عبدة الكواكب، وخوفهم بالله سبحانه لشركهم معه في عبادة الكواكب، فقال لهم:﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأنعام:81) فهو يستغرب عليهم أنهم يخوفونه بآلهتهم ولا يخافون هم من شركهم بالله سبحانه، فهو يخوفهم

([1]) انظر: ص: 9- 10 من البحث نفسه.

([2]) انظر: تفسير القرطبي، 117/11.

([3]) انظر: تفسير الطبري، 131/10.

وينذرهم مما يقعوا فيه وهو الشرك بالله الذي هو من أعظم الذنوب[1]، ولا شك في أن فعله عليه السلام فيما سبق هو من الإنذار لقومه.

ثالثاً: تهذيب النفوس:

بيّن القرآن الكريم وظيفة مهمة من وظائف الرسل، ألا وهي تزكية النفوس وتطهيرها من كل ما هو شر، ولقد كان خليل الرحمن عليه السلام أمةً في الخير، داعياً لقومه نحو تهذيب نفوسهم بنبذ عبادة الأصنام والتوجه إلى عبادة فاطر السماوات والأرض، بل إنه طلب من الله أن يكون من ذريته من يطهّر النفوس، ويقربها من الواحد الأحد، فقال تعالى على لسانه: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ** ﴾ (البقرة:129) وقد استجاب الله دعاء نبيه وخليله عليه السلام فبعث من ذريته مَنْ هو مطهر النفوس ومهذبها نحو السبيل الأقوم، ألا وهو نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: إقامة الحجة والبرهان:

أرسل الله رسله إلى الناس حتى يقيم عليهم الحجة، فلا أحد يكون له العذر أمام الله إن حاسبه يوم القيامة، قال جل جلاله:﴿ **رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ (النساء:165).

وصف الله نبيه إبراهيم عليه السلام بأنه صاحب حجة قوية ومقنعة، وهذه الحجة هي فضل من الله سبحانه آتاه خليله عليه السلام، فقد أقام عليه السلام الحجة على قومه من الصنفين عبدة الأصنام وعبدة الكواكب، فأما عبدة الأصنام فسألهم مستنكراً عن عبادتهم لأصنام لا تنفع ولا تضر، فلم يردوا عليه بنفي أو إثبات، ولما حطمها وسألهم عن نطقها سكتوا وسقط في أيديهم، وفي هذا إقامة الحجة عليهم وإقناعهم بأن سبيلهم باطل، قال تعالى:﴿ **قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ* فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ* ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ* قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ* أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ (الأنبياء: 62-67) وأما عبدة الكواكب، فرد عليهم بأن ما تعبدونه من الكواكب يغيب، وكيف بإله يغيب ويأتي، وبهذا أقام عليهم الحجة قال تعالى:﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ (الأنعام:83)[2].

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 174/3، و 204/5.

(2) انظر: الرسل والرسالات، عمر الأشقر، ص: 43-52.

المطلب الثالث

المعجزة

المعجزة دليل من الله سبحانه يقرنها بأنبيائه، لتكون دليلاً على نبوتهم، وتقيم الحجة على الأقوام التي بعث الله أنبياءه إليهم، وقد ذكر الله لنا خبر الأمم السابقة والبينات التي أتتهم وردّ هذه البينات في وجوه أنبيائهم وظلمهم لأنفسهم، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ (التوبة: 70) والبينات في الآية المعجزات الواضحات[1].

أولاً: تعريف المعجزة:

المعجزة في اللغة: إثبات العجز، يقول الراغب: "اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة"[2].

المعجزة اصطلاحاً: هي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارض، والتعريف يفيد: معنى تأييد الله عز وجل لمن ادعى النبوة، بأمر ما سواء قول أو فعل أو ترك، ويكون مخالف للعادة، موافق لدعوى النبي، مقرون بالتحدي[3].

ثانيا: معجزة إبراهيم عليه السلام:

أيد الله خليله عليه السلام بآية رآها قومه، وهي إلقاؤه في النار، وما كان هذا إلا ابتلاء له عليه السلام، وذلك لأنه حطّم الأصنام التي كان يعبدها قومه، فأشعلوا له نارا ورموه فيها، فأمر الله النار ألا تصيبه بأذى، قال تعالى:﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**﴾(الأنبياء:68_70) وقد وردت قصة محاولة إحراق إبراهيم عليه السلام في القرآن مجملة، ولم تبين السنة النبوية تفاصيل الحرق، وقد ورد فيها من الاسرائيليات الكثير[4].

ذكر ابن كثير في تفسيره لمعنى الآية﴿ **حرقوه وانصروا آلهتكم**﴾ فقال:" لما دحضت حجتهم، وبان عجزهم، وظهر الحق واندفع الباطل، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم، فقالوا: ﴿ **حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ**﴾ فجمعوا حطباً كثيراً جداً، قال السدي: حتى إن

---

(1) انظر: نظم الدرر، 356/3-357.

(2) المفردات، ص: 322.

(3) انظر: تفسير آيات العقيدة، عبد العزيز حاجي، 307/1، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م.

(4) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، ص:113.

كانت المرأة تمرض فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطباً لحريق إبراهيم، ثم جعلوه في جوبَة[1] من الأرض، وأضرموها ناراً، فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع لم توقد نار مثلها قط، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد... اسمه هيزن، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، فلما ألقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل، كما رواه البخاري عن ابن عباس: "**حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا:﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾** (آل عمران: 173) [2] ... وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما من الله فبلى... وقال كعب الأحبار: لم ينتفع أحد يومئذ بنار، ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه"[3].

لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الوزغ[4]، وهو الحيوان الوحيد الذي لم يطفئ النار عن إبراهيم عليه السلام، بينما كل الدواب سعت لإطفاء النار عنه عليه السلام، وقد ورد هذا في السنة النبوية من حديث أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ وَقَالَ كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام**[5].

لقد ظهر من معجزة إبراهيم عليه السلام دروساً يتعلمها الدعاة إلى الله، ومنها الثبات على الحق عند اصطدام الإيمان بالكفر، ولا شك أن الاصطدام حاصل في كل عصر من العصور، وإن كان يختلف شكله وصورته، وفي لجوء إبراهيم عليه السلام لربه، بيان أهمية لجوء الداعية في حال قوة ظلم الطاغية إلى الله سبحانه ليعتز به، وكان عليه السلام مثالاً رائعاً في لجوئه إلى الله حين أتاه جبريل فرد عليه أما لك فلا وأما لله فبلى.

وظهرت في هذه المعجزة قدرة الله الباهرة بأن غيّر حال النار وأسلبها صفتها وهي الإحراق، وجعلها لا تحرق إلا بإذنه سبحانه، وما كان هذا إلا من عظيم وجليل قدرته سبحانه؛ كرامةً لعباده وخاصة أنبياءه عليهم السلام، وفي هذا بيان أن مقاييس البشر محدودة ومقصورة، بينما قدرة الله ترجع إلى كُونِي (برداً وسلاماً)، وكَوْنِي نشأت بها أكوان، وخلق بها عوالم[6].

([1]) جوبة: حفرة واسعة مستديرة، انظر: المعجم الوسيط، ص: 150.

([2]) البخاري، كتاب التفسير، باب "إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فاخْشَوْهُم"، رقم الحديث: (4563) ص: 865.

([3]) تفسير ابن كثير، 204/5_205.

([4]) الوزغ: سام أبرص وجمعه أوزاغ، انظر: لسان العرب، 288/15.

([5]) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: واتخذ الله إبراهيم خليلا، رقم: (3109) وانظر فتح الباري، 6/ 479.

([6]) انظر: إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، ص: 122_ 123.

ويذكر البعض أن من المعجزات التي حصلت مع إبراهيم عليه السلام، كيفية إحياء الموتى بين يديه عليه السلام، حين طلب من الله سبحانه أن يريه كيف يحيي الموتى، فأمره الله جل وعلا أن يذبح أربعة طيور ويقطعها ويفرقها على جبال عدة، ويدعوها بعد ذلك، فبإذن من الله تستجيب، وفعلا التحمت وعادت كما كانت من قبل، ودبت فيها الحياة، وعادت تسرح في الفضاء، وقد أخبرنا الله ذلك في كتابه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (البقرة:260)

يتضح مما سبق أن معجزة الطيور هي معجزة لنبي الله إبراهيم عليه السلام لذاته، بينما معجزة النار هي معجزة لقومه وذلك لإقامة الحجة عليهم وبيان الباطل الذي هم عليه، كون معجزة النار مقرونة بالتحدي، مثبتة لصدق نبوة النبي عليه السلام.

المطلب الرابع

مقر الأنبياء في السماء

ذكرت السنة النبوية أن بعض الأنبياء مقرهم في السماء، ومن هؤلاء نبـي الله إبـراهيم عليه السلام، وقد أخبر عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد إلـى الـسماء فـي حادثة الإسراء والمعراج، ورؤيته صلى الله عليه وسلم لأشياء في رحلته.

ولأن الحديث عن إبراهيم عليه السلام، كان لا بد من البحث عن حاله بعد مماتـه عليـه السلام، وهو ما أخبرنا عنه صلى الله عليه وسلم فيما رآه من حادثة المعراج حين أعرج به إلى السماوات العلا، فكان مما رأى صلى الله عليه وسلم وأخبرنا به ما رواه البخاري، مـن حـديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ **يَقُولُ:" لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَـةِ... ثُـمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ مَنْ هَذَا فَقَالَ جِبْرِيلُ قَالُوا وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مَعِيَ مُحَمَّدٌ قَالَ وَقَدْ بُعِثَ قَالَ نَعَمْ قَالُوا فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ فَقَـالَ لَهُ جِبْرِيلُ هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي نِعْمَ الِابْنُ أَنْتَ فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ فَقَالَ مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا النِّيـلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُـؤٍ وَزَبَرْجَـدٍ فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ قَالَ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَتْ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الْأُولَى مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَالُوا وَمَـنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالُوا مَرْحَبًا بِـهِ وَأَهْلًـا ثُـمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ ثُمَّ عَرَجَ بِـهِ إِلَـى الرَّابِعَـةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَـى الـسَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَـا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ فَأَوْعَيْتُ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ لَـمْ أَحْفَظْ اسْمَهُ وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ..."**[1].

وفي رواية عند البخاري أيضا تحكي أن إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة، مـن حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ:" **بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ ... فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قِيلَ مَـنْ هَـذَا قَـالَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَـاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ قِيلَ مَـنْ هَـذَا**

([1]) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: " وكلم الله موسى تكليما"، رقم الحديث: (7517) ص: 1433.

قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالَا مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قِيلَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ... فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ..." (1).

لقد أثبت الحديث الشريف أن بعض الأنبياء عليهم السلام في السماوات العلا، وأن الله شرف بعضهم على بعض في الرفعة بالنسبة للسماوات، وإبراهيم عليه السلام ممن رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السماوات، والروايتان تختلفان في مكان الخليل عليه السلام، فالرواية الأولى تخبر أنه في السماء السادسة، وأن موسى عليه السلام في السابعة تكريماً له؛ لأنه كليم الله، وفي الرواية الثانية فإن الخبر أتى ليبين أن الخليل عليه السلام في السماء السابعة على غير ما في الرواية الأولى، ولقد أجاب النووي عن ذلك إن كان الإسراء مرتين فإن النبي صلى الله عليه وسلم يكون رآه في كل مرة غير الثانية، وإن كان الإسراء مرة واحدة فإنه يكون رآه في السماء السادسة ولعل الله رفعه إلى السابعة، وفي الحديث لفتة جميلة وهو قول إبراهيم عليه السلام لنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، مرحباً بالابن الصالح، يؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذريته عليه السلام(2)، ويرجح ابن حجر أن إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة وأنه كان عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وجمع ابن حجر بين الروايتين المختلفتين، بأنّ موسى عليه السلام كان في السادسة فصعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السابعة؛ لأفضليته بكلام الله سبحانه، ولمناسبته الحديث عن فرض الصلوات في

---

(1) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث: (3207) ص: 616.

(2) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات، 178/2.

المعراج والتخفيف الذي أراده موسى عليه السلام، وأما إبراهيم عليه الـسلام فقـد كـان فـي السابعة[1].

وإذا ما قورنت الروايات والأقوال السابقة مع الحديث الذي يحمل في طيه معنى أن فـي السماء السابعة البيت المعمور، والذي يطوف حوله سبعون ألف ملك في كـل يـوم، والحـديث الآخر الذي يذكر أن إبراهيم عليه السلام كان مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، فهـذا يؤكـد أن الخليل عليه السلام هو في السماء السابعة.

مما سبق يعلم أن أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في السموات، وقد حـدد بـنص الحديث مكان بعض الأنبياء، وهذا من الخبر الذي أنبأه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فـي رحلته بالمعراج إلى السماوات، وبيان مكانة إبراهيم عليه السلام حيث السماء السابعة عند البيت المعمور وهي أعلى السماوات وأرفعها مكانة لقربها من سدرة المنتهى.

---

(1) انظر: فتح الباري، 13/588_590.

الفصل الثالث

دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات اليوم الآخر والقضاء والقدر

المبحث الأول

دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات اليوم الآخر

المبحث الثاني

دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات القضاء والقدر.

المبحث الأول

دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات اليوم الآخر

المطلب الأول: وجوب الإيمان باليوم الآخر

المطلب الثاني: إثبات البعث

المطلب الثالث: بعض أحوال يوم القيامة

المطلب الرابع: الشفاعة

المطلب الخامس: الجنة دار المؤمنين

المطلب الأول

وجوب الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الناس للحساب والجزاء، وسمي بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، فيكون مآل الناس إما إلى جنة وإما إلى نار.

ولقد اهتم القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر في كثير من مواضعه، فلا تكاد تخلو صفحة من كتاب الله إلا وذكر فيه اليوم الآخر من قريب أو بعيد، بل إنه نبّه إليه في كل مناسبة، ولأهمية هذا اليوم ارتبط ذِكْره في القرآن الكريم بالإيمان بالله سبحانه في كثير من آياته، قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (البقرة:62) وقال أيضا:﴿ **ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ (البقرة:232).

وتعظم أهمية اليوم الآخر من تعدد أسماء هذا اليوم في القرآن الكريم، والتي منها، القيامة، والساعة، ويوم الحساب، ويوم الفتح، والواقعة، وغيرها الكثير، والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بالله تعالى؛ لأن الله سبحانه قد أخبر في كتابه عن هذا اليوم وحقيقته، وبيان الحياة الثانية بعد الموت، وما فيها من حساب وجزاء، والقضاء بالقسط بين عباده، فأظهر لنا في كتابه ما أعده جل وعلا لعباده المؤمنين من نعيم، وما توعد به الكافرين من عذاب مهين[1].

ولذا فإن المنكر ليوم القيامة جعله الله كافراً، وبعيدًا عن الهداية، قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً** ﴾ (النساء:136).

أولاً: تعريف الإيمان باليوم الآخر:

هو الاعتقاد الجازم بكل ما أخبر الله عنه في كتابه، أو أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، عن ما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه ونعيمه، وبعث الناس من قبورهم، وحشرهم، والعرض وتطاير الصحف، والحساب والميزان والحوض والشفاعة، والصراط، نهاية بدخول الناس إما إلى الجنة وإما إلى النار[2].

([1]) انظر: الإيمان، محمد ياسين، ص:70-71، والعقائد الإسلامية وأسسها، الميداني، ص: 626.

([2]) انظر: الإيمان، محمد ياسين، ص: 70.

ثانياً: أدلة وجوب الإيمان باليوم الآخر من قصة إبراهيم عليه السلام:

قد سبق ذكر أهمية اليوم الآخر، وبيان وجوب الإيمان باليوم الآخر وذلك لكثرة الأدلة التي وردت في القرآن والسنة والتي أظهرت أهمية هذا الركن ووجوب الاعتقاد به.

وهناك من الأدلة عن اليوم الآخر في معرض قصة إبراهيم عليه السلام، تؤكد على وجوب الإيمان باليوم الآخر، وذلك حينما دعا عليه السلام في بيت الله الحرام فقال تعالى عنه:﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (البقرة:126) ففي الآية دعاء من إبراهيم عليه السلام لأهل بيت الله الحرام، بأن يرزقهم الله من الثمرات، وخص إبراهيم عليه السلام من يؤمن بالبعث بعد الموت، ولكن الله أعلمه أن الرزق يعم المؤمن والكافر، ولكن هو للكافر متاع سرعان ما ينقضي حتى ينتهي به مصيره إلى النار[1]، وبهذا يستدل من الآية على أن الإيمان باليوم الآخر ذو أهمية كونه اقترن بالإيمان بالله سبحانه، وأنه كان من دعاء الخليل عليه السلام، وشرط اشترطه وإن لم يتحقق له ذلك؛ لأن الرزق بابه واسع.

ومن دعائه عليه السلام طلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين يوم القيامة، يقول تعالى:﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** ﴾ (إبراهيم:41) والآية تتضمن إثبات ليوم القيامة وهو اليوم الذي يحاسب الله فيه الناس وفيه يظهر الحق على أتم وجه، وأنفع المغفرة تكون يومئذ[2].

([1]) انظر: معالم التنزيل، البغوي، 95/1.

([2]) انظر: نظم الدرر، 4/ 194، والقيامة الكبرى، عمر الأشقر، ص: 88_89، دار النفائس، الأردن، ط13، 1423هـ/2002م.

المطلب الثاني

إثبات البعث

مما لا ريب فيه أن الله خلق الخلق لعبادته سبحانه، وأنه تبارك وتعالى لم يخلقهم عبثـــاً، بل اقتضت حكمته وعدله أن لا يترك عباده هملاً، فأقام عليهم الحجة في الدنيا ببعــث الرســل، وجعل لهم يوماً لحسابهم ومجازاتهم كلٌ حسب عمله، فيبعث من في القبور؛ للعــرض علـــى الله ونيل الجزاء، قال تعالى:﴿ **وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَـــةٌ لَّـــا رَيْـــبَ فِيهَـــا وَأَنَّ اللَّـــهَ يَبْعَـــثُ مَـــن فِـــي الْقُبُورِ**﴾(الحج:7).

أولاً: تعريف البعث

البعث لغة: الإثارة والتحريك والإرسال والإخراج وإحياء الله الموتى. وبعث الموتى: أي نشرهم يوم القيامة بعد موتهم[1].

البعث اصطلاحاً: هو إحياء الناس من موتهم وإخراجهم من قبورهم أحياء بأجسادهم وأرواحهـــم للعرض والحساب في يوم المعاد[2].

ثانياً: إبراهيم عليه السلام وإثبات البعث:

ورد في القرآن الكريم أدلة كثيرة تثبت البعث، وإن من شبهات منكري البعث استبعادهم إحياء الأموات بعد أن تصبح رميماً، ولقد كان لنبي الله إبراهيم عليه السلام، سؤالاً طلبه من الله وذلك بأن يريه كيف يحيي الموتى، وذلك ليس شكاً في قدرة الله سبحانه، لاسيما وهـــو أعـــرف الناس بالله، كيف لا وهو الذي أثبت الإحياء والإماتة لله في حواره مع النمرود كما سبق ذكـــره، وقد أخبرنا القرآن عن ذلك فقال تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـــي الْمَوْتَى قَـــالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـــكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَـــى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (البقـرة:260) وفي الآية بيان لإثبات البعث، وذلك من إحياء الطيور الأربعة للخليل عليه السلام، فأراه الله ذلك حين أمره أن يجمع أربعة طيور مختلفة، ويقطعها ويخلطها ثم يفرقها على أربعة جبال، يضع علـــى كـــل جبل جزء منها، ثم أمره الله تعالى أن يطلبها بأن تعود إليه، فدعاهن فكان أن عدن إليـــه وهـــو يرى اجتماع الريش إلى الريش واللحم إلى اللحم والدم إلى الدم، وأتينه يمشين سعياً[3].

([1]) انظر: لسان العرب، 438/1.

([2]) انظر: القيامة الكبرى، عمر الأشقر، ص، 51.

([3]) انظر: تفسير ابن كثير، 367/1.

فيما سبق إثبات للإحياء والذي هو أساس شبهة منكري البعث، إذ هم لا يتصورون كيف تعود الحياة إلى الأجساد الميتة، وما فعله إبراهيم عليه السلام هو من المعاينة التي حصلت لــه، وفي ذلك دليل لمن أنكر البعث، بأن ما حصل مع إبراهيم عليه السلام ليس إلا دلــيلاً مــشاهداً، وأن يوم القيامة تعاد الأجساد كل جزء إلى مُشاكله حتى تتألف الأبدان وتتــصل الأرواح، كمــا طار كل جزء من الطير إلى مشاكله أمام إبراهيم عليه السلام، وليس في ذلك أدنى ريب[1].

إن إبراهيم عليه السلام لم يَأْلُ جهداً في إقناع قومه حينما دعاهم إلى عبادة الله، وكــان مما لفت انتباههم في دعوته عليه السلام، أن دعاهم للتفكر في خلق الله سبحانه، وأنه جل وعــلا لم يترك الناس هملاً، بل إنه سبحانه سيبعثهم للحساب، وقد استدل على إعــادة الخلــق بالنــشأة الأولى والدعوة إلى السير في الأرض والتفكر في كيفية بدء الخَلْق للخلائق، قال تعــالى مبينــاً دعوته عليه السلام:﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَــسِيرٌ* قُــلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَــيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (العنكبوت:19_20) إن الآيتين جاءتا في خطاب الخليل عليه السلام فــي دعوتــه لقومــه، ومجادلته لهم في عبادتهم للأوثان من دون الله، ولفت أنظارهم وأنظار الجاحدين إلى كيفية خَلْق الله تعالى في الكون، كيف ابتدأ؟ وكيف سينتهي؟ وما هو مآله بعد الفناء؟ فكان الرد أن الذي بدأ الخلق أول مرة قادر على الإعادة في المرة الثانية والبدء والإعادة عند الله يسير، ثم كانت دعوة الله لهم إلى السير في الأرض والنظر بتمعن كيف بدأ الخلق على كثــرتهم واخــتلاف هيــآتهم، وألسنتهم وألوانهم، وكيف سيعيدهم فهذا كله من كمال قدرته جل وعلا[2]، وهذا فيه دليل علــى إثبات البعث بعد الموت، ورد على منكري البعث، بأن الذي خلق أول مرة أسهل عليه أن يعيــد الثانية، والله عز وجل ليس عليه صعب بل هو القادر على إنشاء جميع خلقه بعد فنــائهم، كمــا كانوا من قبل، فلا يعجزه جل وعلا أي شيء إذا أراده؛ لأنه على كل شيء قدير[3].

ومن أدلة إثبات البعث، إثبات إبراهيم عليه السلام لله سبحانه صفة الإحيــاء والإماتــة، وذلك لما تبرأ عليه السلام من عبادة قومه، فذكر صفات لله سبحانه غفل عنها قومه، كما حكــى الله ذلك عنه فقال:﴿ **قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّــي إِلَّــا رَبَّ الْعَالَمِينَ* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِــي وَيَــسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْــتُ فَهُــوَ يَشْفِينِ* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾(الشعراء:75_82)

([1]) انظر: تفسير الرازي، 40/7.

([2]) انظر: دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن والكون، عبد الله التليدي، ص: 242.

([3]) انظر: تفسير الطبري، 130/10.

ففي قوله عليه السلام والذي يميتني ثم يحيين دليل على البعث إلى جانب ذكره ليوم الدين وهـو اليوم الآخر، وهذا دليل آخر على البعث[1].

وقد اشتملت صحف إبراهيم عليه السلام عن تحقيق النشأة الآخرة فقال تعالى:﴿ **أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ* وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ* أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ* وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ* ثُمَّ يُجْزَاهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلأَوْفَىٰ * وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ* وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ* وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلأُخْرَىٰ**﴾ (النجم:36_47) ففي الآيات بيان حال الإنسان بعد موته، وكيف يكون في المعاد، وهذا من الأدلة على إثبات البعث، والذي خلق أول مرة قادر على الإعادة في المرة الثانية أي يوم القيامة، فهو الذي عليه النشأة الأخرى[2]، وكذلك له النهاية كما قال:﴿ **وأن إلى ربك المنتهى**﴾ والمنتهى:" مصدر من الانتهاء، أي: ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه"[3].

فمما سبق ثبت البعث من خلال الآيات التي أوضحت بعضاً من أدلة البعث مع ما ورد مع إبراهيم عليه السلام، وهذا يؤكد بعث الناس من قبورهم وحشرهم إلى الله عز وجل، بل إن العدل كله في مجازاة الخلائق كل حسب عمله إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر.

([1]) انظر: فتح القدير، الشوكاني، 122/4.

([2]) انظر: تفسير ابن كثير، 310/7.

([3]) الكشاف، الزمخشري، 34/4.

المطلب الثالث

بعض أحوال يوم القيامة

لا شك أن يوم القيامة من أيام الله سبحانه، بل إنه من أعظم وأصعب الأيام على النـــاس وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من أحوال الناس يوم القيامة، و ما يصير إليه حالهم، من شدة وكرب ومكابدة لأهوال عظام، وشخوص للأبصار، وفي هذا اليوم يقضى الله بالحق بين الخلائق جميعهم.

أولاً: وصف أحوال يوم القيامة في قصة إبراهيم عليه السلام:

ورد في قصة إبراهيم عليه السلام بعضٌ من أحوال يوم القيامة، لا سيما الأحداث التـــي تحصل في العرض أمام الله، وقد ورد هذا في القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد ورد في القرآن الكريم تصوير لبعض من أحداث يوم القيامة عقب الحديث عن قصة إبراهيم عليه السلام، فـــي دعوته لقومه وإثباته لهم صفات الجلال والكمال لله سبحانه، ودعائه عليه السلام لربه كمـــا ورد ذلك في سورة الشعراء، قال تعالى:﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَـــلِيمٍ* وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ* وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ* وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ* مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ* فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ* وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ* قَالُوا وَهُـــمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ* تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ* وَمَـــا أَضَـــلَّنَا إِلَّـــا الْمُجْرِمُونَ* فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ* فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِـــنَ الْمُـــؤْمِنِينَ**﴾ (الشعراء:88_102) ففي الآيات بيان لوصف الجنة يوم القيامة، وبأنها تعد للمتقين الذين خـــافوا الله في كل أحوالهم، وعملوا اتقاء هذا اليوم، فأطاعوا الله في كل ما أمر؛ كي ينجوا من عقابه فـــي الآخرة، وكذا الجحيم تظهر للذين زاغوا عن السبيل، وضلوا عن الصراط المـــستقيم، وخوطـــب الغاوون في ذلك الموقف العصيب، وقيل لهم: أين الأنداد الذين كنتم تعبدونهم من دون الله؟ فهل ينقذونكم من النار، أو يستطيعون إنقاذ أنفسهم؟! ثم تبين الآيات مشهداً يراه الجميع، وهو كيـــف يقذف في النار الآلهة وعابديها والغاوون وهم الشياطين، فيُكَبْكَبوا فيها منْكَبّين على وجوههم ،لا ينفعهم أحد ولا يشفع لهم شافع، ويتمنوا يومئذ أن لو كان لهم رجعة حتـــى يـــصيروا مـــؤمنين، ولكن هيهات لهم ذلك[1]، فهذه صور مما سيقع يوم القيامة على رؤوس الخلائق، ذكرها القـــرآن الكريم في معرض الحديث عن يوم القيامة.

---

(1) انظر: تفسير الطبري، 454/9_ 455.

ثانياً: الخليل عليه السلام هو أول من يكسى يوم الحشر:

يحشر الله عباده يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، ثم يكسو الله عبــاده، فــالمؤمنون يُكْــسَون بالثياب الحسنة، وأما المجرمون فيلبسون ثياباً من قطران، وملابس منتنة ومنكرة.

وأول من يكسى يوم القيامة، الخليل عليه السلام، وبهذا أخبر الرسول الله صلى الله عليــه وسلم، وذلك في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَــالَ:" إِنَّكُــمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّــا كُنَّــا فَــاعِلِينَ﴾ وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ...**"[1] وفي حديث آخر عن ابن عبــاس رضـــي الله عنهمــا أيضا:" وإ**ن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم** "[2] وفي حديث ثالث مثله، وفيه زيادة وهي:" **وأول من يكسى من الجنة إبراهيم، يكسى بحلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطــرح عــن يمــين العرش، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر...**"[3] والحكمــة فــي خــصوصية إبراهيم بذلك لكونه ألقي في النار عرياناً، وقيل : لأنه أول من لبس السراويل، وقيل أنه ليس فــي الأولين والآخرين أخوف لله منه، فكانت الكسوة أماناً له ليطمئن قلبه[4]، وأي أمر مما سبق كــان، فهذا بيان لاصطفاء الله عز وجل لخليله بأن يكسيه يوم العرض، في أرض المحــشر يــوم تقــف الأشهاد على ربها، وهو أول من يكسى في يوم الموقف العصيب من الخلائق.

ثالثاً: وصف الحال التي يكون عليها والد إبراهيم يوم القيامة

ومن الأحوال التي تقع يوم القيامة، وخصوصاً مع الخليل عليه السلام، هو مــسخ أبيــه إلى ذيخ متلطخ[5] بعد أن يطلب الخليل عليه السلام من الله الشفاعة لأبيه؛ ولكي ينزع الله الشفقة من إبراهيم عليه السلام لأبيه، ويمسخ الله أباه إلى ذيخ متلطخ، ويتبين ذلك مــن حــديث أبــي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَــةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ[6] وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَــا أَعْصِيكَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْــزَى مِــنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟! فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَــا تَحْــتَ**

([1]) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله:" واتخذ الله إبراهيم خليلاً"، رقم الحــديث: (3349) ص: 640.

([2]) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم الحديث: (6526) ص: 1250. و فــتح البــاري، 11/ 448.

([3]) انظر: فتح الباري، 11/ 450.

([4]) انظر: فتح الباري، 450/11.

([5]) الذيخ: ذكر الضباع الكثير الشعر، ومتلطخ أي يتلطخ بالطين ويتمرغ فيه، انظر: لسان العرب، 5/ 73.

([6]) قترة: غبرة يعلوها السواد كالدخان، انظر: لسان العرب، 30/11.

رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ."[1] والحديث دال على حال أبي إبراهيم عليه السلام يوم القيامة في العرض على الله سبحانه، والحال التي وصف بها أبـــوه علو القترة والغبرة على وجه أبيه، وتذكير إبراهيم عليه السلام له بمعصيته وكفره فـــي الـــدنيا، فيعترف والده بأنه كان على خطأ فيريد أن يرجع عن معصيته وكفره، وهنا تتملك الشفقة قلـــب الخليل عليه السلام، فيطلب من الله سبحانه الشفاعة له، فيبين الله أن الشفاعة لا تحق له، وهنـــا يمسخ على هيئة تنفر منها النفوس، فيلتفت إبراهيم عليه السلام فيجده على الصورة التي ذكـــرت في الحديث، ثم يراه يؤخذ إلى النار، وهذا حال من أحوال ما يحصل مع الكفار يوم القيامة.

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: واتخذ الله إبراهيم خليلا، رقم الحديث: (3350) ص: 640.

المطلب الرابع

الشفاعة

حينما تنتهي الحياة الدنيا، ويقضي الله بالبعث يوم القيامة، ويجمع الناس ليوم الحساب، ويحشرهم جميعاً إليه، فإن ما في يوم القيامة من أهوال تجعل الناس كالسكارى، وتضع كل ذات حمل حملها؛ لهول المطلع، وشدة الفزع، فحينئذ يلجأ الناس إلى الوسطاء بينهم وبين الله فيسعون إلى أعظم البشر وهم الرسل، كي يشفعوا لهم عند ربهم، لعل الله أن يسعهم برحمته، وأن يخفف من هول القيامة عليهم؛ لأنه جل وعلا يغضب في ذلك اليوم غضباً لم يغضب مثله قبله، وحال الناس يدعو إلى السعي لنيل الرحمة وذلك بطلب الشفاعة.

والشفاعة ثابتة بالقرآن والسنة، ففي القرآن الكريم إثبات للشفاعة المطلقة ولكن بإذن الله سبحانه، قال تعالى:﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ (البقرة: 255) وقال أيضا:﴿ **وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (الزخرف:86) وأما في السنة فعن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ:" **إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا**[1] **كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ اشْفَعْ يَا فُلَانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ**"[2].

أولاً: تعريف الشفاعة:

الشفاعة لغة: من الشفع وهو ضد الوتر، وهو الطلب أو التوسّط لإزالة أو تخفيف العقوبة أو رفعها، والشفع: أن تجعل الشيء اثنين، وكأنه مشتق من أن الشافع يضم شفاعته مع سؤال المشفوع له؛ حتى تقبل هذه الشفاعة [3].

وأما الشفاعة اصطلاحاً: سؤال الخير للغير أو " سؤال الله الخير للناس في الآخرة، فهي نوع من أنواع الدعاء المستجاب"[4]، أو السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه[5].

([1]) جثا: الجلوس على الركبتين للخصومة، انظر: لسان العرب، 180/2.

([2]) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا"، رقم الحديث: 4718، ص: 908، وانظر: تفسير آيات العقيدة، 379/2_380.

([3]) انظر: لسان العرب، 150/7_151، وشرح العقيدة الواسطية، محمد خليل الهراس، خرج أحاديثه علوي السقاف، دار الهجرة، الرياض، ط3، 1415هـ/ 1995م، ص: 215.

([4]) انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص: 273، دار الفكر، بيروت، 1419هـ/ 1998م.

([5]) انظر: التعريفات، ص: 211.

ثانياً: شفاعة الرسل يوم القيامة

إذا اشتد البلاء، وطال القيام يوم العرض على الله، فإن الناس تلجأ في ذلك اليوم العصيب إلى الرسل؛ كي يكونوا وسطاء بينهم وبين الله، فيشفعون لهم عند الله، فيأتون آدم عليه السلام ويذكرونه بفضله عند الله، ولكنه عليه السلام يرفض، فيأتون نوح ويذكرونه بفضله فيأبى ويعتذر، فيأتون كل نبي مثل ذلك، ويأتون إلى خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، فيقوم مقاما يحمده الأولون والآخرون، ويستأذن على الله سبحانه، ويسجد تحت قوائم العرش، ويحمد الله بمحامد لم يذكرها قبل قط، فيستجيب الله له ويعطيه الشفاعة، وقد ورد ذلك في الحديث المشهور بحديث الشفاعة، فعن أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَمَا تَرَى النَّاسَ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكَ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يُقَالُ لِي ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ قُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنْ الْخَيْرِ ذَرَّةً**"[1]. ففي الحديث بيان حال الناس الذي يدعوهم للالتجاء إلى الرسل ليشفعوا لهم عند ربهم من شدة الهول، وفيه أيضاً إثبات للشفاعة الأولى، والتي تطلب الشفاعة من الرسل فيها،

([1]) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:" لما خلقت بيدي"، رقم الحديث: (7410) ص: 1411.

وأن إبراهيم عليه السلام ممن يشهد له الناس بخلته، غير أنه عليه السلام يرفض الشفاعة؛ لتذكره خطيئاته أي الكذبات[1]، وكذلك وقوع الشفاعة العظمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

لا يمنع ما سبق وقوع شفاعة الأنبياء، بل إن للأنبياء شفاعة ولغيرهم كالعلماء والشهداء، ولقد "اتفقت الأمة على ثبوت الشفاعة للأنبياء وسائر الأخيار من العلماء الأبرار"[3]. وخصوصاً إذا ما شفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته في الكبائر، ممن يدخل النار فتكون الشفاعة سبباً في خروجهم منها، وهذه الشفاعة ليست خاصة به صلى الله عليه وسلم، بل يشاركه فيها الملائكة، والأنبياء، والصالحون من المؤمنين كالشهداء، وربما يشهد للإنسان عمله، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم له النصيب الأكبر في الشفاعة[4].

ثالثاً: شفاعة إبراهيم عليه السلام لأبيه يوم القيامة.

إن الشفاعة في أهل الذنوب ليست خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، بل عامة فيمن يأذن الله له أن يشفع، ومعلوم أن الشفاعة تقع بشرط أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، وأما ما لم يأذن الله له فلا شفاعة له، فشرط الشفاعة أن يأذن الله ويرضى عن الشافع والمشفوع، كما في قوله:﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ (الأنبياء: 28).

وتذكر الأحاديث أن الشفاعة لا تكون لمن لا يستحق، كما ذكرت السنة النبوية، في معرض طلب إبراهيم عليه السلام الشفاعة لأبيه يوم القيامة، فالله عز وجل لم يقبل شفاعة خليله عليه السلام؛ لأن والده لا يستحق الشفاعة لموته على الكفر، ويظهر هذا في الحديث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَيَقُولُ اللَّهُ إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ**" [5].

---

(1) سبق الحديث عنها وأنها من باب المعاريض، انظر: ص: 130_131 من البحث نفسه.

(2) انظر: فتح الباري، 517/11، والقيامة الكبرى، الأشقر، ص: 184.

(3) خير القلائد في شرح جواهر العقائد، عثمان العرياني، ص: 191، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

(4) انظر شرح العقيدة الطحاوية، ص: 233 وانظر: القيامة الكبرى، ص: 190.

(5) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ولا تخزني يوم يبعثون، رقم الحديث: (4768) ص: 929، وانظر مشكاة المصابيح، 58/3.

المطلب الخامس

الجنة دار المؤمنين

الجنة دار الجزاء العظيم، أعدها الله لأوليائه المتقين، ولعباده المؤمنين، وجعلها موعدهم في الآخرة، ومقر سعادتهم فيها، قال تعالى:﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ (هود:108) ففيها النعيم المقيم، والعطاء المستديم، والرضا من الرحمن الرحيم، ليس فيها تعب ولا نصب، وفيها من الوصف ما يحار العقل أمامه، أخبر عن وصفها الخالق العظيم، كما في الحديث القدسي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾(السجدة: 17)"[1].

والحديث عن الجنة بالأدلة من القرآن والسنة، يتعلق في البحث عن الخليل عليه السلام، والشاهد عليه مما ورد في الأدلة بما يناسب الحديث عنه عليه السلام وما ارتبط به.

أولاً: دعاء إبراهيم عليه السلام بدخول الجنة

ورد الحديث عن الجنة في دعاء إبراهيم عليه السلام حين دعا قومه إلى عبادة الله وحده وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام، بعد أن بيّن لهم عجزها وضعفها وهوانها، وأظهر لهم عداوته لها وأسند ولاءه لله سبحانه، وأظهر لهم صفات رب العالمين، ثم دعا لنفسه بأدعية وكان منها:﴿ **وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ**﴾ (الشعراء:85) أي يا رب أورثني جنة النعيم في الآخرة، واجعل سكناي فيها[2]، وفي هذا إثبات للجنة، وأن من أسمائها النعيم[3].

ثانياً: الجنة دار المؤمنين لا الكافرين:

الجنة كما سبق دار السعداء من عباد الله سبحانه، وهي محرمة على الأشقياء، وقد ذكر الله ذلك لإبراهيم عليه السلام حين طلب من الله سبحانه أن يغفر لأبيه يوم القيامة، واعتبر عليه السلام أن ما لقيه من أبيه هو من الخزي الذي سأل الله تعالى أن يجنبه إياه يوم الدين، ولكن الله سبحانه أظهر لخليله عليه السلام أن الجنة هي دار للمؤمنين محرمة على الكافرين، وقد بيّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد في السنة بأن إبراهيم عليه السلام يلقى أباه يوم القيامة

---

(1) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم الحديث: (3244) ص: 623.

(2) انظر: تفسير الطبري، 453/9، وابن كثير، 6/ 36.

(3) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، تحقيق: خالد عثمان، ص: 111 مكتبة الصفا، الأزهر، ط1، 1423هـ/ 2002م.

يعلو وجهه قترة، ويشفع عليه السلام لأبيه غير أن الله لا يدخله الجنة، ثم يمسخه، فيبتعد عنه الخليل عليه السلام ليكون جزاؤه النار والعياذ بالله[1]، ففي الحديث بيان مآل الكفار، وأن الجنة دار المتقين، وهي على الكافرين محرمة، ومنهم آزر أبو إبراهيم عليه السلام، الذي رفض دعوة ابنه إبراهيم عليه السلام، وأصر على الكفر، ومات على ذلك، فكان جزاؤه أن يمسخه الله بذيخ يوم القيامة، ثم يلقى في النار، وفي مسخه رفع لشفقة إبراهيم عليه السلام عليه.

وثمة إشكال أورده ابن حجر في الحديث، وهو كيف استغفر له إبراهيم عليه السلام؟ ومتى تبرأ منه؟ أكان التبرؤ منه يوم القيامة حينما يمسخ أم حينما علم بموته على الكفر؟ وجمع رحمه الله بين الأقوال، بأنه عليه السلام تبرأ منه حينما علم بموته على الكفر، ثم يوم القيامة أخذته الشفقة، فلما رآه قد مسخ تبرأ منه إلى الأبد[2].

ثالثا: الجنة مخلوقة.

أخبر الله أن الجنة خَلْق من خَلْقه، خَلَقها وخَلَق لها أهلاً، وظهر ذلك صريحاً في السنة، عَنْ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ...**"[3]، ويتبين هذا من حديث المعراج ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم لإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، ثم رؤيته لسدرة المنتهى، وأنهار الجنة كما أتى ذلك في الحديث عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ... ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ**[4] **قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا...**"[5] ولذلك اتفق أهل السنة على أن الجنة مخلوقة، وهي موجودة الآن[6]،

---

(1) سبق تخريجه، ص: 150.

(2) انظر: فتح الباري، 616/8، كتاب التفسير، باب "ولا تخزني يوم يبعثون".

(3) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، رقم الحديث: (2560) 405/4، وقال عنه الترمذي: حسن صحيح.

(4) القلال: الحب العظيم، أي الجرة الضخمة منها، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص: 769.

(5) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم الحديث: 259، ص: 100.

(6) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص: 420، وفتح الباري، 1/ 578، كتاب الصلاة، شرح الحديث: 349.

قال الإمام الطحاوي:" والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه..."[1].

رابعاً: وصف إبراهيم عليه السلام للجنة.

إن صفة الجنة ونعيمها ثابت بالقرآن والسنة، ولقد ورد فيه من الأدلة الكثير، ولقد كانت البشرى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ببعض صفات الجنة، وما يقرب إليها من قول أو عمل، ولذلك بشر الخليل عليه السلام هذه الأمة ببعض صفات الجنة، وذكر لهم بعضا مما يقربهم منها من أقوال بذكر بعض صفاتها، كما ورد من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ**[2] **وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**"[3]. ففي الحديث طلب الخليل عليه السلام من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ليلة أسري به أن يبلغ أمته السلام، ويعلمهم بالسبيل إلى تكثير أشجارهم في الجنة، وذلك بالإكثار من ذكر الله من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وفي الحديث وصف للجنة بأن تربتها طيبة، وماؤها عذب سلسبيل[4].

([1]) شرح العقيدة الطحاوية، ص: 420.

([2]) قيعان، من قاع وهو المكان المستوي الواسع في الأرض، يعلوه ماء السماء فيمسكه، ويستوي ، انظر: النهاية في غريب الحديث، ص: 782.

([3]) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب_ رقم الحديث:(3462) 332/5، وقال عنه الترمذي: حسن غريب، وحسنه الألباني، انظر: سنن الترمذي حكم عليه الألباني، اعتنى به مشهور سلمان، مكتبة المعارف، ص: 787، الرياض ط1، رقم الحديث: (3462).

([4]) انظر: الجنة والنار، عمر الأشقر، ص: 182.

المبحث الثاني

دلالة قصة إبراهيم عليه السلام على إثبات القضاء والقدر

المطلب الأول: المشيئة

المطلب الثاني: أفعال العباد

المطلب الثالث: أنواع الهداية والضلال

المطلب الأول

المشيئة

الإيمان بالقضاء والقدر سر التوحيد، وأصل السعادة البشرية، فإذا ما اعتقد الإنسان أن كل شيء في الكون بقدر الله وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فهو بذلك يرضى بكل ما قسم الله له، وإن خفيت الحكمة عنه، فإن القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع عليه أحد من خلقه، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل[1]، والإيمان به واجب دلت عليه النصوص من القرآن والسنة، فقد قال تعالى:﴿ **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** ﴾ (الطلاق:3) وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل:" **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره...**"[2].

والمشيئة مرتبة من مراتب الإيمان بالقدر، فما من شيء في الكون إلا وهو تحت مشيئة الله سبحانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقد ذكر الله أنه بمشيئته هداية الناس جميعاً، وبمشيئته يعطي كل نفس هداها، وهو القادر أن يجعل الناس أمة واحدة، كما في قوله:﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ (السجدة:13) وقوله تعالى: **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس:99) وقوله تعالى:﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ (هود:118)[3].

وسئل الإمام الشافعي عن القدر فأجاب عن ذلك بقوله:

فما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

خلقتَ العباد على ما علمت ... ففي العلم يجري الفتى والمسن

على ذا مننتَ وهذا خذلتَ ... وهذا أعنت وهذا لم تعِن

فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن[4]

---

(1) انظر: شفاء العليل، ص: وشرح العقيدة الطحاوية، ص: 249.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، رقم الحديث: 1، ص: 29.

(3) انظر: العقائد الإسلامية، الميداني، ص: 776، وشفاء العليل، ابن القيم، ص: 109.

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، 1/ 454.

أولاً: تعريف المشيئة

المشيئة في اللغة: من شأو، وهو الطلق والشوط، والغاية والأمد، والشأو: الشوط والمدى، وشاء في الشيء سبقني[1].

أما في الاصطلاح: فالمشيئة في الأصل إيجاد الشيء، وهي:" إرادة الله وقد أعلم خلقه أن المشيئة له دونهم"[2].

والمشيئة وردت في النصوص كونية قدرية، مثاله قول الله تعالى:﴿ **لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ *وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾(التكوير:**28_ 29**) [3]، فالمشيئة تعدل الإرادة، قال الشافعي:" المشيئة إرادة الله عز وجل"[4].

والمشيئة تختلف عن المحبة، فالكتاب والسنة الصحيحة والفطرة نصت على الفرق بينهما، مثاله قول الله تعالى:﴿ **وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ** ﴾ (البقرة:205) فالفساد غير محبوب عند الله سبحانه، كما هو صريح القرآن، ولكن الفساد موجود في العالم على مر الزمان، ولا يخالف في ذلك عاقل، وقد وقع الفساد في الأرض بمشيئة الله، وهذا لا يعني أن الله يحبه، فثم فرق بين المحبة والمشيئة إذن[5].

ثانياً: المشيئة في قصة إبراهيم عليه السلام

سبق أن المشيئة مرتبة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، ولقد أتت الرسل جميعها لتثبت المشيئة لله سبحانه في كل شيء وأن لا شيء في الكون يكون إلا بمشيئة الله جل وعلا، بل إن الكتب السماوية نصت على ذلك، ومع هذا فإن ذلك لا يخالف الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها[6].

ولذلك قال إمام الحنفاء عليه السلام لقومه:﴿ **وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ**﴾ (الأنعام:80) فالخليل عليه السلام بعد دعوته لقومه، خافوا عليه من الآلهة أن تمسه بسوء، ولكنه عليه السلام بيّن لهم أنه لا يخاف من آلهتهم لأنها لا تملك نفعاً ولا ضراً، وأن ما يحصل له من نفع وضر إنما هو من عند الله وبمشيئته، فالخوف عنده عليه السلام من الله أن يصيبه بشيء في نفسه أو ماله بما يشاء جل وعلا، ومن هنا أثبت

---

(1) انظر، لسان العرب، 10/7.

(2) فتح الباري، 540/13.

(3) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ص: 49.

(4) شفاء العليل، ص: 115.

(5) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، شرحها الدكتور سفر الحوالي، الموقع، الحوالي، نقل بتاريخ، 2008/11/7م، ttp://www.alhawali.com/index.cfm

(6) انظر: شفاء العليل، ص: 109.

الخليل عليه السلام لله النفع والضر منه حسب مشيئته جل وعلا، فقال:" **وسع ربي كـل شـيء علما**" "أي إن علمه محيط بكل شيء، فإذا شاء الخير كان حسب مشيئته، وإذا شاء إنزال شرّ بي كان، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"[1].

وبعد أن أقام إبراهيم عليه السلام الحجة على قومه، بين الله لمن يمنح الحجة والبرهان، ولمن يمنح رفعة الدرجات، وكل ذلك بمشيئته سبحانه، فقال:﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ (الأنعام:83) فهو يهدي من يشاء إلى الحـق، وقوة الحجة، وهو أعلم بذلك سبحانه[2].

وفي معرض الآيات من سورة العنكبوت، والتي تتحدث عن دعوته عليه السـلام لعبـدة الأصنام، وبيان العاقبة، أكد الله سبحانه على أن كل شيء يفعله بمشيئته ومن تمام عدلـه جـل وعلا، فهو يعذب من يشاء، ويرحم من يشاء، وكل ذلك منه متعلق بمشيئته فقال تبارك وتعـالى: ﴿ **يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ** ﴾ (العنكبوت:21) فهو يعذب من يشاء تعذيبـه، ويرحم من يشاء برحمته[3].

وفي رؤيا الخليل عليه السلام ذبح ولده، أخبر ابنه إسماعيل عليه السلام، فرد عليه الابن البار عليه السلام أن يفعل ما أمر به، ثم علق صبره على ذلك بمشيئة الله سبحانه، وهو الأصـل في المسلم أن يعلق في أي عمل على المشيئة؛ لأن في ذلك حق التوكل، كما قال تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم:﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً* إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّـهُ وَاذْكُـر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً** ﴾ (الكهف:23_24).

وإسماعيل عليه السلام الذي صبر على ابتلاء الله له بالذبح، فقال لأبيه عنـد أمـر الله: ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (الصافات:102) وهنـا إسـماعيل عليه السلام يعلق أمره بمشيئة الله طلباً للبركة من الله[4].

وبمشيئة الله سبحانه يصطفي من يريد من عباده؛ ليتخذ منهم رسـلاً يبـشروا النـاس وينذرونهم، وكان إبراهيم عليه السلام ممن اجتباهم الله سبحانه، كما قال تعالى ذلك:﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَـى وَعِيـسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَـن يَـشَاءُ**

([1]) فتح القدير، الشوكاني 155/2، وانظر: تفسير الطبري، 248/5.

([2]) انظر: فتح القدير156/2.

([3]) انظر: تفسير الزمخشري، 202/3.

([4]) انظر: فتح القدير، 463/4.

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى:13) فهو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلال على من استحب الضلال وترك الهداية، وكل هذا بمشيئته سبحانه[1].

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، 129/7.

المطلب الثاني

أفعال العباد

أخبر الله في كتابه أنه خالق كل شيء، فهو الذي خلق الخلق، وخلق أفعالهم، فالعباد وأفعالهم لا تخرج عن كونها من المخلوقات، فعَلِمَ الله من سيخلق، وما سيفعله عباده، كل ذلك مسجل في اللوح المحفوظ، فخلقهم كما يشاء، وقَدَر الله مضى فيهم، فكان عمل العباد وفعلهم، كما قدر الله وشاء في اللوح المحفوظ، فهدى أهل الجنة إلى ما يقربهم منها بالقول والعمل، وكذا أهل النار[1].

وخلق الأفعال، مسألة خالف فيها من خالف، فزعمت طوائف[2] أن الله لم يخلق أفعال العباد على الحقيقة، أما أهل السنة والجماعة فأثبتوا أن الأفعال التي هي من الإنسان هي من خلق الله تعالى، كخلق الإنسان، قال الإمام الطحاوي:" وأفعال العباد هي خلق الله، وكسب من العباد"[3] وقال ابن تيمية:" أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها، كما نص على ذلك سائر أئمة الإسلام: الإمام أحمد ومن قبله وبعده، حتى قال بعضهم: من قال: إن أفعال العبد غير مخلوقة، فهو بمنزلة من قال: إن السماء والأرض غير مخلوقة"[4].

والحق ما عليه أهل السنة كما سبق أن أفعال العباد مخلوقة، قال السفاريني[5]: " والحاصل أن مذهب أهل السلف ومحققي أهل السنة أن الله تعالى خلق قدرة العبد وإرادته وفعله وأن العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله، والله سبحانه جعله فاعلاً له محدثاً له، قال تعالى:﴿ **وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾ (الإنسان:30) فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون إلا بمشيئة الله، وهذا صريح قول أهل السنة في إثبات مشيئة العبد، وأنها لا تكون إلا بمشيئة الله"[6].

---

(1) انظر: القضاء والقدر، عمر الأشقر، ص: 37.

(2) خالف في ذلك مذاهب، فمنهم من قال: أن الإنسان مسير وليس مخير، فهو كالريشة في مهب الريح وهم الجبرية، ومنهم من قال أن الإنسان مخير لا مسير يفعل ما يشاء بكامل إرادته وحريته، وهم المعتزلة، ومنهم من قال أن الإنسان ليس له إلا الكسب، أي أن الله سبحانه يخلق الفعل عند مباشرة الإنسان له، مثال أن يخلق الشبع عند الأكل، وهم بذلك يؤمنوا أن العبد ليس له إلا الكسب وهم الأشاعرة. انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص: 100_ 101.

(3) شرح العقيدة الطحاوية، ص: 436.

(4) مجموعة الفتاوى، 8/ 406_ 386.

(5) هو: محمد بن أحمد سالم السفاريني، ولد: 1114هـ، عالم بالحديث والأصول، له من المؤلفات، التحقيق في بطلان التلفيق، وله لوامع الأنوار البهية، توفي: 1188هـ. انظر: الأعلام، 6/ 14.

(6) لوامع الأنوار البهية،313/1_ 314.

وليس أدل على ذلك ما كان على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام في دعوته لعبدة الأصنام، مبيناً لهم عجز هذه الأصنام عن النفع والضر، وأنها أصلاً مخلوقة لله تعالى، رغم صناعتهم لها، فقال جل وعلا على لسانه عليه السلام:﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (الصافات:96) وهذه الآية أساس في مسألة خلق الأفعال، أي خلقكم والأصنام التي هي صناعتكم، فهي أيضا خلق لله تعالى[1].

([1]) انظر: تفسير الطبري، 504/10.

المطلب الثالث

أنواع الهداية والضلال

الهدى والضلال هو أساس القدر، بل هو قلب أبواب القدر، فالهداية والضلال مقدر على العباد، وهي من الله جل وعلا، فهو سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، قال ابن القيم:" هذا المذهب_ الهدى والضلال_ هو قلب أبواب القدر ومسائله، فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى، وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمه دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال. وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال فعله سبحانه وقدره والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه"[(1)].

أولاً: أنواع الهداية:

تنقسم الهداية إلى أربع مراتب:

1) الهداية العامة: وهي" هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها"[(2)].

2) هداية الإرشاد والبيان للمكلفين: وهي التي بعثت لأجلها الرسل، حتى تبين للناس أمور دينهم وسبب سعادتهم؛ لإقامة الحجة على الناس، وهي أخص من المرتبة السابقة.

3) هداية التوفيق والإلهام: وهي إعانة من الله لمن يريد له الهداية فيهديه، ومن لا يريد فيضله الله سبحانه. وهي أخص من سابقتها.

4) الهداية إلى الجنة والنار وهي ما تكون يوم المعاد [(3)].

ثانياً: أنواع الهداية في ما يتعلق بقصة إبراهيم عليه السلام:

وردت آيات كثيرة التي تتحدث عن الهداية، ومن الآيات التي ارتبطت بالحديث عن خليل الله عليه السلام، ففي قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ (الأنعام:88) يخبر الله سبحانه عن الحوار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر وعبدة الكواكب، ثم يعقب الله في الآيات من سورة الأنعام على ما كان للأنبياء عليهم السلام من قبل وما كان للخليل عليه السلام إنما هو بفضل الله ومنه، وهو هداية يهدي بها من يشاء من عباده، فالهدى في الآية معناه أي: "الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل

([1]) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، ص: 161.

([2]) المصدر السابق، ص: 161.

([3]) انظر، المصدر السابق، ص: 161_202.

فوفقتهم به لإصابة الدين الحقّ، الذي نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم وشرف الدنيا وكرامة الآخرة، هو هدى الله"[1] ففي الآية بيان نوع الهداية وهي هداية توفيق وإلهام، وإظهار لطف الله بعباده، فهو يوفق من يشاء إلى طاعته، فيخلص له العمل، ويقر له بالتوحيد[2].

وفي الحوار بين إبراهيم عليه السلام وعبدة الكواكب، وفي نهاية الآيات يقول جل وعلا:﴿ **أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنعام:90) فالآية تدعو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لأن يقتفي الأنبياء في العقيدة، فهم الذين هداهم الله لمعرفة دينه الحق، وهم الذين قاموا بحفظ آيات ربهم، وقاموا بحدوده واتبعوا الحلال والحرام، وهذا هو عين الهدى، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلك طريقهم، ويقتدي بهداهم الذي هو من فضل الله تعالى وتوفيقه، والمقصود بهداهم أي ما توافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين[3]، وما في الآية كسابقتها هداية توفيق وإلهام.

وثمة هداية ذكرها الخليل عليه السلام في حديثه مع قومه من عبدة الأصنام حين عرفهم بربه جل وعلا، ذاكراً لهم صفاته تبارك وتعالى، والتي بيّن فيها أن له الفضل في الخلق والهداية فقال جل وعلا على لسانه:﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ** ﴾ (الشعراء:78) أي أنه بعد خلقه له يسر له كل ما هو له مصلحة في حياته، وما يستقيم عليه عيشه، فالخليل عليه السلام يعترف بفضل الله جل وعلا بهدايته لما استقام عليه حاله في الدنيا، فهو الذي هداه إلى أن يتغذى بامتصاص الدم وهو جنين، وهو الذي ألهمه الرضاعة، فهو الهادي إلى جميع منافع الدنيا والدين، فكل ما يجري للخلق هو على ما قدر له من خير للمعاش والمعاد، فهنا وصف الخليل عليه السلام ربه بما يستحق العبادة لأجله[4]، ونوع الهداية هنا هداية عامة.

وقد تناولت صحف إبراهيم عليه السلام نوعاً من أنواع الهداية، ورد ذلك في سورة الأعلى في قوله جل وعلا:﴿ **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ (الأعلى:3) وهنا الهداية بمعنى أن الله هدى الإنسان لسبيل الخير والشر، وهدى البهائم إلى مراتعها[5]، وقال مجاهد:" هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها"[6]، فالهداية في الآية هداية عامة كسابقتها.

---

(1) تفسير الطبري، 259/5.

(2) انظر: تفسير الطبري، 259/5.

(3) انظر: تفسير الطبري، 261/5، وتفسير الزمخشري، 34/2، وتفسير البيضاوي، 428/2.

(4) انظر: تفسير الزمخشري، 117/3، وفتح القدير، الشوكاني، 122/4.

(5) مرتع: الأرض الخصبة التي ترتع فيها المواشي وترعاه، انظر: لسان العرب، 132/5.

(6) تفسير الطبري، 543/12، وانظر: تفسير ابن كثير، 238/8.

ثالثا: أنواع الضلال:

مثلما يهدي الله من يشاء من عباده، فإنه جل وعلا يضل من يشاء من عباده، ولكن ليس ابتداء منه جل وعلا، وإنما بعد أن يمن عليهم بكل سبل الهداية، فإذا ما رفضوا الهداية_ هداية الإرشاد_، فإن الله يضلهم لاستحقاقهم ذلك.

وأنواع الضلال عند بني آدم كثيرة ومختلفة حسب اختلاف أسبابها، فمن الناس من تكون ضلالته باتباع الشيطان، كما في قوله تعالى:﴿ **وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءاذَانَ ٱلأَنْعَـٰمِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ**﴾ (النساء:119)، ومنهم من تكون ضلالته باتباع الماضين من آبائهم، كما قال تعالى:﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ** ﴾ (البقرة: 170) ومنهم باتباع الظن والهوى، وقد ذكر الله ذلك في قوله:﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مّن رَّبّهِمُ ٱلْهُدَىٰ**﴾ (النجم:23). ومنهم من يتبع السادة والكبراء في الكفر والضلال، كما في قوله:﴿ **وَقَالُواْ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلاْ**﴾ (الأحزاب:67) وأبواب الضلال كثيرة، ففي التوحيد صرف أناس العبادة لغير الله تعالى، فعبدوا من لا يستحق كالشجر والحجر والأولياء وغيرهم، وفي الإيمان بالملائكة، فمنهم من زعم أنهم بنات الله، وفي الإيمان بالرسل، فمنهم من قتل الرسل ومنهم من كذبهم، بل ربما غالوا في بعضهم فجعلوه شريكاً لله تعالى، وفي الإيمان باليوم الآخر من أنكر المعاد[1].

رابعاً: أنواع الضلال في الآيات التي تتعلق بقصة إبراهيم عليه السلام.

تحدث القرآن الكريم عن ضلالات كثيرة وقع فيها البشر، وكما سبق بيّنا أنواعاً منها، وهناك بعض الضلالات التي وقعت من قوم إبراهيم عليه السلام ذكرها الله في كتابه، كما حكى الله جل جلاله في معرض الحديث عنه عليه السلام حينما دعا أباه وقومه، فبيّن عليه السلام لهم أنهم في ضلال واضح وظاهر، لا يخفى على عاقل، فقال تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾ (الأنعام:74) فإبراهيم عليه السلام يستغرب من أبيه اتخاذ الأصنام آلهة من دون الله، وهذا عين الشرك في توحيد الله جل وعلا، فأظهر لهم عليه السلام بطلان ما هم عليه، قائلاً: إني أراك وقومك في ضلال مبين، أي أن آزر وعبدة الأصنام تجاوزوا عن الحق، ومالوا إلى الباطل، وهذا الأمر واضح مبين يتبين لمن أبصره أنه

([1]) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح الفوزان، ص: 298. خطبة للشيخ عبد العزيز آل الشيخ، في يوم عرفة، موقع المنبر، بتاريخ: 1422/12/9هـ، **www.alminbar.al-islam.com**، نقل بتاريخ: 2008/11/19م.

قصد عن السبيل الحق إلى الضلال[1]، قال الطبري:" يعني بذلك: أنه قد ضلّ هو وهم عن توحيد الله وعبادته الذي استوجب عليهم إخلاص العبادة له بآلائه عندهم، دون غيره من الآلهة والأوثان"[2].

وبنفس المعنى فإنه عليه السلام في آيات أخرى ذكر لهم ضـــلال عبـــادتهم للأصـــنام، وسوء اتباعهم لآبائهم في عبادتها، فهم في ضلال واضح بيّن لا يخفى على ذي لب، فقال:﴿ **قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ (الأنبياء:54).

ولقد دعا إبراهيم عليه السلام بعد بنائه البيت الحرام، لنفسه وذريته بعد أن تذكر ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام والكواكب من دون الله، وضلال ما هم فيه، وإضلال الأصنام لعابديها، فقال:﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ آمِناً وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(إبراهيم:35_36) والمعنى في الآية أي يا رب إن الأصنام سبب في إزالة الناس عن الهدى وطريق الحق والخير، فعبدها الناس من دونك وكفروا وجحدوا بك، وفي الآية إسناد الإضلال إلى الأصنام على الرغم من أنها جماد؛ كونها سبب للضلال، فكأنها أضلتهم[3].

وثمة حديث آخر عن الاعتراف بضلال الأصنام والداعين إلى عبادتها يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب خالص لوجهه، مستقيم على عبادته جل وعلا، فحينئذ يعترف عُبَّادُ غير الله بأنهم كانوا على ضلال، وهذا ما كان في الحديث بعد عرض الخليل عليه السلام صفات رب العالمين لقومه في سورة الشعراء، فيذكر الله موقف المشركين وإقرارهم بالضلال الذي كانوا عليه بعد دخولهم النار واختصامهم فيها فيقول الله تعالى:﴿ **قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ* تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ*وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ**﴾ (الشعراء: 96_ 99) فهم يعترفون بأنهم تركوا الحق، ومالوا عنه إلى الباطل من عبادة غير الله سبحانه، وفي هذا دعوة لمن يتأمل ذلك بأن يرجع ويئوب إلى الله تعالى، وأن الشرك ضلال وبطلان؛ لأن في ذلك تسوية للخالق العظيم بمن لا يستحق من الأصنام وما هي إلا مخلوقات له جل وعلا، فيساوون بينه جل وعلا وبينها في الطاعة، إن هذا لعين الضلال، ثم

---

(1) انظر، تفسير الطبري، 240/5، وتفسير ابن كثير،294/4.

(2) تفسير الطبري، 240/5_241.

(3) انظر، تفسير الطبري، 460/7، وفتح القدير، 127/3، وتفسير البيضاوي، 351/3.

يقروا بأن الذي دعاهم لذلك المجرمون، ولكن لا ينفعهم ذلك في يوم لا تغني نفس عن نفس شيئا والأمر كله لله تعالى[1].

(1) انظر، تفسير الطبري، 9/455_456، وتفسير ابن كثير، 6/37.

الخاتمة والتوصيات

أولاً: الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا، ويمكن بيانها على النحو التالي:

1. أهمية العقيدة لارتباطها بكل الأنبياء عليهم السلام، وأن دعوة الخليل عليه السلام ارتبطت بالعقيدة، ولذا اتفق الأنبياء جميعهم في دعوتهم لأقوامهم أن دعوهم إلى توحيد الله سبحانه، والإخلاص له في عبادته جل وعلا.
2. كثرة ورود اسم إبراهيم عليه السلام في القرآن فقد ورد تسعا وستين مرة؛ وفي هذا بيان لأهمية شخصية الخليل عليه السلام في القرآن، وأن المسلمين هم أولى الناس به في اتباعه عليه السلام.
3. أن معنى اسم إبراهيم عليه السلام: أب رحيم.
4. اسم والد إبراهيم عليه السلام هو آزر، كما تبين ذلك في صريح القرآن والسنة.
5. أهمية الدعوة في حياة إبراهيم عليه السلام، فهو لم يترك باباً للدعوة إلا وساهم فيه، فقد بدأ بأبيه في الدعوة ثم قومه من عبدة الكواكب وعبدة الأصنام.
6. هجرة إبراهيم عليه السلام عدة هجرات وكلها في ذات الله سبحانه، وفي ذلك بيان لأهمية الهجرة في حياة المسلم إذا ما كانت للدعوة إلى الله سبحانه، فقد هاجر عليه السلام إلى الشام بعد أن كان في العراق، ثم إلى مصر، ورجع إلى الشام، وكان له هجرة إلى مكة، حيث إبقاء هاجر في مكان البيت الحرام، ورجوعه لبناء البيت الحرام هو وولده إسماعيل عليه السلام، ثم بقائه ومكثه بالشام بقية حياته.
7. أن دين إبراهيم عليه السلام هو الحنيفية، والحنيفية هي الميل عن الباطل إلى الحق، وقد مال الخليل عليه السلام عن عبادة الأصنام إلى دين الله عز وجل وهو الإسلام، وقد دعا الإسلام إلى السير على منهج الخليل عليه السلام في اتباع الحنيفية السمحة.
8. تهافت الشبهات الواردة في حقه عليه السلام بأنه كان يهودياً أو نصرانياً، فهو عليه السلام لم يكن بعد نزول التوراة والإنجيل، إنما كان قبل ذلك، وفي هذا بيان بطلان مزاعم اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً أو نصرانياً، وقد أظهر القرآن الكريم وصيته عليه السلام لبنيه باتباع الإسلام، وهذا مما يؤكد أن دين إبراهيم عليه السلام هو الإسلام.
9. بطلان دعوى المشركين بأن إبراهيم عليه السلام كان مشركاً، فهو لم يكن كذلك ولم يكن عابداً للأصنام كما يفعلون، بل كان مخلصاً دينه لله عز وجل، وقد دافع رسول الله

صلى الله عليه وسلم عنه حين علق المشركون في فناء الكعبة صوراً لإبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل يظهرا فيه استقسامهم بالأزلام، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج تلك الصور.

10. اتصاف إبراهيم عليه السلام بجليل الصفات، وكريم الخصال، وقد وردت صفاته في القرآن ومنها: أنه أبو الأنبياء، فكل نبي بعده هو من ذريته، واتصافه عليه السلام بالحلم والرشد والإنابة لله سبحانه.
11. اصطفاء الله لإبراهيم عليه السلام بأن جعله خليلاً وهي أعلى درجات المحبة، ولقد اصطفى الله بخلته من عباده إبراهيم عليه السلام ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.
12. أن وجود الله راسخ في فطرة الإنسان، وأن مجيء الأنبياء إنما أتى لترسيخ ما في فطرة الناس من إقرار للخالق عز وجل.
13. أهمية الحوار في الدعوة إلى الله، فإن الخليل عليه السلام استخدم في دعوته حوارات عدة، شملت أبوه، وقومه، والنمرود.
14. أن الإسلام والإيمان لفظان مترادفان إذا ما افترقا، وإذا ما اجتمعا فكل لفظة تختلف معناها عن الأخرى، وبينهما عموم وخصوص.
15. وصف إبراهيم عليه السلام في القرآن بالإسلام والإيمان والإحسان
16. شرط الإمامة على المسلمين هو الإيمان والتقوى والعمل الصالح، وليس النسب والقرابة.
17. أهمية الخوف في حياة الداعية، والجمع بينه وبين الرجاء.
18. جواز الاستغفار للمسلمين، ومنعه في حق المشركين.
19. سبب النجاة يوم القيامة القلب السليم، أي الخالص من أي شرك، وهو المتفرد بمحبة الله سبحانه.
20. الولاء لله ورسوله والمؤمنين، والبراء من أعداء الله ورسوله والمؤمنين ولو كانوا من أولي القربى.
21. أهمية توحيد الأسماء والصفات في حياة الداعية، واستخدام هذا التوحيد في دعوته ليقرب الناس من دين الله سبحانه، ولقد كان الخليل مقرا لله سبحانه في أسمائه وصفاته، بل وربما استخدم الأسماء والصفات في دعوته ليجلب المدعوين للإسلام، كما فعل مع أبيه حين قال: "**إني أخاف أن يمسك من الرحمن**"، ففيه بيان سعة رحمة الله.
22. اتصاف الملائكة بصفات وهي القدرة على التشكل، وعدم الأكل، وتقديم البشارة للمؤمنين، وإرسال العذاب.
23. اشتمال صحف إبراهيم عليه السلام على مواعظ ووصايا وحكم تتعلق بأمور العقيدة.

24. عصمة الخليل عليه السلام عن الكذب، وأن الحديث في الكذبات إنما هو من المعاريض والتي تجوز في الإسلام.
25. معجزة إبراهيم عليه السلام تمثلت في إنقاذه من النار، وكونها برداً وسلاماً عليه بإذن الله سبحانه.
26. مقر الأنبياء في السماء، ومقر إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة.
27. أهمية اليوم الآخر، وإثبات البعث، ووصول إبراهيم عليه السلام إلى مرحلة عين اليقين، بعد علم اليقين.
28. إثبات أن الجنة دار المؤمنين، وأنها محرمة على الكافرين
29. حرمان الكفار يوم القيامة من الشفاعة، وقد حرم والد إبراهيم عليه السلام من شفاعة ابنه إبراهيم عليه السلام.
30. أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، ولا يعني هذا أن الإنسان مجبر على أفعاله، بل هو مخير ومحاسب عليها، وإن كانت في أصلها مخلوقة لله تعالى.
31. الهداية من الله لمن يريدها، والإضلال من الله لمن رفض الهداية، فمثله لا يستحق الهداية، وكل هذا من حكمته جل وعلا.

ثانياً: التوصيات:

1. اتباع نهج الخليل عليه السلام في دعوته، فحري بكل داعية أن يطلع على كيفية دعوته عليه السلام لأبيه وقومه، واقتفاء الأساليب التي اتبعها، والسير عليها، فهو قدوة للمسلمين، وهو عليه السلام أمة في الخير.
2. طرح قصة إبراهيم عليه السلام ودعوته في المناهج التعليمية، والحلقات الدعوية، حتى يتم ترسيخ العقيدة على أصولها.
3. أرجو أن يكون بحثي مقدمة لبحوث أخرى مثل:

أ) الاهتمام بدراسة الأنبياء عليهم السلام، وبيان مدى ارتباط دعوتهم بالعقيدة، عن طريق جمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمتحدثة عنهم عليهم السلام وإفراد ذلك بدراسة علمية.

ب) التوسع في باب الأسماء والصفات والتي وردت في الآيات التي تتحدث عن إبراهيم عليه السلام ببحث خاص ومدى علاقة ذلك به عليه السلام.

ج) إفراد الشبهات التي وردت في حق إبراهيم عليه السلام بدراسة خاصة، والتي منها شبهة الشك في وجوده عليه السلام، وشبهة الكذبات الثلاث، وشبهة والده.

الفهارس العامة

1_ فهرس الآيات

2_ فهرس الأحاديث

3_ فهرس الأعلام المترجم لهم

4_ فهرس المصادر والمراجع

5_ فهرس الموضوعات

الفهارس العـــامة

أولاً: فهرس الآيات.

"وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ..."	البقرة	255	103
"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ..."	البقرة	258	10، 44، 49
"إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي..."	البقرة	260	58، 59، 94، 104، 139، 147
"آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ..."	البقرة	286	126
"إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ..."	آل عمران	19	57
"إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً..."	آل عمران	33	26، 38، 106
"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي ..."	آل عمران	65	18
"ما كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ..."	آل عمران	67	18، 58
"إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ..."	آل عمران	68	18، 21، 81
"قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ..."	آل عمران	84	57، 121
"وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن..."	آل عمران	85	21
"قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ..."	آل عمران	95	81، 103
"فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ..."	آل عمران	97	97
"إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن..."	النساء	48	82
"وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ..."	النساء	119	168
"وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ ..."	النساء	125	20، 23، 57، 81، 107
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ..."	النساء	136	145
"إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ..."	النساء	151_150	126
"رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ..."	النساء	156	136
"إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا..."	النساء	163	134
"وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ..."	النساء	164	127
"إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ..."	المائدة	55	79
"ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِم..."	الأنعام	46	103
"وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ..."	الأنعام	48	126، 134
"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ..."	الأنعام	74	6، 9، 42، 168
"وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ..."	الأنعام	75	41
"إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ..."	الأنعام	79	10، 19، 42، 64

"وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي..."	الأنعام	82_80	76، 77، 83، 96، 103، 135 ،161
"وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ..."	الأنعام	83	41، 49، 87، 95، 136، 162
"وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ..."	الأنعام	84	22، 60، 108
"ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ..."	الأنعام	88	166
"أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ..."	الأنعام	90	22، 135، 167
"قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى ..."	الأنعام	161	19
"وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ..."	الأعراف	180	33، 86
"إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ ..."	الأعراف	54	47
"وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ..."	الأنفال	40	97
"أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ..."	التوبة	70	137
"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ..."	التوبة	71	79
"مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ..."	التوبة	113	74
"إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ"..."	التوبة	114	24، 74، 77
"قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ ..."	يونس	101	40
"وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً..."	هود	18	160
"هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ..."	هود	61	66
"قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ.."	هود	73	12، 89، 97، 101، 113
"إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ"	هود	75	24، 113
"يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا..."	هود	76	98
"وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا..."	هود	76_69	12، 113
"تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي ..."	يوسف	101	57
"قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ..."	الرعد	16	33
"قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ..."	إبراهيم	10	34
"إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا..."	إبراهيم	41_34	11، 72، 73، 83، 85، 89، 90، 91، 92، 93، 96، 108، 169
"وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ..."	الحجر	60_51	110، 113

"وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً..."	النحل	36	135
"شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى..."	النحل	121	26، 69، 106
"ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ..."	النحل	123	19، 64، 81
"ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ..."	الإسراء	3	26
"وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ..."	الكهف	23_24	162
"وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ..."	الكهف	56	135
"وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ..."	مريم	41_47	6، 9، 27، 74، 80، 91، 102، 106، 135
"وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن..."	الأنبياء	51_70	9، 24، 37، 42، 48، 104، 130، 132، 136، 137، 169
"وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي..."	الأنبياء	71	8، 10
"وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..."	الأنبياء	72	22، 108
"وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ..."	الأنبياء	73	101
"وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ..."	الحج	7	147
"وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ..."	الحج	27	72
"إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"	الحج	75	102
"وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ ..."	الحج	78	22
"إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ..."	المؤمنون	57_61	75
"وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ..."	النور	54	127
"الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..."	الفرقان	2	47
"وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ..."	الفرقان	63	74
"وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرحيم"	الشعراء	9	94
"قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ..."	الشعراء	72_77	9، 48، 80، 102، 148
"الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ..."	الشعراء	78_81	38،94،102،104،105
"وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ..."	الشعراء	82	97، 108، 148
"رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي..."	الشعراء	83_89	64، 73، 156
"يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ..."	الشعراء	88_102	73، 150، 169
"إنه هو السميع العليم..."	الشعراء	219	93

"وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ..."	العنكبوت	16	85
"إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً..."	العنكبوت	17	48، 70، 82، 107
"يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ..."	العنكبوت	21	107، 162
"وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ..."	العنكبوت	22	98، 135
"وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..."	العنكبوت	27	22، 108
"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ ..."	الروم	22	40
"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ.."	الروم	30	35، 64
"وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ..."	السجدة	13	160
"الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ..."	الأحزاب	39	134
"وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً..."	الأحزاب	43	92
"وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا..."	الأحزاب	67	168
"الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ..."	فاطر	1	116
"إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ..."	فاطر	28	75
"وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ..."	الصافات	77	8
"إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ..."	الصافات	84	27، 63
"أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ..."	الصافات	86_87	109
"فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ..."	الصافات	88_89	130، 131
"وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ..."	الصافات	96	165
"قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ..."	الصافات	97	10،9
"وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي ..."	الصافات	99_111	21، 54، 73، 90، 156
"وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ..."	ص	45_46	63
"إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ..."	الزمر	2	33
"أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً..."	الزمر	9	75
"إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا..."	فصلت	30	117
"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ..."	فصلت	53	40
"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ..."	الشورى	11	33
"شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ..."	الشورى	13	120، 162
"وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ"	الشورى	28	98
"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ..."	الزخرف	26_28	6، 38، 57، 65، 80

"وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ..."	الزخرف	86	153
"لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ..."	الفتح	9	128
"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..."	الحجرات	10	133
"قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ..."	الحجرات	24	56
"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ..."	الذاريات	37_24	27، 52، 58، 61، 87، 116
"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا..."	الذاريات	56	21، 66
"إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا..."	النجم	23	168
"أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى..."	النجم	45_36	24، 28، 122، 149
"وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ..."	الرحمن	46	75
"وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ..."	الحديد	19	128
"يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ.."	المجادلة	11	52
"هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ..."	الحشر	22	91
"قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..."	الممتحنة	5_4	22، 80
"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ..."	الممتحنة	6	89
"قدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً..."	الطلاق	3	160
"وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ..."	الإنسان	30	161
"أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى..."	النازعات	24	48
"لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ..."	التكوير	29_28	161
"وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى..."	الأعلى	3	167
"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى..."	الأعلى	19_14	123
"وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ..."	البينة	5	63

ثانياً: فهرس الأحاديث

قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ...	90
كَانَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ النَّاسِ...	27،113
كانت أمثالا كلها أيها الملك...	1230
الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ...	28
كل مولود يولد على الفطرة فأبواه...	35
لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ...	130
لم يلتقِ أبواي في سفاحٍ قَطُّ...	5
لَمَّا نَزَلَتْ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا...	77
لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...	140
نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ...	59
هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام بِسَارَةَ...	10
وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي...	4
وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً ...	19
يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ...	154
يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...	6،7،151
يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ...	155

ثالثاً: فهرس الأعلام الذين ترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود عرض ونقد، فاطمة ردمان، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1421هـ/2001م.
2. إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، أحمد الأميري دار المناورة، جدة، ط1، 1406هـ/1986م.
3. أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي البجاوي، دار الفكر، بيروت.
4. أحكام القرآن، الجصاص، مراجعة صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2001م.
5. الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الآمدي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/ 1981م.
6. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، علق عليه: طه سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1423هـ/2003م.
7. أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ جمال مسعود، دار طيبة، الرياض، ط1، 1406هـ/ 1986.
8. أدلة معتقد الإمام أبي حنيفة في أبوي الرسول_ عليه الصلاة والسلام_ للإمام علي القاري، تحقيق: أ.د. جابر السميري.
9. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، تعليق: محمد حلاق، دار الفكر بيروت، ط1، 1421هـ/2001م.
10. إرواء الغليل، ناصر الدين الألباني، إشراف: محمد الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1399هـ/ 1979م.
11. أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط1، 1423هـ/2004م
12. الأسماء والصفات، ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد الكوثري، المركز الإسلامي للكتاب
13. الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد القرطبي، ضبط نصه: أ.د. محمد جبل، خرج أحاديث: طارق أحمد، دار الصحابة، طنطا، ط1، 1416هـ/ 1995م.
14. الأصول الثلاثة وأدلتها، محمد بن عبد الوهاب.
15. أصول الدين عند الإمام الطبري، طه رمضان، دار الكيان، الرياض، ط1، 1426هـ/ 2005م.

16. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي، تحقيق: أحمد أبو العينين، دار الفضيلة، الرياض، ط4، 1420هـ/ 1999م.
17. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.
18. أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان، عبد العزيز المبدل، رسالة دكتوراة، دار التوحيد، الرياض، ط1، 1424هـ/ 2003م.
19. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، دار الفكر، بيروت، 1416هـ/ 1996م
20. أولو العزم من الرسل، طه وادي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 1418هـ/ 1998م.
21. الإيمان ابن تيمية، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1418هـ/1997م.
22. الإيمان، ابن منده، تحقيق: علي الفقيهي، دار الفضيلة، الرياض، ط4، 1421هـ/ 2001م.
23. الإيمان، محمد نعيم ياسين، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1412هـ/ 1991م.
24. البحر المحيط، محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م.
25. بدائع الفوائد، ابن القيم، ترتيب: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ/1994م.
26. البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، تحقيق: أحمد فتيح، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1413هـ/1992م.
27. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، السعدي، الرياض، ط4، 1423هـ
28. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية، ابن تيمية، تعليق، محمد قاسم، مؤسسة قرطبة.
29. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار مكتبة الحياة_ بيروت
30. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1387هـ/ 1967م.
31. تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/ 1995م
32. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م.

33. التبيان شرح أركان الإيمان، سعد عاشور، دار المنارة، فلسطين، ط1، 1426هـ/ 2006.
34. التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق: نصر الدين تونسي، شركة القدس، القاهرة، ط1، 2007م
35. تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص، سيد العفاني، دار العفاني، بني سويف، ط1، 1421هـ/2001م.
36. تعظيم قدر الصلاة، المروزي، تحقيق: عبد الله الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة، ط1، 1406هـ.
37. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد الألباني، خرج أحاديث، محمود الجميل، وليد سلامة، خالد عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1423هـ/2002م.
38. تفسير آيات العقيدة، عبد العزيز حاجي، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م.
39. تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/ 2002م.
40. التمهيد، ابن عبد البر، تحقيق: سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، المغرب.
41. تهذيب اللغة، محمد الأزهري، إشراف: محمد مرعب، تعليق: عمر سلامى، عبد الكريم حامد، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2001م.
42. التوجيهات التربوية من سيرة إبراهيم عليه السلام، إبراهيم العريني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1417هـ.
43. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد عيسى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1394هـ
44. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض، بيروت، ط3.
45. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ/1996
46. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1420هـ/ 1999م.
47. جامع الرسائل، المجموعة الثانية، ابن تيمية، تحقيق: محمد سالم، مطبعة المدني، القاهرة.

48.جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، عبد الرحمن بن رجب، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 1417هـ/1996م.
49.الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، راجعه: محمد الحفناوي، خرج أحاديثه: د.محمود عثمان، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1416هـ/1996م.
50.جلاء الأفهام، ابن القيم، تحقيق: مشهور حسن، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2، 1419هـ/ 1998م.
51.الجنة والنار، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط12، 1423هـ/2002م.
52.الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ/2001م.
53.حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، تحقيق: خالد عثمان، مكتبة الصفا، الأزهر، ط1، 1423هـ/ 2002م.
54.الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، جلال الدين السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة.
55.الحبائك في أخبار الملائك، السيوطي، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة.
56.الخصائص الكبرى: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
57.خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر، محمد المحبي، دار صادر، بيروت.
58.خير القلائد في شرح جواهر العقائد، عثمان العرياني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.
59.الداء والدواء، ابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ/2001م.
60.درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ط1، 1399هـ
61.الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت.
62.دعوة التوحيد أصولها الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها، محمد الهراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.
63.دلائل التوحيد انطلاقا من القرآن والكون، عبد الله التليدي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1420هـ/ 1999م.
64.دلائل التوحيد، القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ/1984.
65.الدين الخالص، محمد صديق حسن، تحقيق: محمد النجار، دار التراث، القاهرة.
66. ديوان أبي العتاهية، دار صادر، بيروت، 1400هـ/1980.

67.الرسل والرسالات، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط9، 1421هـ،/2000.
68.روح المعاني، الألوسي، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/ 1978م.
69.زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الله ، تخريج: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر، ط1، 1407هـ/ 1987م.
70.زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم، تحقيق: مصطفى العدوي، دار ابن رجب، المنصورة، ط1، 1426هـ/2006م.
71.سلسلة أعمال القلوب، محمد المنجد، دار الفجر، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م.
72.سنن الترمذي، أبوعيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر ومصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ/2005م.
73.سير أعلام النبلاء، محمد بن عثمان الذهبي، ترتيب: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت.
74.الشخصيات القرآنية، نزيه اعلاوي، دار صفاء، الأردن، ط1، 1426هـ/ 2006م.
75.شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، تحقيق: أحمد حمدان، دار طيبة، الرياض.
76.شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1390هـ/ 1400هـ
77.شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: أحمد السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1407هـ/1987م،
78.شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط8، 1404هـ/ 1984م.
79.شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل الهراس، خرج أحاديثه علوي السقاف، دار الهجرة، الرياض، ط3، 1415هـ/ 1995م.
80.شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ/ 1990م.
81. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، تحقيق: السيد محمد السيد، سعيد محمود، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1418هـ /1997م
82.صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1425هـ/ 2004م.
83.صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، بيروت، 1419هـ/1998م.
84.صحيح الترغيب والترهيب، محمد الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ.

85.صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى النووي، توثيق صدقي العطار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/ 2000م
86.صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، دار ابن رجب، المنصورة، ط1، 1422هـ/2002م.
87.صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، السقاف، دار الهجرة، الرياض، ط1، 1414هـ/ 1994م.
88.الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، طه العفيفي، الدار المصرية، القاهرة، ط1، 1414هـ/1994م.
89.الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
90.طبقات الحفاظ، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1414هـ/1994م.
91.طريق الهجرتين ودار السعادتين، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
92.عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط13، 1223هـ/2002م.
93.العقائد الإسلامية، سيد سابق، دار الفكر، بيروت، 1419هـ/ 1998م.
94.العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط4، 1406هـ/ 1986م.
95.علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله البسام، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط1، 1398هـ.
96.العهد القديم.
97.العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/ 2003م.
98.فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق:عبد العزيز بن باز و محمد عبد الباقي، دار الحديث، ط1، 1419هـ/1998م.
99.فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الخير، بيروت، ط1، 1413هـ/ 1992م.
100. الفوائد، ابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، ط1، 1424هـ/2003م.
101. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط12، 1406هـ/1986م.س
102. القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محيسن، دار الجيل، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.
103. قصص الأنبياء، ابن جرير الطبري، تحقيق: جمال بدران، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1420هـ/2000م.

104. قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الفجر، القاهرة، ط1.
105. قصص الأنبياء، محمد متولى الشعراوي، جمع: منـــشاوي جـــابر، مكتبـــة التـــراث الإسلامي، القاهرة.
106. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ/1998م.
107. القضاء والقدر، د. عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط8، 1423ه/ 2002.
108. القول المفيد على كتابا التوحيد، محمـــد بـــن عثيمـــين، دار الفجـــر، القـــاهرة، ط1، 1424هـ/2003م.
109. القيامة الكبرى، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط13، 1423هـ/2002م
110. الكافي في القراءات السبع، محمد بن شريح، تحقيـــق: جمـــال الـــدين شـــرف، دار الصحابة للتراث، طنطا.
111. الكامل في التاريخ ، ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت.
112. كبرى اليقينات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلـــوق، محمـــد البـــوطي، مطبعـــة مسودي، القدس، ط6، 1399هـ.
113. الكشاف، محمود الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1403هـ/1983.
114. الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، عبد الله بن عبد الوهاب، مجموعة ضمن كتبـــا الجامع الفريد، مطبعة المدينة المنورة، الرياض.
115. لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، مطبعة مـــصطفى البـــابي الحلبـــي وأولاده، ط2، 1375هـ/ 1955م.
116. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
117. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لشرح الدرة المضنية، في عقد الفرقـــة المرضية، محمد السفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط2، 1402هـ/1982م.
118. مجلة الأزهر، مصر، السنة:58.
119. مجمـــوع فتـــاوى ومقـــالات ابـــن بـــاز، عبـــد العزيـــز ابـــن بـــاز. موقـــع روح الإسلام، www.islamspirit.com
120. مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، اعتنى به عامر الجـــزار، أنـــور البـــاز، دار الوفـــاء، المنصورة، ط2، 1421هـ/2001م.
121. محاسن التأويل، القاسمي، خرج أحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحيـــاء الكتـــب العربية، القاهرة.
122. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطيـــة، تحقيـــق: المجلـــس العلمي، فاس، المغرب.

123. مختار الصحاح، محمد الرازي، تحقيق: محمود خاطر، راجعه: لجنة من العلماء، دار الفكر، بيروت.

124. المختار من شرح البيجوري على الجوهرة، المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم البيجوري، الأزهر، القاهرة، 1419هـ/1998م_1999م.

125. مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، تحقيق: خالد عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1423هـ/2002م.

126. مدارج السالكين، ابن القيم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1403هـ/ 1983.

127. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله النسفي، تحقيق: مروان الشعار، دار النفائس، بيروت، ط1، 1416هـ/ 1996م.

128. مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، محمد الزين، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م.

129. المصباح المنير، أحمد المقري، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1421هـ/2000م.

130. المطلع على أبواب الفقه، محمد بن أبي الفتح، تحقيق: محمد الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

131. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ حكمي، ضبط عمر أبو عمر، دار القيم، الدمام، ط1، 1410هـ/ 1990م.

132. معالم التنزيل في التفسير، والتأويل، محمد الحسين بن مسعود، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.

133. معاني القراءات، أبو منصور البغدادي، تحقيق: عيد درويش وعوض القوزي، ط1، 1412هـ/1991م.

134. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تعليق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط1، 1408هـ/ 1988م.

135. المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

136. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار المستشرق، بيروت، ط2.

137. معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق: فريد الجندي، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ/1990م.

138. معجم ألفاظ العقيدة، عامر فالح، تقديم: عبد الله جبرين، مكتبة العبيكات، الرياض، ط1، 1417هـ، 1997م .

139. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

140. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ/ 2001م.
141. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط3.
142. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، بيروت، ط2، 1418هـ/1998م.
143. مفاتيح الغيب، الرازي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1398هـ/1978م
144. مفتاح دار السعادة، ابن القيم، تحقيق: سيد عمران وعلي محمد علي، دار الحديث، القاهرة 1420هـ/ 2004م.
145. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني ، دار المعرفة، بيروت.
146. الملل والنحل، محمد الشهرستاني، تحقيق: محمد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، 1369هـ/ 1976م.
147. من لطائف التعبير القرآني، فؤاد سندي، مكتبة فهد الوطنية، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ/2002م.
148. مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر الألمعي.
149. منة المنعم شرح صحيح مسلم، صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام، الرياض، ط1، 1420هـ/1999م.
150. منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة، خالد نور، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة، ط1، 1416هـ/1995م.
151. المواقف في علم الكلام، عضد الدين الإيجي، عالم الكتب، بيروت.
152. الموضوعات، ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.
153. موطأ الإمام مالك، توثيق: صدقي العطار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م
154. النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، صححه: علي الصباغ.
155. نظم الدرر في تناسب الآي والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.
156. النكت والعيون، الماوردي، تعليق: السيد عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1412هـ/ 1992م.
157. نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني، تحقيق: الفرد حيوم، مكتبة المتنبي، القاهرة.
158. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعدات ابن الأثير، أشرف عليه: علي الحلبي، دار ابن الجوزي، ط2، 1423هـ.

159. وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،

160. الولاء والبراء في الإسلام، محمد القحطاني، دار طيبة، الرياض، ط11، 1423هـ.

161. يشركون وهم لا يعلمون، صالح الصياح، كلية الملك عبد العزيز الحربية .

162. موقع إسلام اليوم. **www.islamtoday.net/questions**

163. موقع الشبكة الإسلامية، **www.http://audio.islamweb.net/audio**

164. موقع المنبر ، **www.alminbar.al-islam.com**

165. موقع سفر الحوالي، **www.alhawali.com/index.cfm**

166. موقع الدرر السنية، **http://www.dorar.net/**

167. **موقع روح الإسلام**، www.islamspirit.com

خامساً: فهرس الموضوعات.

ملخص البحث

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهمـــا، وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، والصلاة والسلام على المبعــوث رحمـــة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً وبعد،،،

مما لا شك فيه أهمية الإيمان في حياة المسلم، فهو سر السعادة للبشرية، وهو أصل بعثة الرسل عليهم السلام، وأشراف الناس هم الأنبياء والرسل، الذين ما تركوا جهدا في تبليغ دعــوة الله إلى أقوامهم، ولقد كان الخليل إبراهيم عليه السلام ممن اصطفاهم الله فـــي الأرض ليبتعثـــه نبياً، بل وليتخذه خليلاً، فلم يأل جهدا عليه السلام في ترسيخ العقيدة في نفوس قومـــه، ودعوتـــه لهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما هم عليه من عبادة الأصنام والكواكب.

ومن هنا فإن بحثي يأتي لدراسة العقيدة في قصة إبـــراهيم عليـــه الـــسلام بـــاختلاف جوانبها، وتناول الآيات القرآنية التي تحدثت عن إبراهيم عليه السلام من قريب أو بعيـــد وكـــذا السنة النبوية واستخلاص الأمور العقدية منها، وربطها بقصة إبراهيم عليه السلام وبيان وثـــاق العقيدة بنبي الله إبراهيم عليه السلام.

وقد قسمت بحثي إلى فصل تمهيدي، وثلاث فصول أخـــرى، وتناولـــت فـــي الفـــصل التمهيدي صفحات من حياة إبراهيم عليه السلام، وذلك من خلال مبحثين، الأول تحدثت فيه عن اسم إبراهيم عليه السلام ومولده ودعوته وهجراته، وأما المبحث الثاني فتحدثت فيه عـــن ديـــن إبراهيم عليه السلام – الحنيفية- وصفاته التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وأما الفصل الأول فتناولت فيه التوحيد بفروعه في ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول منهـــا تناولت فيه توحيد الربوبية، وفيه بيان رسوخ وجود الله في الفطرة البشرية، ودلالة الكون علـــى وجود الله سبحانه، ثم نواقض توحيد الربوبية من خلال قصة إبراهيم عليه السلام وخصوصا مع قومه. وأما المبحث الثاني فتناولت فيه توحيد الألوهية وفيه عدة موضوعات تتعلـــق بالألوهيـــة ومدى دلالتها من قصة إبراهيم عليه السلام مثل: العلاقـــة بـــين الإيمـــان والإســـلام، الإمامـــة والأولوية فيها للمؤمنين، والخوف والرجاء والشكر لله تعالى، وإفراد الله بالـــدعاء والإخـــلاص والاستغفار، وبيان أهمية الولاء والبراء، ثم تناولت نواقض توحيد الألوهية عند قـــوم إبـــراهيم، كما تبين من قصته عليه السلام، ثم المبحث الثالث وتناولت فيه الأسماء والصفات ووجودها في طيات قصة إبراهيم عليه السلام من خلال الآيات القرآنية، ومدى ارتباطهـــا بـــالموقف الـــذي وضعت فيه.

وأما الفصل الثاني فجمعت فيه ثلاثة مباحث، الأول عن الملائكة ووجوب الإيمان بهـــم والحوار بينه عليه السلام والملائكة، وصفات الملائكة ووظائفهم، والمبحث الثاني عن الإيمـــان بالكتب ووجوب الإيمان بهذا الركن، وماذا تناولت صحف إبراهيم عليه السلام، وأمـــا المبحـــث الثالث فكان الحديث فيه عن إثبات الأنبياء وبينت فيه مقتضيات الإيمان بهم عليهم السلام، وبيان

وظائفهم وتحدثت عن معجزة إبراهيم عليه السلام، وختمت المبحث بمقر الأنبياء كما ذكرت ذلك السنة وهو السماء.

وأما الفصل الثالث ففيه مبحثان، الأول منهما أهمية الإيمان باليوم الآخر، وذكرت فيه وجوب الإيمان باليوم الآخر وأهميته وإثبات البعث، واستعرضت بعضا من أحوال يوم القيامة، وأن الجنة دار للمؤمنين فقط محرمة على الكافرين، وما يحدث من الشفاعة يوم القيامة وطلب الناس لها من الرسل، وأما المبحث الثاني فكان حول الإيمان بالقضاء والقدر، وتناولت فيه المشيئة ومسألة خلق الأفعال وأنواع الهداية والضلال بما يتعلق بالآيات التي وردت في معرض قصة إبراهيم عليه السلام.

وفي الخاتمة سجلت أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

Abastract

Bleesed and good praise be to Allah. Praise that is filled the heaven, ground and which is between them. God's bleesing and peace be upon the prophet Mohammad, his nation and his companions….
There is no doubt that belief is very important in muslim's life. It is the secret of human happiness and the cause of prophet's expedition who are the most honest people and who didn’t leave any effort to inform their God's message to their nations.

Ibraheem "peace be upon him" was one of whom God choosed in order to send him as a prophet and to take him afriend. Ibraheem didn't leave any effort in establishing belief in his people selevs and his mission to them was worship God and desistance idolatry paganism and stars.

My reseach discusses belief in Ibraheem's story, koranic verses which talked about Ibraheem, Sunna of the prophet and how we can conclude the faithful issues fromit, then how we can conect them with Ibraheem's story, in addition demonstration the fetter of believe with Ibraheem.

I divided my research to preparatory part and other three parts. In the preparatory part, I discussed some sides of Ibraheem's life in two subjects. In the first one I talked about Ibraheem's name, his birth, his message and his hegira. In the second subject, I talked about the true religion of Ibraheem and its adjectives which came in the holy Koran, and Sunna of the Prophet.

In the first part of my research I discussed Monotheism and its branches in three subjects. In the first one I discussed Monotheism, clearing up the stability of existence of God in huoman nature, universe evidence on existence of Allah the relationship between Believe and Islam, and inconsisteuts with Monotheism throughout Ibraheem's story especially with his nation.

In the second subject I discussed Monotheism which has many subject connected with Godhead and its evidence from Ibraheem's story such as imamate and the priority to the believers; fear; hope, grateful to God, singling out God with invocation, honesty, forgiveness and demonstration the importance of loyalty and acquittance. Then I discussed in consistents of Monotheism in the people of Ibraheem as it is shown in his story. In the third subject I discussed the nouns and the adjectives in Ibraheems story throughout the koranic verses and its connection with the situation, which they are put in them.

In the second part, there are three subjects. In the first one I talked about angels and the necessity to believe in them, interlocution between Ibraheem and angels and their jobs. The second subject was about believe in holy Books, and what Ibraheem's leaves discussed. The third subject was about the proof of existence of prophets" peace be upon them" and

requisites of believe in them, their jobs; in addition to Ibraheem's miracle, and in the end of the subject I talked about the abode of prophets which is in heaven as Sunna mentioned.

In the third part, there are two subjects. The first one is about the importance of believe in Day of resurrection and the necessity to believe in it. Then I talked about the proof of resuscitation. After that I demonstrated some situations of Day of Resurrection, that is paradise to believers only, and it is forbidding to unbelievers, in addition the medicative in Day of Resurrection which people ask it from prophets" peace be upon thim". In the second subject I talked about determinism, volition, creation of deeds, kinds of religion and delusion which all of them are connected with konanic verses that came in Ibraheem's story.

In the end I wrote down the most important results and recommendations which I reached.